دراسات في

مَنهج البَحثِ التّاريخيّ والأدبيّ

تأليف

د/عبدالكريم ابراهيم دوحان
جامعة الأنبار - العراق

مؤسسة المختار
للنشر والتوزيع - القاهرة

دراسات في

مَنْهج البحث التاريخي والأدبي

اسم الكتاب : دراسات في منهج البحث التاريخي والأدبي
اسم المؤلف : د. عبد الكريم إبراهيم دوحان

الطبعة الأولى
1430 هـ - 2009 م

رقم الإيداع: 2008 / 20970
الترقيم الدولى: 5 - 145 - 382 - 977

مؤسسة المختار
للنشر والتوزيع

الإدارة : 6 شارع عبد الحكيم الرفاعي - مدينة نصر - القاهرة
تليفون: 22713202 - 22713945 - فاكس: 22713202
المكتبة: 33 شارع الإمام محمد عبده - خلف الجامع الأزهر - القاهرة
تليفون: 25105891
E-mail: mokhtar_est@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ
مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ
بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.

سورة العلق الآيات رقم (١-٥)

الإهـــــداء

إلى.. كل من سار على منهج الله

إلى.. كل من سلك طريق العلم

ودعا إلى الحق والحرية

والعدالة والمساواة

إلى.. كل من قرأ الفاتحة على روحى وروح والدىَّ وأختى طليعه وابنى الشهيد

المؤلـف

المقدمـــة

باسم الله أبدأ وبه أستعين وعليه أتوكل وعلى الله فليتوكل المتوكلون ، اللهم اكتب لى ولمن يقرأ هذا الكتاب أو يدرّسهُ فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة يا رب العالمين .

وجدت من الضرورى أن أظهر مؤلفي هذا للدارسين والباحثين ليكون مورداً لكل ظامئ ، وقد وقفت على مؤلفات عديدة فى هذا المضمار وأشبعته بآراء المختصين ليظهر بحلة تميزه من غيره بالكمال وبحسّ عربى أصيل يضئ بوضمات تشع من بين ثنايا السطور . فقمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول، الفصل الأول يتناول التعريف بالبحث وطرقه وأنواعه وخطواته وقسمته إلى ثلاثة مباحث . أما الفصل الثانى فقد درست فيه منهج البحث التاريخى وقسمته إلى خمسة مباحث. وأما الفصل الثالث فتناولت فيه منهج البحث الأدبى وقُسم إلى خمسة مباحث، وقد جمعت بين هذه المناهج بكتاب واحد ليستفيد منه كل باحث تأريخي وأدبي، وكذلك الدارسون والباحثون . وقد وقفت بتعريف هذه المناهج من خلال المصادر والمراجع التى كانت عونا لى في دراستي هذه ، وأسأل الله الأجر .

فمنهج البحث يعد ضروريا لكل باحث وعوناً له، حيث يحفظ بحثه من الانسياب والشطط، ويعتبر الآن ذا أهمية بالغة لمن يعني بالضبط والتنظيم فى

النتاجات الحية التى تماشى الحياة الحضارية في العصر الحديث وفى إخراج تراثنا من بين ركام النسيان منظماً ينبض بالحرارة والحيوية وهو يزخر بالمفاخر والإبداعات التى كانت من عوامل إيقاظ الغرب وشحذه بكل مقومات التطور الحضارى بعد أن كان يتخبط فى دياجير من التأخر والفوضى والجهل[1]، وتتجلى أهميته فى أنه يلزمنا بقيادة فكرية وأخلاقية[2] .

فهو يوضح كيف يوضع البحث وكيف يختار وكيف يصاغ منهجياً ، وكيف تستخدم مصادره لينتفع بها . وهذه الأمور وغيرها حببت إلى أيضاً إخراج مؤلفى هذا...ليكون عونا للدارسين والباحثين لعل الله أن ينفعنا بما كتبنا وقرأنا ودرسنا .

و(تحقيق النصوص) يُعنى بالكشف عن تراثنا الذى ناهضه الحاقدون وما زالوا يحاولون طمس آثاره ومحوها لينسى العربى تراث آبائه الميامين ذلك التراث الذى يجب أن يزداد اعتزازنا به وأن نقف أمامه وقفة إجلال وإكبار وأن نذود عنه ونرد سهام الأعداء الذين يسعون إلى القضاء على اللغة العربية -لغة قوميتنا ولغة وحدتنا- تتقطع كل صلة بماضينا الذى يشع بالمفاخر ويزخر بكل مقومات البقاء والصمود والتطور ، فحبذوا اللغة العامية وعملوا على نشرها وتعميمها وترويجها بكل قواهم . وغمزوا الفصحى غمزات تشير إلى الحقد الدفين فى قلوب دامية إصراراً على العداء ، وحاولوا محاولات يائسة على إبقائها راكدة فى بركة آسنة لاحظ للحياة فيها[3] (كما يتصورون) لا حول لها ولا قوة حتى تختنق وتموت . فقد هالهم مواكبتها للتطور الحضارى ومساهمتها فى التقدم العلمى

(١) البدرى ، عبد الرحمن، دور العرب فى تكوين الفكر الأوربى، ص (٥ ، ١١ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٤٣).

(٢) منور ، الدكتور محمد ، النقد المنهجى عند العرب ، ص٣٩١ .

(٣) عبد السلام هارون ، تحقيق النصوص ، ص١ .

الحديث فى نواحيه كافة مع عطاء وافر وسعة صدر ومرونة عالية وهى مشعل هذى ينير الدرب للتائهين والمدلجين .

فأذاعوا عنها كل ما يعيب من المطاعن والمظان ، ولصقوا بها كل مصير وضيع وعدم استيعاب للتطور العلمى فى العصر الحاضر ، فمدوا أصابعهم إلى الإعراب وبالغوا فى الصعوبات التى تكتنفه حتى تجرأوا على المطالبة بمحوه قاموس العربية. وقد صحب تلك الحملة الظالمة وسائل خسيسة وأصوات ناعقة بعدم وجود جدوى من التمسك به والالتزام بمضامينه معللين دعواهم بضآلة شأنه[1] .

وقد عمدوا إلى هذا التحريف بعد أن باءت محاولاتهم بالفشل فى مطلع هذا القرن حيث ظهرت دعوات-من قبل ضعاف القلوب وأرقاء التفكير- تنادى بإحلال اللغة اللاتينية محل اللغة العربية لعجزها عن مواكبة حركة التقدم والتطور الحديث[2] .

ولكن لغتنا بما تملكه من قوة وصمود وبما يعج بين حناياها من حيوية وبما تكتنزه من ملكات خلق وإبداع فى الإحاطة والتعبير الجميل ، سخرت من أولئك الدخلاء المناكيد الذين يبيتون لها المكاره ، ولم تأبه بهم ولا بعوائهم

(١) المصدر نفسه ، ص٥ .

(٢) لقد وقفت لغتنا تدافع عن نفسها أمام تلك الحملة الظالمة . ووقف الى جانبها أبناء العروبة فى كل مكان ، ففى مصر الشيخ محمد عبده .وحافظ إبراهيم وعلى يوسف . وأقول كما قال حافظ إبراهيم فى قصيدته :

رجعــت لنفــسى فاتهمــت حــصاتي	ونـاديــت قومــي فاحتــسبت حياتــى
رمونــى بعقــم فى الــشباب وليتنــي	عقمــت فلــم أجــزع لقــول عداتــى
وســعت كــتاب الله لفظــاً وغايــة	ومــا ضــقت عــن آيٍ بــه وعظــات
فكـيف أضيق الـيوم عـن وصـف آلة	وتنــــسيق أســــماء لمخــــترعات
أنا البحر فــى أحشائــه الـدر كامــن	فهل سألــوا الغـواص عــن صدفاتــى

(٢) ينظر الزيات ، أحمد حسن ، تاريخ الأدب العربى ، ص٥٠٦ .

واستمرت فى مسيرتها تواكب أمتها العربية فى مسيرتها . ويحدوها تراثها الضخم ويوقد فيها جذوة الصمود والانطلاق عبر الأجيال والقرون .

وحاولت أن أجمع بين السهولة والصعوبة لأقدمها بشكل يفهمها الطلبة وهم بأشد الحاجة إلى كتاب مستقل ، واستفدت من مصادر الأساتذة الذين سبقونى فى هذا المضمار مشكورين أولاً وأخيراً ، وقررت أن أألف كتاب كيفية كتابة البحث الجامعى وجمعت بين مناهج البحث التاريخى والأدبى والعلمى ولكافة الأقسام وحتى يستفيد منه طلبة الدراسات العليا .

آمل أن يجد القارئ فى هذا البحث صورة لمعالم منهج البحث التاريخى والأدبى وشاهداً جديداً من شواهد أثر العرب فى الحضارة الإنسانية ، وهذا ما سعيت لأجله وبذلت كل جهد مستطاع فى سبيله ، فإذا ظهر خلال هذا البحث شيء من الخطأ والزلل فأرجو أن أنبه عليه لأتمكن من إظهار هذا البحث فى المستقبل بالمظهر الذى يليق بالحقيقة العلمية التى يكشف عنها .

وعليه فإن الذى دعانى إلى تأليف هذا الكتاب وأن أجمع فيه بين منهج البحث التاريخى ومنهجى البحث الأدبى لأنى كلفتُ أن أدرّس هذه المادة ولأول مرة فى كلية الآداب-جامعة الأنبار، وقررت أن أخوض معركة تدريس هذه المادة التى يصعب تدريسها وصعوبة فهمها بالنسبة لطلبة الجامعات والدراسات العليا ووجدت أن المصادر غير واضحة وغير مفهومة من قبل الطلبة .

وتقتضى العناية بالبحث والاهتمام بالمصادر والمراجع والأصول العامة والخاصة على السواء ، لأن المصادر هى التى يأخذ منها الباحث مادة بحثه ، والأفكار الأساسية للموضوع وهى الثمرة الناضجة التى يقطف منها العالم والمتعلم كل ما يشاءان .

وبادئ ذى بدء ينبغى على الكاتب أن يكون عارفاً بجمهور قرائه ، فى الدراسات العليا المعاصرة ، كما أنه يتخطى هؤلاء بالتجاوز إلى الطلاب الذين هم على أبواب التخرج فى الجامعات أو بصفة عامة الطلاب الذين يسعون للحصول على دبلومات سواء فى التكنولوجيا أو فى الهندسة أو فى التعليم أو فى الفنون والآداب . وذلك لأن هناك خطاً مشتركاً يربط بين هؤلاء الطلاب جميعاً ، إذ يتعين عليهم فى وقت معين(وغالباً ما يكون وهم فى السنة الثالثة)أن يقدموا بحثاً مستفيضاً وقائماً على أسس منهجية بحال دراستهم ، وربما يطلق على هذه الأبحاث (ورقة بحث) أو (رسالة) أو ما إلى ذلك. وربما يكون الغرض من ذلك عرض مجموعة من الحقائق بطريقة موضوعية، أو التوصل إلى النتائج الأصلية للبحث ، ويتراوح عدد كلمات البحث ما بين ٢٠٠٠ و ٥٠٠٠ كلمة ، على أنه فى كل الحالات يكون كاتب البحث ملتزماً بالنظم الدراسية المعمول بها فى معهده . فيتحتم عليه الاعتماد على مصادر أكاديمية ، وعليه أن يكون على دراية بفن الحصول على أكبر قدر من المعلومات من داخل المكتبة . وذلك كى يختصر الوقت الطويل الذى يضيعه فى المكتبة ليحصل على معلومات قليلة ويتمكن من تشكيل هذه المعلومات وصياغتها فى أسلوب سلس ، ويلزم أن يكون البحث مؤيداً بمصادر والحصول على المعلومات منها بالنسبة للطالب فى أقصر وقت ممكن ، وهذا ما يحاول هذا الكتاب معاونة الطالب فيه .

أرجو من الله آن يوفقنا لما فيه الخير والإصلاح لأمتنا وأبنائها الذين سيحملون راية العلم والمعرفة

الفصل الأول

المبحث الأول

البحث، تعريفه، أنواعه، طرقه، منهجه

١ - تعريف البحث[١]

البحث هو شعار الحياة في الإسلام، الحياة المتجددة، العاملة الهادفة، البانية، الحياة تصنع الحضارة والرفاهية والأمن والسلام للإنسانية جمعاء.

وهو ثمرة العلم، أو دعامة من أهم دعائمه، فالتعلم والدراسة هما الركن الأول من أركان بناء الحضارة العلمية، والبحث هو الركن الثاني من أركانها، بما يشتمل عليه معنى البحث، من العرض والتحليل والنقد والأصالة والجدة.

ولقد كان البحث شعارًا للحياة الإسلامية في مختلف عصور النهضة والقوة والازدهار، فأصبح العلماء المسلمون ومهمتهم البحث والكشف عن كل جديد، في الحياة والكون والوجود وصار البحث اليوم شعار الحياة والنهضة عند الأمم القوية والمتحضرة، وبفضل البحث كشفوا عن الذرة، وصعدوا إلى عالم الفضاء، واخترقوا جانبًا من حجب الكون.

والجامعات لا تزيد على غيرها من المدارس والمعاهد إلا بأنها بيئة للبحوث العلمية، ومركز مهم من مراكز تخريج الباحثين الأصلاء الموهوبين القادرين على النهوض بأعباء الحركة العلمية في مختلف جوانبها وألوانها.

---

(١) شرف، د. عبد العزيز والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، كيف تكتب بحثًا جامعيًا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ص ٣-٤.

تحديد معنى البحث

وهناك تعريف آخر للبحث عرفّه لنا الدكتور عبد العزيز شرف(١)

١- يراد بالبحث ما يشمل كل إنتاج يكتبه الدارس أو الأستاذ في موضوع من موضوعات العلم أو الأدب أو فكرة من أفكارهما، أو مشكلة من مشكلاتهما. سواء كان هذا الإنتاج:

(أ) مقالة مطولة واسعة نطلق عليها كتيبًا، وكان للقدماء يطلقون عليها اسم رسالة أو محاضرة.

(ب) أو كتاب مختلف الحجم، وغالبًا ما يبدأ الكتاب بصفحات تقارب المائة، وتزداد صفحاته حتى تبلغ المئات، فإن زادت زيادة مسرفة قسم الكتاب أجزاء، حسب موضوعاته وأبوابه الكبرى. والكتاب تختلف تقسيماته اختلافًا واضحًا: ففريق من المؤلفين يقسمونه إلى فصول، ويخصون كل فصل ببحث مسألة من المسائل، ويطلقون على الفصول أحيانًا أبواب. وفريق يقسمونه أولاً إلى أبواب، ويجعلون كل باب خاصًا ببحث مسألة رئيسية، أي عنصر أساسي من مسائل أو عناصر الكتاب، ثم يقسمون ثانيًا كل باب إلى فصول، ويجعلون كل فصل خاصًا ببحث مسألة جزئية من مسائل الباب، ثم كل فصل إلى مباحث.

(ج) رسالة جامعية، يتقدم بها الباحث إلى جامعة من الجامعات لنيل درجة وفي هذا المجال، إذا لم يتأكد الباحث من مصادر معلوماته، فعليه الاستعانة بدليل الكتب والمراجع الذي وضعه روبرت.ت.ل.كول يسون Robert L. Collison بعنوان (Bibliographies: Subject and National) الطبعة الأخيرة

(١) الدكتور عبد العزيز شرف والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، كيف تكتب بحثا جامعيا ص ٩ -١٤.

والناشر هوCrosby and Lockwood. وهو دليل واف يوضح كل ما يهم الباحثين من كتب ومراجع في مجال كل منهم.

وكذلك أعطانا الدكتور أحمد جاسم النجدي[1]تعريفا للبحث يمكن إجماله بما يلي وهو الوسيلة لاكتشاف الحقائق والتعرف عليها. ومن الأسلوب النظر إلى فائدة الموضوع وأهميته، ومن ثم تشترط بعض الجامعات توجيه الطلبة لبحوثهم نحو البيئة ومشكلاتها وحاجاتها، وتوجيههم لدراساتهم نحو المشكلات الأخلاقية والعلمية والأدبية لبيئتهم، فالكتابة عن خمريات أبى نواس غير الكتابة في زهد أبي العتاهية، والكتابة عن الأدب في العصر التركي غير الكتابة عنه في عصر الرسالة.

فإذا ما استقر الباحث على موضوع بحثه، ووافق عليه الأستاذ المشرف كان عليه أن ينتقل إلى ناحية جديدة، وهي وضع المنهج العلمي للبحث.

منهج البحث

بعد اختيار الموضوع يجيء دور المنهج، ومنهج البحث يعنى بتحديد الخطة التي يسير عليها الباحث في بحثه. وكما بنى منزل يبدأ فيه برسم مصغر للمنزل يحدد فيه أركانه ودعائمه وأقسامه ويسير البناء على منوال هذا الرسم، فكذلك كتابة البحث يبدأ فيها بوضع المنهج الذي يسير عليه الباحث.

ويختلف المنهج باختلاف الموضوع والباحث نفسه، وباختلاف الظروف المحيطة بالبحث نفسه. والمنهج لابد من مشاركة الأستاذ المشرف في وضعه ليكون ملائمًا ومستوفيًا لموضوعات البحث، ويتوقف على المنهج تقييم البحث

(١) النجدي، أحمد جاسم(الدكتور)، منهج البحث الادبي، المكتبة الوطنية، (١٩٧٨)، ص ٢٩٠-٢٩٦.

نفسه، فكلما كان المنهج قويًا شاملاً كان البحث جيدًا جدًا ومفيدًا وذا قيمة علمية كبيرة.

ومن الممكن أن يسير المنهج وفق هذا الترتيب:

أ. تصدير للبحث ويحدد فيه الهدف الذي قصده ببحثه وأهمية البحث وقيمة الكتابة حوله، وصلة موضوع البحث بنفس الكاتب وتخصصه فيه، وقراءات الباحث الكثيرة حوله، واسم مراجع البحث المخطوطة والمطبوعة. والجهد الذي بذله صاحب البحث في كتابه، وبيان هل كان البحث جديدًا أو أنه قد سبق إليه.

ب. ويصمم الموضوع أو هيكل البحث ويشمل عددًا من الأبواب والفصول، وفي العادة يكون وفق هذا الترتيب:

الباب الأول:

يحتوي على فكرة رئيسية في البحث وتندرج تحت عدة فصول كل فصل يتناول مشكلة من مشكلات هذه الفكرة الرئيسية.

الباب الثاني:

ويحتوي على فكرة رئيسية أخرى ويحتوي على عدة فصول كذلك لا تزيد في العادة على أربعة.

الباب الثالث:

يتناول فكرة رئيسية، ويحتوي على عدة فصول أيضًا.

ج. خاتمة البحث، وتشتمل ما يلي:

- كلمة يبين فيها مدى ما بذل من جهد في كتابة بحثه والإلمام بمراجعه.
- بيان الجديد في البحث الذي لم يطرقه الدارسون من قبل.

- بيان بمصادر البحث.
- فهرس شامل للبحث

فإذا أردنا مثلاً كتابة بحث عن (التجديد في شعر شوقي): كان لنا أن نرسم منهج البحث كما يلي:

١- تصدير البحث.

٢- هيكل الرسالة ويشتمل:

أ. الباب الأول:

شاعرية شوقي، ويحتوي هذا الباب على الفصول التالية:

الفصل الأول: عصر شوقي وبيئته وأثرهما في شعره.

الفصل الثاني: حياته وأثرها في شعره.

الفصل الثالث: منزلته في الشعر الحديث وآراء النقاد فيه.

الفصل الرابع: شاعرية شوقي أسبابها ومميزاتها.

ب. الباب الثاني:

خصائص شعر شوقي ويشتمل هذا الباب على الفصول التالية:

الفصل الأول: ألفاظ شوقي وأسلوبه.

الفصل الثاني: معاني شوقي في شعره.

الفصل الثالث: الخيال في شعر شوقي.

الفصل الرابع: العاطفة في شعر شوقي.

الفصل الخامس: أغراضه الشعرية.

ج. الباب الثالث:

الفصل الأول: الشعر المسرحي عند شوقي.

والشعر الإسلامي عند شوقي.

وشعر الطبيعة عند شوقي.

الفصل الثاني: الصور الجديدة في الخيال والعاطفة والأسلوب الموسيقى الشعرية.

الفصل الثالث: إمارة شوقي للشعر الحديث وأسبابها.

الفصل الرابع:عظمة شوقي وأثره في التجديد الشعري وآراء والنقاد في ذلك.

٣- الخاتمة: الجديد في البحث - المصادر - الفهرست ...

ومن الممكن عندما نقرأ فهرست أية رسالة من الوسائل الجامعية أن نقف على منهج الباحث من رسالته. وكلما كان المنهج قويًا وشاملاً كان البحث مفيدًا وذا أهمية علمية خاصة.

وإذا رجعت إلى كتاب(ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان) أو إلى كتاب (أبو عثمان الجاحظ) أو إلى كتاب الدكتور طه حسين(تجديد ذكرى أبو العلاء) أو إلى كتاب (التصوف الإسلامي) لزكي مبارك، أو إلى كتاب(مصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الأسد). أمكنك معرفة المنهج الذي التزمه المؤلفون لهذه الكتب وأهميتها في البحث الأدبي الحديث.

طرق البحث

المبحث الأول: خطوات إعداد البحث.

المبحث الثاني: الهوامش والبيبلوغرافيات.

تعريف البحث[1]

البحث Research وهو الوسيلة لاكتشاف الحقائق والتعرف عليها من خلال الاستقصاء والتنقيب عنها. شرط أن يسلك الباحث منهجًا معينًا ويتخذ أدوات خاصة لهذا البحث.

وقد عرّف الدكتور علي جواد الطاهر البحث فقال(طلب الحقيقة وتقصيها وإذاعتها بين الناس). وعرف المنهج Method: بالطريقة التي توصل الإنسان إلى حقيقة ما. وبتعريف للدكتور أحمد بدر في كتابه أصول البحث العلمي ومناهجه قال:(البحث وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة وذلك عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها والتي تتصل بهذه المشكلة).

والبحوث أنواع مختلفة، تختلف باختلاف المرحلة الدراسية للطالب وعلى هذا تختلف حجمًا وأهمية ومن هذه الأنواع:

١- البحث الصفي والذي يسمى تقريرًا وما تتطلبه المرحلة الثانوية من دراسة الطالب وهنا يتوجب على الطالب كتابة بضعة أوراق في موضوع يحدده أستاذ المادة ضمن المقرر الدراسي للطالب الثانوي.

٢- البحث الذي يعده طالب الجامعة من أجل حصوله على البكالوريوس أو الليسانس وهذه بحوث للمرحلة الجامعية تفرض أحيانًا في بعض الجامعات على الطلبة قبل تخرجهم وقد تدعى رسالة الليسانس أو البكالوريوس.

٣- وهناك بحث يعد للحصول على الدبلوم Dilploma أو لشهادة الماجستير وتسمى بالإنكليزية أما "Thesis" أو "Research".

---

(١) الطاهر، علي جواد، منهج البحث الأدبي، ط٢، بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٧٠.

٤ – وفي الدراسات العليا أي في الدراسة للحصول على شهادة الدكتوراه Ph. D. يكتب الطالب بحثًا طويلاً أو يعد رسالة علمية أكثر أهمية "Dissertation" تأخذ من وقت الطالب مدة طويلة وقد تأخذ عدة سنوات.

هناك مقومات أساسية تتوفر في البحث ليكون ناجحًا منها:

١ – **وضوح الفكرة**: هنا يتوجب على الباحث العزوف عن اللف والدوران في صياغة الموضوع بل عليه أن يبرز الفكرة أو مضمون البحث بشكل يسهل فهمه من قبل القراء. أي يجب أن لا يكتنف الموضوع الغموض والإبهام.

٢– كشف الحقائق وهذه ميزة تشوق القارئ وتدفعه للاهتمام بالبحث والوقوف على نتيجته، فإذا ملك الباحث القدرة على عرض الحقيقة للقراء بشكل سليم عند ذلك سيكون بمستوى الباحث الناجح والحقيقة لا تتم إلا بعرض الأدلة الواضحة والدعم الإحصائي للمعلومات.

٣– التسلسل المنطقي لأحداث البحث – كأن يبدأ الباحث بالأهم ثم المهم ويسلك الترتيب الزمني للأحداث. لأن السبك الجيد والصياغة المتسلسلة منطقيًا تولد القناعة والرضى في نفس القارئ حيث تجعله يلم بأطراف الموضوع إلمامًا تامًا.

المبحث الثاني

خطوات إعداد البحث

أولاً: اختيار الموضوع

إن اختيار الموضوع من أول المهام التي تعترض كاتب البحث. فقد يعاني الكثير قبل الوقوف على موضوع البحث. وقد يتردد كثيرًا ظنًا منه أن أحدًا سبقه إلى هذا البحث فهو يخشى إذًا التكرار ولكن هناك حقيقة تذكر أن الكثير من الموضوعات في حقل اختصاص الباحث لا تزال بحاجة إلى من ينقب عنها ويبحث في أطرافها المتعددة ويجعل منها حقيقة ثابتة.

وبإمكان الباحث أن يضيف الجديد ويبتكر الأسلوب الذي لم يسبقه أحد إليه وذلك حين يتناول الموضوع.

فلكل شخص أسلوبه وروحه وطريقته الخاصة في البحث، قد لا يتفق اثنان في فكرة وقد لا يجتمعان على رأي واحد.

أن الأستاذ المشرف أو أستاذ المادة يساعد كثيرًا في تسهيل مهمة البحث واختيار الموضوع. وقد يتعاون الاثنان في المهمة ولكن شرط أن لا يكره الطالب على موضوع معين. وقد يتوقف نجاح الموضوع المختار على:

١- رغبة الطالب وميله للموضوع.

٢- الموضوع المناسب.

٣- الجديد المبتكر.

٤- توفر المصادر.

٥- البعد عن الغموض والإبهام.

ثانيًا: وضع الخطة Planning

أي تحديد الهيكل العام للبحث ومنهجه Method والأدوات Tools التي سيستعملها في تدعيم أسس البحث والباحث شأنه شأن المهندس المعماري الذي يرسم خريطة البناء قبل الشروع. أما الباحث فيرسم حدود بناء البحث بأبوابه وفصوله ومباحثه.

لقد عرف الدكتور عبد الرحمن بدوي منهج البحث فقال(الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلوماته).

والأداة Tool التي تستعمل في إعداد البحث أي الوسيلة التي يجمع بها الباحث بياناته المتعددة ومنها:

١- الملاحظة بأنواعها Observation.

٢- الاستبيانات Questionnaires.

٣- المقابلات Interviews.

٤- تحليل المحتوى أو المضمون Content Analysis.

٥- أساليب قياس الاتجاهات والمقاييس Measurement Attitudes .

٦- الخرائط والرسوم والوثائق Documents , cherts , graphs , maps.

٧- الوسائل الإحصائية Statistical Methods.

فقد يختار من هذه الأدوات أداة واحدة توصله للبحث وقد يحتاج إلى أكثر من وسيلة واحدة أحيانًا.

ثالثًا: جمع المصادر

المصادر كما نعرف وقف على المكتبة والتي من مهامها خدمة القراء وطلاب البحث عن المعرفة. فمراجعة المكتبة كخطوة أولية في إعداد البحث أمر غاية في الأهمية لأن نجاح البحث يتوقف على هذه المصادر. ومن هنا جاءت أهمية التعرف على استخدام المكتبة، لأن الباحث أحوج ما يكون إلى معرفة استخدامها واستخراج المواد المطلوبة من بطون المصادر فيها.

ويتم جمع المصادر بالرجوع إلى فهرس المكتبة والاطلاع على محتوياتها من كتب ومطبوعات ومسجلات تخص الموضوع. وفي المكتبة مصادر أولية مهمة يمكن الرجوع إليها كخطوة أولى، ومن هذه المصادر:

(١) القواميس اللغوية والعلمية.

(٢) دوائر المعارف العامة والمتخصصة في موضوع الباحث.

(٣) الكشافات التحليلية للجرائد والمجلات.

(٤) كتب التراجم والإعلام(إذا كان البحث حول شخصية معينة).

(٥) الأطالس والخراط: لتحديد الأماكن والمواقع.

(٦) الأدلة المختلفة وخاصة الإحصائية منها لدعم البحث.

من الممكن الاستعانة بأساتذة المادة المتخصصين بموضوع البحث لتسهيل أمر البحث في مواقف متعددة كتحديد بعض المراجع وإرشاد ومتابعة البحث.

وبعد أن يتم للباحث الحصول على المصادر بتثبيتها على بطاقات (القياس الشائع ٧.٥ × ١٢.٥) حيث تدون البيانات البيبلوغرافية الأساسية: اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو المجلة أو المقالة، مكان النشر والناشر. تاريخ النشر، ثم الصفحة أو الصفحات التي توجد فيها المعلومات. تجمع هذه البطاقات.

رابعًا: القراءة وتنظيم المعلومات

بعد أن يفحص الباحث جميع المصادر التي سجلها على البطاقات تبدأ عملية القراءة وتدوين المعلومات وتسجيل الملاحظات التي يحتاجها الباحث ويتم هذا التسجيل على بطاقات أكبر حجمًا من الأولى - بطاقات المصادر والتي استعملها أولاً لتدوين البيانات البيبلوغرافية للمراجع.

يكتب فيها على وجه واحد فقط لسهولة مراجعتها ولا حاجة لذكر التفصيلات للكتاب أو المجلة التي أخذ عنها لأنها مسجلة على البطاقات الصغيرة بشكل كامل.

أما كيف يتم تدوين هذه الاقتباسات، فيفضل أن يكتب اقتباس واحد على كل بطاقة وبالإمكان أخذ اقتباسين من كل واحد اتسعت البطاقة لهما.

في أخذ الاقتباس يجب ملاحظة ما إذا كان أخذه نصًا من الكتاب أو نقل فكرة فقط. ففي حالة أخذه نصًا يجب وضع هذا النص بين علامتي تنصيص وذلك للأمانة العلمية التي تتوجب على الباحث قد يمكن أخذ الاقتباس من المعاجم، والإحصائيات، والبيانات لأنها ثابتة. أما الأفكار التي يكونها الباحث من خلال قراءته حول المادة فبإمكانه كتابتها في جسم البحث والإشارة إلى مصدرها وتتوقف صياغة هذه الأفكار على قابلية الباحث وفطنته وذكائه وطريقته الخاصة في حياكة الأفكار المتشابهة ووضعها بشكل سليم لا تخالف الأفكار التي أخذ عنها.

وقد تكون المادة حصيلة عدة آراء قرأ عنها الباحث وفهم مضمونها فصاغها بأسلوبه الخاص. فكلما كانت قراءة الطالب مركزة ودقيقة كلما تمكن من غربلة الآراء المضطربة وفرزه ما يجده صالحًا ينسجم ومنطق البحث.

تنظيم هذه البطاقات حسب المواضيع ذات العلاقة إذا حوى البحث على

أكثر من موضوع أو إذا اختلفت الأبواب والفصول كذلك، وتوضع في صندوق واحد حسب علاقتها الموضوعية ويكتب على الصندوق (العنوان) للمادة المحفوظة فيه. كأن تكون مجموعة في موضوع الخدمة المكتبية. ومجموعة أخرى تحت موضوع بناية المدرسة، وآخر تحت الإجراءات الفنية للكتبة وهكذا.

أما إذا كان البحث يضم موضوعًا واحدًا فتصنف بطاقات المعلومات هجائيًا تحت اسم المؤلف ليكون بالإمكان استرجاعها وإعادة بنائها. وكلما كان العمل منظمًا كلما نجح الباحث في عمله ووفر على نفسه الكثير من الوقت.

وهناك أسلوب آخر يتبع في جمع المعلومات وهو الدفتر المنظم أو الأوراق السائبة في(فايل)تربط الأوراق ببعض ويكتب فيها الملاحظات على وجه واحد أيضًا شرط أن تكون جميع الأوراق المدرجة بحجم واحد ومن نوع جيد سميك ذات لسان بارز لتمييز مادة عن أخرى وتصنف فيها المعلومات حسب موضوعها. وهناك يضيف الباحث كل مادة جديدة تحت موضوعها المخصص لها داخل الدفتر أو السجل.

على أية حال بإمكان الباحث اتخاذ أي أسلوب لجمع المعلومات شرط أن تكون منظمة ومصنفة بشكل لا يربكه أو يضيع عليه المادة.

خامسًا: كيفية كتابة البحث

من المراحل الصعبة التي يواجهها كاتب البحث هي المرحلة الأخيرة أي إعطاء البحث الشكل النهائي. وهذه المرحلة تعني كتابة مسودة البحث (Draft).

فالكتابة هذه تتطلب من الباحث أن يترك مسافات كبيرة لإضافة التصحيحات التي سوف تجري عليه القراءة الثانية أو الثالثة. ثم ملاحظة علامات الترقيم الصحيحة، ووضع المادة بأسلوب جديد مراعين القواعد الصحيحة للغة العربية.

إن الشكل النهائي للبحث يتكلف من الباحث أن يعطيه الكثير من وقته وصبره. أن يجلس بهدوء إلى نفسه يفكر ويركز ويضع الصحيحة والمنطقية. أن يلم أطراف الموضوع المشتتة على بطاقات وورق لا تحمل روحًا أو معنى فيعطيها الروح والمعنى فالكتابة النهائية تعطي للبحث روحه، وإعطاء الشكل النهائي يعني تحديد:

(١) صفحة العنوان.

(٢) الشكر والامتنان للآخرين الذين ساهموا بشكل أو بآخر لإعطاء الموضوع هذه الصيغة النهائية.

(٣) قائمة المحتويات.

(٤) المقدمة، وفيها فكرة عن صميم الموضوع. الهدف منه أو الغرض.

(٥) النتائج.

(٦) المقترحات والتوصيات.

في صفحة العنوان يكتب إلى اليمين من أعلى الصفحة اسم الجامعة أو المؤسسة العلمية التي ينتمي إليها طالب البحث، ويضاف إلى الأسفل اسم الأستاذ المشرف على البحث. في وسط الصفحة يذكر العنوان وتحته اسم كاتب البحث تراعي القياسات والشكل لمنظم لهذه الصفحة.

بعض الباحثين يودون تقديم الشكر إلى من ساهم أو ساعد بشكل أو بآخر في إنجاح البحث وإيصاله بالشكل النهائي.

ثم بعد تقديم الشكر والامتنان من قبل الباحثين.. توضع قائمة بمحتويات البحث(الفهرس)وتوضع الأبواب والفصول، إن كان البحث مقسمًا إلى أبواب وفصول ومباحث تذكر هذه الفصول مع إدراج عناوينها ورقم الصفحة التي تحتويها.

بعدها تأتي المقدمة لتبين الفكرة والمضمون وسبب اختيار الباحث هذا الموضوع والنهج العلمي الذي سلكه(توطئة للموضوع).

قد يذكر الباحث بعد هذه النتائج التي توصل إليها من خلال البحث وقد تكون النتائج بعد استيفاء مادة البحث-أحيانًا- شرط أن لا يكرر فيها ما ذكر في البحث والحقيقة، أقول إن أهم ما يجب تثبيته في الشكل النهائي للموضوع مهمتان أساسيتان لتعطي البحث صورته الكاملة:

أولهما: صحة المراجع والتذييل.

وثانيهما: التسلسل المنطقى للأحداث.

وأخيرًا على كاتب البحث أن لا يغفل اللغة الجيدة والقواعد الصحيحة التي تتناسب مع مستوى طالب البحث العلمي..

الببليوغرافيات والهوامش

الببيلوغرافيا: كلمة إفرنجية يعود إلى اللغة اليونانية القديمة وهي كلمة مركبة من صدر(Biblio) وهو صفة التصغير، مأخوذة من(Biblios)بمعنى (كتاب) ومن عجز(Graphia) وهو أسم فعل من(Graphien) بمعنى (ينسخ) وعندما تركب معا تبدو الكلمة بشكل التالي(Bibliographia)وقد أخذتها اللغة اللاتينية دون تغيير. ثم انتقلت إلى اللغات الأخرى وطرأ عليها بعض التغيير في حروف الكلمات ولاسيما الحروف الأخيرة منها. اللغة الإنكليزية Bibliography وفي اللغة الألمانية والفرنسية (Bibliographie). وينبغي أن نلاحظ أن اللغات الأوربية كانت وما تزال تستعمل الشكل اللاتيني للكلمة حتى بعد ظهور الأشكال الحديثة لها ولاسيما في الأعمال الببيلوغرافية ذات المستوى الأكاديمي في الطب والدين والفلسفة.

أما اللغة العربية فقد استعارت الكلمة كذلك واستفادت من مدلولها الفكري إذ أصبحت تستعمل لوصف علم قائم في المكتبات هو(علم البيبلوغرافيا)وأصبح هذا العلم من العلوم الضرورية التي يحتاج إليها في الممارسات الحديثة للتأليف.

وأخيرًا نقول إن هذه الكلمة Bibliogaphy تربط معنى بالكتاب وكان قد عرفها البيبلوغرافى الألماني (إيبرت) في القرن التاسع عشر بأنها:(العلم الذي يعالج الإنتاج الفكري) ولخصه أخيرًا بـ(علم الكتاب). أما الفرنسيون فأعطوا لهذه الكلمة تعريفًا مطاطيًا وهو:(الكتابة عن الكتب).

إن البيبلوغرافيا هي مفهوم عام لا يرتبط بزمان أو مكان معين أو بنوعية من المطبوعات المعينة بل إنما جاءت عامة على كل ما يخص الكتابة عن الكتب في أي مكان وأي زمان وأي نوع كان وقد تعني كذلك القائمة بأسماء الكتب والمطبوعات. أو قائمة تجمع منها مواد للإنتاج الفكري. فهي إذا وعاء من أوعية الرصيد الفكري بشتى مواضيعه وأشكاله.

أما عن كيفية تجميع هذه البيبلوغرافيات فتتم ضمن أسس متعددة ومختلفة ومن أهم هذه الأسس:

١- التجميع على أساس الزمان الذي تغطيه كأن تشمل فترة زمنية معينة أو عصر ما (مؤلفات القرن العشرين).

٢- التجميع على أساس المكان فنجد، بيبلوغرافيات عالمية، محلية، قومية. مثال:

أ- (الفهرس الوطني للمطبوعات العراقية) كان يحمل اسم: البيبلوغرافيا الوطنية العراقية التي تصدر عن المكتبة الوطنية في بغداد. ظهرت بموجب قانون الإيداع ١٩٧٠.

ب- النشرة البيبلوغرافية اللبنانية للانتاج الفكري والطباعي في لبنان تصدر عن دار الكتب الوطنية اللبنانية صدرت النشرة الأولى لعام ١٩٦٤ في سنة، وتقع في ١١٦ ص.

٣- التجميع على أساس المجال أو التغطية فنجد البيبلوغرافيات الشاملة Comprehensive Bibliographies والمنتخبة Selective Bibliographies

مثال للشاملة: - معجم المطبوعات العربية والمصرية. جمع وترتيب يوسف إلياس سركيس يعتبر هذا العمل من أهم الأعمال البيبلوغرافيا لشمولها لأسماء الكتب في الأقطار العربية. من يوم ظهورها:

٤- التجميع على أساس المادة المدرجة فنجد قوائم بالكتب، الدوريات، التقارير، النشرات، الخرائط، الأفلام، والمقالات، التسجيلات الصوتية.

أما من حيث ترتيب هذه القوائم فقد تأتي التجميعات هجائية تحت اسم المؤلف أو العنوان أو الموضوع، أو موضوعية مصنفة.

التعريف ببعض البيبلوغرافيات العربية القديمة

١- (الفهرست لابن النديم) المتوفى سنة ٣٨٥هـ.

٢- (مفتاح السيادة ومصباح السعادة) في موضوعات العلوم لأبي الخير أحمد المشهور بطا شكبري زاده المتوفى سنة ١٩٦٨ هـ.

٣- (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) لمصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٨ هـ.

المداخل في إعداد قوائم البيبليوغرافي (قوائم الكتب) أو المؤلفات الأخرى:

اعتمد معظم البيبلوغرافيين اسم المؤلف أساسًا لترتيب مراجع البحث أو إعداد قائمة البيبلوغرافيا.. ومن ثم تعقيب هذا الاسم (المدخل) البيانات الأخرى والتي سنوضحها في أمثلة مختلفة:

مثال اتخاذ الاسم الأول مدخلاً:

١- أحمد شلبي. كيف تكتب بحثًا أو رسالة. ط٦. القاهرة، دار الفكر، ١٩٨٦.

وقد يلاحظ في هذا المثل دقة التنقيط: توضع نقطة بعد الاسم ثم نقطة بعد العنوان. ثم تليها الطبعة تتبع بنقطة. ثم مكان النشر فاصلة (،) ثم الناشر إن كان مؤسسة أو دار نشر أو مطبعة تليها (،) ثم سنة النشر نقطة.وقد تذكر بيانات التوريق وسعر المطبوع ـ إن عرف ـ.

٢- أحمد أنور عمر. المعنى الاجتماعي للمكتبة. دراسة الأسس الخدمية للمكتبة العامة والمدرسية. ط٤. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤.

وإذا حوى الاسم على اللقب أو الكنية فيدخل تحتها مثال:

الصاوي، عبد الله إسماعيل. المراجع العربية، ط٢. القاهرة،دار الصاوي، (١٩٥٦، ص١٢٨). أو تحت الكنية كابن، وبنت، وأم، وأبو. بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن. تراثنا بين ماض وحاضر، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨، ص٢٢٤.

هذا في مجال الكتب العربية أما فيما يخص الكتب الأجنبية فتدخل عادة تحت الاسم الأخير أو لقبه أو شهرته مثال:

Gates, Jean Key. Guide to the use of books and libraries. New Youk, Pergamon, 1958.

أما في حالة كون المقال مأخوذًا من مجلة أو موسوعة مثلاً، فيذكر اسم كاتب المقالة، ثم عنوانها ويوضع بين علامتي تنصيص، وبعدها عنوان المجلة أو الموضوعة ويوضع تحته خط. ثم يتبعه رقم المجلة، فتاريخ نشر المجلد أو العدد. ثم أرقام الصفحات التي وردت فيها هذه المقالة.. وفي حالة عدم وجود كاتب للمقالة تدخل المقالة تحت عنوانها.

مثال للمقالة التي لم تحو على مؤلف وأدخلت تحت العنوان:

يوسف أسعد داغر (التوثيق العلمي وآفاقه الجديدة) مجلة عالم المكتبات، مج ٧، ع٦، ١٩٦٥. ص(٥ - ٢٠).

مثال للمقالة التي لم تمر على مؤلف وأدخلت تحت العنوان:

(الاستكشافات الجغرافية) الموسوعة العربية الميسرة. (١٩٦٥)، ص١٤٤.

أما بالنسبة للوثائق والمطبوعات والتي تصدر عن مؤسسات علمية وثقافية فتدخل هذه الوثائق والمطبوعات تحت اسم المؤسسة ثم يذكر عنوان الوثيقة أو المطبوع مثال:

١- المجمع العلمي العراقي. البحوث والمحاضرات. بغداد، مطبعة المجمع، ١٩٦٦.

٢- جامعة بغداد. المكتبة المركزية. الكتب المطبوعة في العراق لعام ١٩٦٧، بغداد، ١٩٦٧، ص١٠.

٣ - جامعة الدول العربية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التوثيق والإعلام. حلقة الخدمات المكتبية الببيلوغرافيا والتوثيق وفهارس المخطوطات العربية والوثائق القومية. القاهرة ١٩٧١، ص١٥.

أما بالنسبة للمخطوطات فتدخل تحت اسم مؤلفها ثم عنوان المخطوط ويتبع ذلك مكان وجود هذه المخطوطة - المكتبة أو المتحف التي تحتويها - ثم رقمها في فهرس المكتبة. مثال:

السهروردي، عمر بن محمد المتوفي (سنة ٦٣٢ هـ). إعلام الهدى مخطوط في مكتبة الأوقاف في بغداد، رقمه (١٣٨١٤).

الزمخشري، محمود بن عمر المتوفى (سنة ٥٣٨هـ) المستقصى من أمثال العرب. مخطوط مكتبة كوبرللى (إستانبول) رقم (١٣٨٩).

وفي حالة صدور الكتاب والمطبوع عن مؤسسة حكومية فيذكر اسم البلد ثم المؤسسة. مثال:

العراق، وزارة التربية. تقرير عن التعليم في العراق. بغداد، (١٩٦٠). ص (١٤١).

مصر. وزارة الثقافة والإرشاد. دار الكتب. قائمة بالكتب والمراجع عن السودان. القاهرة،مطبعة دار الكتب، (١٩٦٦)، ص (١٠٨).

لبنان. وزارة التربية الوطنية. دار الكتب الوطنية النشرة البيبلوغرافيا اللبنانية للإنتاج الفكري والطباعي في لبنان، بيروت، ١٩٦٤.

الهوامش والتذييل Footnotes

وهي الشروح والتعليقات أو الإشارات إلى المصادر التي أخذت عنها المعلومات. ويمكن الإشارة بإيجاز إلى المرجع إذا كانت الإشارة منفصلة في قائمة المصادر، ويكون موقع الهامش في أسفل كل صفحة.

أما كيفية كتابة هذه فيتم كما يلي:

إذا كان الهامش يرجع للكتاب ككل. فستكون المعلومات المذكورة هي نفسها المذكورة في المدخل البيبلوغرافي ولكن اسم المؤلف يظهر بالاسم الأول لا باسم العائلة. وقد لا تثبت هذه الفكرة كقاعدة عامة فقد يفضل كتابة العائلة أولاً سواء في الهامش أو في البيبلوغرافيا عند نهاية البحث.

فإذا كان اسم المصدر واردًا في القائمة البيبلوغرافية فيفضل ذكر اسم المؤلف فقط مع رقم الصفحات المقتبس منها الموضوع أو الفكرة.

الطاهر، علي جواد. منهج البحث الأدبي. (ط٢). بغداد، مكتبة النهضة، (١٩٧٠).

علي جواد الطاهر، ص (١٥).

عبد الجبار عبد الرحمن. ص (١ - ٢٣).

وفي حالة تكرار الأخذ من نفس المصدر وجاء بعده مباشرة فنذكر فقط نفس المصدر أو نفس الكتاب مع رقم الصفحات.

وفي الإنكليزية Ibid المأخوذة من الكلمة Ibidem والتي تعني نفس المكان أو نفس أو نفس المصدر.

أما في حالة الاقتباس من نفس الجزء أو الصفحة والمصدر فيقال في العربية: المصدر السابق، وفي الإنكليزية (Op.Cit) المأخوذة من الكلمة اللاتينية (Operecitato) وتعني العمل المذكور والمقصود به نفس الجزء والمكان والصفحة.

وقد يضيف الكاتب معلومات تكميلية بالهامش دون أن يحتاج إلى ذكر أرقام لها وذلك لأهمية هذه المعلومات ويشير إليها بعلامة (*) وتكتب المعلومات في أسفل الصفحة. مثال:

ويسكن معظم أهالي العراق أرض السواد[*].

ومثال آخر:

أجريت دراسات سيكولوجية على عينة من الأطفال[*] تتراوح أعمارهم بين (٥-١٤) سنة.

فالمعلومات التي تذكر في الحاشية جاءت للتوضيح فقط ولكنها ليست من صلب الموضوع.

(*) الأرض التي تحيط بدجلة والفرات وتكثر فيها الزراعة لخصوبتها.

(*) أطفال ينتمون إلى عوائل من ذوي الدخل المحدود.

المبحث الثالث
البحث وأنواعه وصلته بالمكتبة

تعريف البحث[١]

هناك تعريفات كثيرة للبحث تدور معظمها حول كونه وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلاً...على أن يتبع في هذا الفحص والاستعلام الدقيق، خطوات المنهج العلمي واختيار الطريقة والأدوات اللازمة للبحث وجمع البيانات ...

ومن بين هذه التعريفات ما يلي:

- البحث استقصاء دقيق يهدف إلى اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلاً[٢].
- البحث عن استقصاء منظم يهدف إلى إضافة معارف يمكن توصيلها، والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمي[٣].

---

(١) بدر، الدكتور أحمد، أصول البحث العلمي ومناهجه، ط(١)، ص (١٨-٢١).
(2)Whitmey , F. Elements of Research. New York, 1945, P. .
(3) Polansky, N. Social Work Research, P.2.

- البحث وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة وذلك عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها، والتي تتصل بهذه المشكلة المحددة، فالبحث يعني التنقيب عن الحقائق.

- Research is a method study by which, through the careful and exhaustive investigation of all the ascertainable evidence bearing upon a definable problem, we reach a solution to that problem(1).

فالبحث عملية تطويع الأشياء والمفاهيم Concepts والرموز، بغرض التعميم Generalization ...فالمهندس الميكانيكي أو الطبيب يعتبر باحثًا عندما يحاول التعميم عن جميع السيارات أو جميع المرضى في قطاع معين.

وعلى ذكر(التعميم) يذهب بعض الباحثين(٢) إلى أن هناك إضافات جديدة يمكن أن تنتج من البحث ولكن هذه الإضافات غير قابلة للتعميم إلا في أضيق المجالات وفي أحيان أخرى تكون الإضافة على مستوى عال من التجريد والعمومية.

أنواع البحوث

كثيرًا ما نطلق كلمة(البحث)على جميع نشاطات الدارسين، ومع ذلك إذا ألقينا نظرة سريعة على المقالات العلمية المنشورة في أي مجال سوف تتكشف لنا اختلافات أساسية بينها. فبعض المقالات يصف التجارب العلمية ونتائجها، وبعضها يعتبر مجرد تقارير عن مسح الآراء (Opinion Surveys) وبعضها يعلن عن تعميات عريضة مبنية على دليل يقدمه الباحث. وبعض هذه المقالات أيضًا

---

(1) (Hillway, Tyrus. Introduction to Research. 2nd. ed. Boston Houghton. Miffin Co., 1964, P.5.

(٢) عبد الباسط محمد حسن، المرجع السابق، ص١٤٠.

تحمل مجرد انطباعات الكاتب التي اكتسبها من دراسات غير محكمه (Uncontrolled Contact) لموضوع معين وتفسيره هو تعليله لبعض الجوانب في الموضوع الذي يقوم بدراسته ... أن نشاطات البحث متعددة وكثيرة.. فهي تشمل التجريب وألوان المسح العلمي وتحليل الوثائق والدراسات التاريخية وتفسير الأفكار والتحرير وغير ذلك. ويمكن أن نجمل نشاطات البحوث في الأنواع الثلاثة التالية:

١- البحث بمعنى التنقيب عن الحقائق.

٢- البحث بمعنى التفسير النقدي.

٣- البحث الكامل.

اختيار موضوع البحث العلمي

يجب اختيار موضوع البحث قدر الإمكان مطابق لهوى ورغبة الطالب لأن حب الطالب لموضوع معين والكتابة فيه سوف تعطيه دفعًا في الحصول على معلومات من خلال الاطلاع على أكبر عدد من المصادر والمراجع المعينة بالبحث.

بعد اختيار الموضوع يجب أن ترسم خطة عريضة للبحث(خطة أولية) فإن كان عنوان البحث ينصب حول دراسة شخصية خليفة أو وزيرًا أو قاضي تبدأ بدراسة هذه الشخصية من مراحلها الأولى:

١ - الولادة.

٢ - التسمية.

٣ - الكنية.

٤ - اللقب.

٥ - تاريخ الأسرة.

٦ - تاريخ النشأة وتشمل على التعلم والمهارات التي اكتشفها.

٧ - تاريخ تولي الخلافة.

٨ - أهم الأعمال التي قام بها وتقسم:

أ - الأعمال السياسية.

ب- الأعمال الاقتصادية.

ج - الأعمال الاجتماعية وإلى غير ذلك.

ثم تنصب دراسة الوفاة وتحديد سنة الوفاة والدفن أما إذا كان البحث ينصب حول دولة معينة فترسم الخطة كالآتي:

تأخذ البداية كيفية وصول هذه الدولة إلى الحكم وأبرز الأشخاص الذين قاموا بتأسيس الدولة ثم تأخذ الهيكل.

الفصل الثاني

المبحث الأول

التأريخ... تعريفه... منهجيته.. فوائده.. أنواعه

تعريف التاريخ ومنهجيته

التاريخ أحد العلوم الاجتماعية التى ظل الجدل يدور حول ماهيته ومنهجيته للكثير من الوقت، فإلى حد قريب كان اهتمام الباحثين منصب حول معرفة ما إذا كان التاريخ فى الحقيقة يشكل أحد العلوم الاجتماعية وجزئًا متداخلاً منها أم أنه لا يتعدى كونه فرعًا من الآداب الإنسانية القائمة على السرد الإنشائي-الأدبى فى الكتابة، لا شك أن جزءًا كبيرًا من هذا الغموض يكمن فى التاريخ نفسه، فسؤال أساسى ومهم مثل: ما هو التاريخ؟ يبقى جوابه غير مكتمل حتى بعد قراءة الفرد لكتاب مهم هو أساسًا مخصصًا لهذا الغرض كتبه(أدوارد كار)بعنوان(ما هو التاريخ).

وهناك أدبيات كثيرة ومتنوعة تدور حول السؤال المحير ذاته تتوفر لكثرة فى المكتبة، تجعل من تحديد ما هو التاريخ أمرًا ليس هينًا لكن شيْئًا واحدًا يساعد على توضيح بعض جوانب هذا الغموض يكمن فى تقرير حدود وإبعاد كلمتى: التاريخ أو التأريخ.

وقد عرف التاريخ على أنه هو الماضى ويدور حول الوقائع التى ترتبط به وهو فى هذا المعنى يقابل موضوع التاريخ- كما تقول موضوع الجغرافية والطب والفلسفة وغيرها- إلا أن الكلمة فى الوقت ذاته تنطوى على معنى العلم الذى يدرس التاريخ ويحدد خصائصه وهو ما يقابلها بالعربية وحدها تعبير: تأريخ.

والأول تعبير عن الموضوع الذى يدور حول وقائع الماضي. والثانية بمعنى العلم الذى يبحث دراسة القواعد والأصول الخاصة بدراسة هذا الماضى

وتدوينه، فهى وإن كانت لقطة غامضة بالمقارنة مع المفاهيم الأخرى المتداولة للعلوم، إلا أنها تدل على مادة التاريخ والعلم الذى تقترن بها. فنجد أول من كتب فى منهج البحث التاريخى. (حسن عثمان) يقول بأن التاريخ هو بحث واستقصاء لحوادث الماضى كما تدل على ذلك (history) وزميله (أسد رستم) ينظر إليه على أنه عملية نقد وتحقيق لهذه الحوادث. ويقول (عبد العزيز الدوري) إن التاريخ هو البحث عن الحقائق وتدوينه من جهة، وبين عملية تفسير الحقائق وتفسيرها من جهة أخرى. وهذه الحقائق والتعاريف لا تبتعد فى الحقائق عن رأى ابن خلدون الذى يقول بأن التاريخ فى أحد خصائصه لا يزيد عن أحوال الماضى وأخباره، وفى خصائصه الأخرى نظر وتحقيق لهذه الأخبار والوقائع، وهو تعريف فى غاية التطور بالنسبة إلى مفهوم التاريخ وطبيعته حتى بالمقارنة مع ما تقدم به السخاوى (ت٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) أحد المصنعين المصريين المتأخرين، وأشهر المدافعين من خلال رسالته: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ الذى يرى بأنه بحث عن وقائع الزمان ضمن موضوع يدور حول الإنسان والزمان. فإن كلمة تاريخ تعنى الماضى ووقائعه محدودة بزمان ومكان معينين.

إن التاريخ له أهمِّيَّة دون أدنى شك، فهو أولاً يدور حول سلسلة من الوقائع المتعاقبة ذات صفات معقدة، محدد الزمان والمكان معينين، فبدون هذين العنصرين لا يكون الموضوع تاريخيًا، وكذلك يشترك فى تلك الوقائع والحوادث أن تتوفر أخبار مدونة عنها وإن تنوعت أنماطها وألوانها. وقد عرّف التاريخ من قبل الدكتور فاضل جابر: إن التاريخ فى أحد تعريفاته هو "ماضى الإنسانية"[(١)]

(١) لويس جوتشلك، كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائد سليمان، وأحمد مصطفى، بيروت (١٩٦٦)، ص٥٥.

وهو تعريف يقترب من مفهوم شمس الدين السخاوي(ت ٩٠٢ هـ)أحد المؤرخين النقاد فى القرن التاسع الهجرى إذ قال:(إن التاريخ يبحث عن وقائع الزمان وأنه يتناول الإنسان والزمان)[١].

ولكن هذا التعريف يعد منقوصًا، لأنه يغفل أثر الطبيعة المذكور آنفًا من جهة ومن جهة أخرى يضفى الطابع الإنسانى على الأحداث التاريخية وهو أمر لا يمكن الأخذ به فى بعض الحالات، ولو قلنا (أنه ماضى البشرية لكان أقرب إلى الواقع، على اعتبار أن الكثير من الأحداث التى صنعها بنو البشر ليست ذات طابع إنسانى، فلا يمكن أن ينظر المؤرخ لأعمال هتلر الحربية كما ينظر إلى ابتكارات أديسون وكلاهما من بنى البشر ولكن أهدافهما مختلفة من النظرة الإنسانية فضلاً عن أن التعريف الأخير يبقى منقوصًا إذ أغفل أثر الظواهر الطبيعية فى صنع التاريخ.

منهجية التاريخ

إن منهجية البحث بالنسبة للمؤرخ ضرورية فى كل الأحوال فأبسط الأمور فى الحياة بحاجة إلى بعض الأحوال والضوابط لتفسيرها، فكيف الحال بالنسبة للمؤرخ وهو يعالج مسائل تتنوع بين التاريخ السياسى وقضايا الفكر والحضارة والنظم، مثلاً إن المؤرخ يستعمل تعابير أكثرها غير مفهومة من قبله شخصيًا، تعرف عليها خلال مراحل الدراسة والتخصص ولكنه يجهل دلالاتها، وليس توظيفها، وناهيك عن استخدامها كمعايير فى أعماله التاريخية: تعابير كالموضوعية، العامل المؤثر، البرهان فى مفهومه الفلسفى، التحليل التاريخى وغيرها، ومن ذلك أيضًا عندما ينتقل المؤرخ من معالجة المواضيع السهلة إلى المواضيع التاريخية المعقدة التى يحتاج تفسيرها إلى فلسفة التاريخ.

---

(١) السخاوى (٩٠٢هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص٧.

إن أهم ما يميز عمل المؤرخ فى وقتنا الحاضر هو المنهج الذى يتبعه فى كتابة الأعمال التاريخية التى يعمل على تطويرها شخصيًا، فالتاريخ هو ليس مجرد حكاية لحوادث ماضية، وهو ليس مجرد سرد للأحداث وتنسيقها بالأسلوب التقليدى، بل إن التاريخ حقق تقدمًا كبيرًا فى وسائل دراسته وفى مفاهيمه وفى إبراز شخصيته كعلم قائم بذاته بأصوله وقواعده.

فوائد التاريخ

يمكن إجمال فوائد التاريخ على الشكل الآتى أو بتعبير آخر أن للتاريخ فوائد عديدة أهمها:

١- الفائدة من التاريخ هو حصول الطالب على المنح الدراسية التى تخصصها الجامعة والمعهد لتكوين عنصر أعلى بين طلاب الآداب وهكذا يفتح التاريخ أبوابه على الجامعة.

٢- الاستفادة من الوظائف الحكومية التى تشترط التاريخ فى امتحان القبول مثل التعليم، أمانة المكتبات، المتاحف، السكرتارية، موظفى الخدمة الاجتماعية، موظفى الإذاعة، مراسلى الشؤون الخارجية والحربية.

٣- للتاريخ فائدة للعمل فى السلك السياسى فالذى يعمل فى السلك السياسى لابد أن تكون له خلفية فى مجال التاريخ.

٤- إن الفائدة من التاريخ هو مساعدة الطالب أكثر من أى علم آخر على تفهم الأحداث العامة والشؤون المعاصرة وما تنتج عنه تلك الأحداث.

وهناك فوائد أخرى إضافة إلى الفوائد التى ذكرناها للتاريخ منها:

أ- اتخاذ العبر وتدبير شؤون الحاضر والمستقبل.

ب- اعتزاز المواطن بتاريخ وطنه وأمته.

ج- ترسيخ الوحدة الوطنية إذ يعتبر التاريخ ترسيخًا لهذه الوحدة.

د- تكوين حوافز وقيم لدى الناشئة من أبنائها بما يبث فيهم من توعية قومية.

هـ- للتاريخ فائدة من الناحية الأخلاقية فى توسيع مدارك الناس.

و- يعد التاريخ من أهم مقومات الشخصية الوطنية والقومية.

ز- ما يتجمل به الإنسان فى المجالس والمحافل فيتطلع الجالسون إلى محاسن الأخبار لتكون رياضة لعقولهم وتذكر ة لقلوبهم.

ح- من فائدة دراسة التأريخ هو الاعتبار والتأكد من صحة الأخبار والتأكد من الوثائق المزورة والاطلاع على الجذور الأولى للكائنات والمخلوقات مما تجعل القارئ يعيش التاريخ، وكذلك[1] حفظ النسب.

صفات المؤرخ

للمؤرخ والباحث فى التاريخ صفات عديدة أهمها:

١- حب المعرفة والمثابرة فى البحث والعمل.

٢- ميزة الشك والنقد فلا يجوز له أن يقبل كل كلام أو يصدق كل رواية أو وثيقة أو مصدر دون دراسة وتقصى واستقراء.

٣- عدم التحيز والتجرد وهى مطلوبة فى كل علم فلا يجوز للمؤرخ أن يتحيز إلى قبيلته أو مدينته وإنما يكون أمينًا فى نقل النص التاريخي.

٤- ينبغى على المؤرخ أن يتحلى بالأمانة العلمية، ويقول الحقيقة بشجاعة دون تخوف أو تردد.

٥- الشعور بالمسؤولية والتواضع بما يقوم به من أعمال وهو شعور يملأ نفسه نبلاً ويدفعه إلى المزيد من العطاء.

---

(١) جابر، الدكتور فاضل، محاضرات فى منهج البحث التاريخى،(المكتبة الوطنية،٢٠٠٦)، ص١١-١٦.

٦- على المؤرخ أن يبتعد عن حب الشهرة والظهور ولا يكتب من أجل الحصول على المزايا والألقاب والمناصب.

٧- على المؤرخ أن يكون ذا عقل واع ومرتب ومنظم شأنه شأن بقية رجال العلم.

٨- على المؤرخ أن يتحلى بالاحترام التام وعدم التسرع فى منهاجه أى باحث آخر.

٩- على المؤرخ أن يكون صاحب إحساس وذوق وعاطفة وتسامح.

١٠- على المؤرخ أن يتحلى بالصبر وتحمل المتاعب من السفر وغيرها.

١١- أن تتوفر لدى المؤرخ مادة علمية لتجعله قادرًا على كتابة البحث التاريخي.

١٢- على المؤرخ أن يكون ملمًا بمنهجه ومعرفة المصادر التاريخية.

وقد أشار الدكتور مرتضى حسن النقيب[1] رئيس قسم التاريخ فى كلية الآداب - جامعة بغداد فى كتابه (المؤرخ المبتدئ) إلى صفات المؤرخ:

١- الغريزية

٢- المنهجية

الصفات الغريزية

أ- الرغبة فى التخصص فى التاريخ.

ب- القابلية فى تحمل المشاق عند التحرى عن المصادر.

ج- التحلى بالصبر وعدم اليأس.

---

(١) النقيب، مرتضى حسن(الدكتور)، المؤرخ المنتدى ومنهج البحث التاريخى، ص١٣ - ١٨.

د - التبصر ورحابة الصدر.

هـ- الابتعاد عن الكذب والتضليل.

الصفات المنهجية

أ- أن تتوفر فيه ملكة النقد.

ب- عدم التسخير.

ج- القابلية على الكتابة.

المبحث الثاني
العلوم المساعدة فى دراسة التاريخ

على الرغم من أهمية المؤهلات الشخصية والصفات التى يجب أن يتحلى بها المؤرخ التى أشرنا إليها سابقًا، فإن الذى يقبل على دراسة التاريخ وكتابته يجب أن ينال أو يكون مصيرًا ثقافيًا بصورة جيدة وأن مهنة المؤرخ شأنه شأن المهن الأخرى، لذلك لا يمكن أن يدرس التاريخ مستقلاً عن سائر العلوم والمعارف، كأن تكون هذه العلوم بجوانبها الإنسانية والعلمية ومن هذه العلوم وهي:

١ - اللغة

تأتى اللغات فى مقدمة العلوم المساعدة التى ينبغى أن يتزود بها الباحث فى التاريخ، ويتوجب على المؤرخ أن يلم باللغة الأصلية الخاصة بموضوع البحث التاريخى الذى ينوي الكتابة فيه، لأن الترجمة لا تفى بحاجة المؤرخ للوصول إلى الفهم الكامل لما يريد الاطلاع عليه، فعلى سبيل المثال أن من يرغب فى دراسة تاريخ العصور الوسطى الأوربية يجب أن يكون عارفًا باللغة اللاتينية، كذلك الحال بالنسبة لمن يريد دراسة التاريخ للكنيسة الكاثوليكية.ولكن هذه اللغة (اللاتينية) ليست ضرورية لدراسة التاريخ للثورة الفرنسية بل إن اللغة الأصلية المطلوبة هنا هى اللغة الفرنسية. كذلك لابد ممن يود دراسة العلاقات بين قطرين أو مجموعتين من البلدان أن يعرف لغة الاثنين حتى يطلع على وجهات النظر

المختلفة، فدراسة العلاقات المصرية الإنكليزية بعد الحرب العالمية الأولى تتطلب المعرفة للغة العربية واللغة الإنكليزية، ودراسة علاقات العرب فى الأندلس مع الممالك فى أسبانيا يتطلب أيضًا معرفة اللغة العربية والأسبانية وربما الفرنسية أيضًا وذلك لوجود الكثير من البحوث والدراسات التى كتبت عن هذا الموضوع باللغة الفرنسية، فكلما تعددت اللغات التى يتقنها الباحث اتسع أمامه مجال الفهم والتعرف ولاستقصاء للموضوعات الخاصة ببحثه وأمكنه الاطلاع على مختلف المجالات والمقالات والبحوث والكتب التى يمكن أن تضيف معلومات قيمة لتوصله إلى النتائج.

٢ - علم اللغة (فقه اللغة)

لا يمكن لمن يرغب فى التخصص بموضوع معين فى التأريخ أن يعرف اللغة الأصلية الخاصة بذلك الموضوع، بل عليه أيضًا أن يكون ملمًا بفقه اللغة (الفيلولوجيا) الذى يعد من العلوم المساعدة الضرورية لدراسة التأريخ، لأن اللغة تتطور وتتغير معانيها ومعانى مفرداتها من عصر إلى آخر. فلابُدَّ للمؤرخ أن يتفهم النصوص التاريخية الخاصة بالعصر الذى يدرسه بدقة تامة ولا يتأتى له ذلك إلا إذا عرف هذه اللغة معرفة تامة واطلع على ألفاظها من تغيرات مختلفة ويستطيع الباحث أن يعتمد على المعاجم اللغوية الموثوق بها فى هذا المجال لا سيما تلك التى تذكر تاريخ استخدام المفردات اللغوية وتغير معانيها من عصر إلى آخر مثل معجم (اكسفورد Oxford) بالنسبة للغة الإنكليزية أما بالنسبة إلى اللغة العربية فلا يتوفر قاموس حديث لهذا الغرض، ولكننا نستطيع العثور على تطور معانى الكلمات ومعرفة المراد منها بمراجعة قواميس اللغة العربية الشهيرة، مثل لسان العرب المحيط "لابن منظور"، و"تاج العروس" للزبيدي. وغيرها.

٣ - علم قراءة الخطوط القديمة (Paleography)

وهو من العلوم المساعدة للتاريخ لاسيما فى دراسة الحضارات القديمة الكبرى مثل قراءة الخط المسمارى الخاص بحضارة وادى الرافدين، والخط الهيروغليفى الخاص بحضارة وادى النيل والخط المسند الخاص بحضارات الدول العربية فى شبه الجزيرة العربية والخطوط اليونانية والرومانية القديمة والخطوط الأوربية فى العصور الوسطى فالذى يريد التخصص فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ودراسة إحدى الدول العربية الجنوبية، يجب عليه أن يتعلم الخط المسند ولا يمكن أن يخطر ببال أى مؤرخ أن يكتب تاريخًا لإحدى تلك الدول دون معرفته لهذا الخطاء الذى ينجم عن عدم إتقان قراءة الخطوط القديمة يمكن أن يؤدى إلى نتائج عكسية وتفسيرات لا تمت إلى الحقيقة بصلة الأمر الذى ينتج عنه عدم الدقة فى الجمع والنقد والتفسير.

٤ - الوثائق

يعد علم الوثائق من العلوم المساعدة الضرورية للمؤرخ وهو الذى يهتم بدراسة الوثائق ونقدها وتحديد زمانها، وعلى الرغم من أن هذا المصطلح حديث النشأة فى العالم الغربى، إلا أنه كان معروفًا عند العرب المسلمين، لا سيما المتخصصين فى علم الفقه والحديث، وقد اشتهر من العرب فى هذا الموضوع جملة علماء ألفوا فيه. مثل هلال بن يحيى الرازي(ت٢٤٥ هـ / ٨٥٩م) وكتابه تفسير الشروط، وأبى جعفر أحمد بن محمد الطحاوى ت (٣٢١هـ) / (٩٣٣م) وكتابه الموسوم الجامع الكبير فى علم الشروط، وأبى بكر محمد بن عبد الله البيهقى، الذى ألف فى أدب القضاء والشروط والمواثيق. وتعنى كلمة الوثائق إلى مفهومها العام كل الأصول التى يستخدمها المؤرخ للحصول على معلومات تاريخية سواء كانت مكتوبة على الورق أو غير مكتوبة كالآثار المادية، ولكنها

تعنى فى هذا المعنى الدقيق الذى اصطلح عليه المؤرخون الكتابات الرسمية - أو الشبه رسمية مثل الأوامر والقرارات والمعاهدات والاتفاقيات والمراسلات السياسية. فلابد أن ينقل الأسلوب والمصطلحات الخاصة بوثائق الذى يبحث فيه. وهناك طرق وأساليب فنية خاصة تتبع فى تحديد زمانها والتعرف على المواد المستعملة فى كتابتها، ونوعية الأقلام المستخدمة وأنواع الورق وعمره، وذلك لأجل المساعدة فى التثبت من صحة هذه الوثائق أو بطلانها.

٥ -الأختام

يتصل بعلم الوثائق دراسة علوم أخرى خاصة بالأختام والرتوك، التى تجهز بها الوثائق حيث كانت تختلف من عصر إلى آخر وقد استخدمت الأختام المعدنية من قبل الملوك والأمراء فى أزمنة مختلفة ووجدت أختام الذهب لدى بعض الملوك والأمراء فى أزمنة مختلفة ووجدت أختام الذهب عند بعض الملوك فى أوربا فى العصور الوسطى. وقد تعددت هذه الأختام وتنوعت، فمنها المستديرة، ومنا البيضوى الشكل، ومنها ما يشبه المثلث أو القلب أو الصليب.

وكان لمعظم الحكام والأمراء والخلفاء المسلمين أختام خاصة بهم، عليها شعارات وعبارات معينة تميزها من غيرها وكانوا يستعملونها فى توقيعهم على الوثائق والسجلات التى يختم عليها، كما يقول ابن خلدون (بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو إشارته يغمس فى طين أحمر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفى السجل عند طيه وإلصاقه). أما بالنسبة إلى الرتوك فإن تعرف الباحث عليها، ويجعله قادرًا على إثبات صحة ما يقع تحت يده من الوثائق أو الأسلحة كالدروع وغيرها كما يزيده هذا التعرف قابلية فى الحكم على هذه الوثائق والآثار المادية وتحديد زمنها الحقيقي.

٦ - علم الآثار

من العلوم الأخرى التى لا يمكن أن يستغنى عنها المؤرخ (الذى يبحث عن مخلفات الماضى وبقاياه الأثرية واستخراجها من باطن الأرض بالأساليب العلمية المتبعة فى التقنيات ودراستها لاستخراج الدلالة التاريخية عن أحوال الماضي) فالبحث عن الآثار أو التنقيبات هو فى الحقيقة البحث عن مادة التاريخ الأولى أى أصوله وموارده، وهى أولى المهام التى يضطلع بها المؤرخ الباحث، إن البحث عن الآثار بالطرق العلمية يعد علمًا حديثًا بدأ أول أطواره منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى، وقبل ظهور هذا العلم لم نكن نعلم شيئًا ذا قيمة عن مدينات العراق القديم ومدينات الشرق بوجه عام، وكل ما كنا نعرفه هو الأخبار الموجزة التى ورد ذكرها فى التوارث، وأخبار يسيرة أخرى من بعض مؤرخى اليونان والرومان أمثال: (هيرودس، وزينفون، بطليموس) وغيرهم وذلك لأن حضارات العراق القديمة دمرت فى أواخر أيامها من قبل أقوام أخرى كانت تعيش بالقرب منها، فدمرت مدننا مثل (بابل، نينوى، النمرود) وانطمرت الآثار التى خلفتها تحت الأنقاض، وعفا عليها الزمن، ولكن بظهور الآثار و التنقيبات استطعنا أن نميط اللثام عن هذه الكنوز القيمة ونخرجها إلى النور لتصبح المادة الرئيسة والموارد التى لا يمكن الطعن فى قيمتها وأصالتها فى دراسة تاريخ العراق القديم وبقية الحضارات الأخرى فى العالم.

٧ - العلوم الاجتماعية

هناك جملة من العلوم الاجتماعية الوثيقة الصلة بالتاريخ، والتى لا يمكن للمؤرخ الذى يسعى إلى فهم الواقع الاجتماعى للحقبة التى يدرسها من الاستغناء عنها، لأن التاريخ شامل كل الشمول، ولا يمكن أن يكون لدى المؤرخ مهما يكن لامعًا وذو معرفة وخيال كافية لإدراك جميع وجوه مادته،

فالعلوم الاجتماعية تعالج موضوعات صريحة يستطيع المؤرخ أن يكشفها خلال بحثه ومن أهم هذه العلوم ما يلي:

أ - علم الجغرافية

إن الجغرافية كانت فى مقدمة هذه العلوم التى لها صلة وثيقة بالتاريخ حيث إن للظواهر الجغرافية المختلفة والعوامل الطبيعية منزلة رئيسية فى التأثير على الإنسان وبالتالى على التاريخ، ويمثل الفيلسوف الفرنسى (فكتور كوزون) هذا الأمر خير تمثيل حيث يقول كما ينقل عنه (ولدرج وليست): (أعطنى خارطة قطر وأذكر لى صفاته السطحية ومناخه ومياهه ورياحه وكل جغرافيته الطبيعية وأذكر لى إنتاجه الطبيعى وحياته النباتية والحيوانية وسأخبرك ما سيكون عليه الإنسان فى هذا القطر وأى دور سيلعبه هذا القطر بالتأكيد فى التاريخ ليس خلال حقبة واحدة من الزمن، بل فى جميع الفترات).

ويتوضح لنا أيضًا أثر الجغرافية فى التاريخ من تدخلها أحيانًا تدخلاً حاسمًا فى تغيير مجراه، فعلى سبيل المثال، كان للعوامل أثر بارز فى عدم نجاح الحملات العربية الإسلامية فى أوربا عبر جبال البرتات (البرنيه Pyreness) التى تفصل بريطانيا عن فرنسا وذلك لأن العرب لم يكونوا متعودين على القتال فى تلك المناطق الوعرة التى تتميز بشدة الأمطار، والأراضى الموحلة، والأجواء قارصة البرد، فتوقف نشاطهم العسكرى فى حدود تلك الجبال وانحصر تاريخهم فى شبه الجزيرة الأيبيريَّة التى أثروا فيها تأثيرًا كبيرًا.

ويلعب الموقع الجغرافى لقطر من الأقطار دورًا بارزًا فى تاريخه، فإن إحاطة الجزر البريطانية بالمياه من جميع جهاتها وانفصالها عن بقية أجزاء القارة الأوربية،قد أثر فى تاريخها وحولها من كونها بقعة نائية فى طرف قارة كبيرة إلى بلاد مستقلة بذاتها لها قوانينها الخاصة وأنظمتها.

وقد ساعدها موقعها الجغرافى الفريد فى عدم تدخل أوربا فى شؤونها كما ساعدها أيضًا أن تسيطر على البحار، وتتدخل فى الشؤون الأوربية، وأن تكوِّن لنفسها أسطولاً بحريًا كبيرًا تمكنت بوساطته من فرض سيطرتها الاستعمارية على أنحاء كبيرة من العالم.

فلا بد للباحث فى التاريخ أن يتعرف على الأحوال الجغرافية المختلفة للمنطقة التى يريد التخصص فى تاريخها من أجل أن يفهم كافة الظروف الطبيعية التى تؤثر فى هذا التاريخ.

ب- علم الاقتصاد

ينبغى على دارس التاريخ أن يلم بالأجواء الاقتصادية للعصر الذى يبحث فيه لأن العوامل الاقتصادية من وسائل الإنتاج وطرقه، وتوزيع الثروة والمواد الاقتصادية وغيرها، تعد من جملة العوامل المؤثرة فى سير التاريخ، فالثروة الطبيعية لأى قطر من الأقطار هى التى تحدد شكل الإنتاج الزراعى والصناعى ونوع التبادل التجارى وكذلك فإن طريقة توزيع الثروة ومدى تركزها بيد طبقةٍ معينة أو بين فئات مختلفة يؤثر فى السياسة الداخلية للدولة، ويؤثر فى نظام الحكم بها وفى مستوى الرخاء أو الفقر وفى حياة الناس وعلاقاتهم بعضهم مع بعض، كذلك تؤثر الظروف الاقتصادية فى علاقة الدولة بالعالم الخارجى سواء أكان على المستوى الصعيد السياسى أو الاقتصادى أو العسكرى، وتؤثر الظروف الاقتصادية فى مجرى التاريخ للدولة أيضًا ومثال على ذلك الثورة الصناعية التى حدثت فى بلدان أوربا فى القرن الثامن عشر الميلادى، وكان للاقتصاد أثر فعال فى الصراع الذى نشأ بين نابليون بونابرت وإنكلترا، فقد حاول كل منهما أن يستخدمه للقضاء على الطرف الآخر.

ج- علم الإنسان

كان علم الإنسان من أكثر العلوم الاجتماعية صلة بالتاريخ، فهو يعالج المسائل التاريخية عند تتبعه مجرى التطور البشرى وانتشار بنى الإنسان على سطح الأرض ونشوء الثقافات الإنسانية، كما يدرس مؤسسات المجتمعات الأولى وأديانها وفنونها وطقوسها وشعائرها وقيمها ونظرياتها إلى الحياة وتقاليدها وخلاصة القول أنه يهتم بحضاراتها جملة وتفصيلاً. لهذا فإن الاهتمام به لمعرفة أحوال المجتمعات مفيد جدًا لدارس التاريخ الذى يهتم هو الآخر بالإنسان والمجتمع.

د- علم الاجتماع

يعد أيضًا من العلوم المساعدة للتاريخ، فهو كذلك لإنسان يهتم اهتمامًا كبيرًا بالأفعال والعلاقات الإنسانية، كما يدرس المجتمع وبناءه ووظائفه وعملياته، وهذه تدخل أيضًا ضمن اهتمامات المؤرخ وهكذا فإن العلاقة وثيقة جدًا بين علم الاجتماع والتاريخ، وأن من مشاهير الباحثين هو (جورج هوارد) حيث قال: (التاريخ هو علم اجتماعى الماضى وعلم الاجتماع هو تاريخ الحاضر) فدراسته إذ تقدم للمؤرخ حافزًا للاهتمام بالتاريخ الاجتماعى للعصر الذى يبحث فيه، لأنه يقتصر على مجرد السرد الممل للمعارك، أو لتؤرخ للملوك والقادة والنبلاء. ويقول الدكتور فاضل جابر (أن علم التأريخ فى حقيقته أحد العلوم الاجتماعية لأنه يهتم بالنشاط الإنساني)[1].

هـ- الأدب

يفيد المؤرخ ويعينه على تفهم تاريخ الأمم التى يدرسها لأنه المادة التى تعكس

---

(١) الدكتور فاضل جابر، محاضرات فى منهج البحث التاريخى، ص٦٢.

أحوال العصور وهو تعبير عن أفكار الإنسان وعواطفه، وطموحه وأحاسيسه ويكون النتاج الأدبى فى بعض الحالات مصدرًا رئيسيًّا لمعرفة أحوال عصر من العصور، وخير مثال على ذلك، الشعر العربى قبل الإسلام وما جاء فيه من مادة غزيرة عن أحوال العرب قبل الإسلام فهو وإن لم يكن فى ذاته نصًا تاريخيًا، إلا أنه بالنسبة لتاريخ الدول العربية يعد سجلًا معاصرًا لأخلاق العرب وحياتهم كما قال ابن خلدون(ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وأخطائهم وأصلاً يرجعون إليه فى الكثير من علومهم وحكمهم). فإن الأدب المصرى القديم مثلاً يساعد على تفهم نواحى مختلفة من الحياة المصرية القديمة، فقد تناول الكتاب المصريون القدماء كثيرًا من القضايا الخاصة بمجتمعهم فكشفوا عن الآلهة وعن الحياة الأخرى وكتبوا عن الغزل، والحب، والغيرة، ودونوا قصصًا خيالية ورسموا فيها حياة الأبطال ونظموا الأدب التعليمى لتهذيب الأبناء الصغار كما كتبوا فى موضوع ما من التاريخ العربى وكذلك الأمر بالنسبة لأهمية الأدب الفرنسى والإنكليزى لفهم التاريخ الفرنسى والإنكليزي.

و- الرسم والتصوير والنحت والعمارة والموسيقى

يساعد الإلمام ببعض جوانب فن الرسم والتصوير والنحت، الخاصة بعصر المؤرخ على فهم تاريخه، لأن هذه الفنون هى مرآة، وهى تعكس صورة دقيقة عن حضارات البلاد التى هى موضوع بحث المؤرخ وكذلك الحال بالنسبة للفنون: الموسيقى وما يرتبط بالفنون المسرحية والرقصات الشعبية التى تكشف عن الكثير من الوقائع والحقائق الخاصة بعصور التاريخ والتى لا تكفى المدونات التاريخية، أو الوصفية، أو الأدبية فى التعبير عنها، ونضرب مثلاً على ذلك، فمن يرغب بالتخصص فى ناحية تاريخ العصور الوسطى فى جنوب فرنسا، عليه أن يعرف شيئًا عن الألحان الشعبية لشعراء (التروبادور) التى كانوا يؤدونها مصحوبة بحركات الرقص الجماعى والغناء. وأن يدرك أن هذا الفن ما هو إلا

حصيلة التأثير التى تركته الحضارة العربية الإسلامية التى انتقل من المشرق عبر الأندلس إلى جنوب فرنسا ومنها إلى أقطار أوربية.

ز- الشعر

فمن الضرورى لمن يدرس التاريخ لبلد معين أن يقضى فترات متعددة فى ذلك البلد ليطلع على البيئة الأصلية التى يتعامل معها، ويشاهد ظروفها الطبيعية وأحوالها وسكانها، فيكون بذلك أقرب بالوصول إلى الحقيقة التى ينشدها، فمن يكتب عن تاريخ الأندلس على سبيل المثال، وكيفية الشواهد الحقيقة لهذا الإنجاز العظيم فالوقوف فى، طنجة، وسبتة، وعلى سواحل مضيق جبل طارق من جهة البرِّ الأفريقى يعطى المؤرخ انطباعًا حقيقيًا وشعورًا صادقًا، ومزيدًا من القابلية على تحليل موقف القائد طارق بن زياد حيث فكر بالعبور مع قواته العربية الإسلامية إلى البر الثانى فى شبه الجزيرة الأيبيرية، وخلاصة القول فإن المؤرخين يجب أن يعرف المدن التى قام بها القائد ومسيرته عمليًا ونظريًا.

٨ - الحاسوب والإنترنت

لقد أحدثت الاختراعات الخاصة فى وسائل المعلوماتية ثورة حقيقية ليس على صعيد التكنولوجيا الإلكترونية فحسب، بل فى طرق الحصول على المعلومات بوفرة ويسر وسرعة فائقة، إن بعض الاختصاصات التاريخية كالتاريخ الإسلامى مثلاً أتيحت لباحثين فيه فرص كبيرة للحصول على ما يريدونه من معلومات، وذلك لأن معظم أمهات المصادر فى التاريخ الإسلامى أصبحت على شكل مكتبات تضمنها الأقراص المدمجة (C.D) مثل مكتبة التاريخ والحضارة والمكتبة الفقهية التى ضمت أكثر من ثلاثة آلاف عنوان فى علوم القرآن والحديث والفقه والتاريخ والأدب وجميع هذه المؤلفات يحتاجها المؤرخ بنسب متفاوتة. وهذه الكتب التى تضم عشرات الآلاف من الصفحات يمكن

الحصول على أية معلومة يريدها بظرف ثوان معدودات بعد تغذية الحاسب الآلى بتلك المعلومة. ولكن هناك أمر مهم ربما سيخسره الباحث المبتدئ إذا ما استعان بهذا الحاسوب ابتداءً دون مطالعة الكتب لأن تلك المطالعة ستوسع مداركه وتكسبه خبرة لا يحصل عليها إذا ما اعتمد على الحاسوب فقط، وعلى أية حال فإن الباحث الذى يروم الكتابة فى موضوع معين عليه أن لا يكتفى بتغذية الحاسوب بمعلومة واحدة أو اثنتين بل يحاول أن يدخل جميع المفردات والمعلومات ذات الصلة القريبة والبعيدة من الموضوع، فمن يبحث فى المكتبات إبان العصر العباسى مثلاً عليه أن يحصى أولاً الكلمات والعبارات ذات العلاقة بهذا الموضوع مثل- مكتبة - كتب - خزانة - دار الكتب - دار الحكمة - دار العلم - صوان الحكمة - دلائل الكتب - خزائن الكتب - مدرسة - جامع - فضلاً عن تراجم أشخاص يتوقع أنهم امتلكوا مكتبات فى تلك العصور، فكل هذه المصطلحات من المتوقع أن نحصل من خلالها على معلومات عن تاريخ المكتبات فى العصر العباسي.

إن المعلومات التى توفرها المكتبات المحملة على الأقراص المدمجة عن التاريخ الإسلامى، هى فى معظمها من المصادر الأولية، ولكن يجب التنبيه على أن هذه المكتبات لا تضم جميع المصادر الأولية من جهة ومن جهة ثانية يجب التعامل مع بعضها بحذر أو مقارنة بعض النصوص المختارة عشوائيًا من المصدر الأول المراد النقل منه مع نسخته الموجودة على الحاسوب للتأكد من صحة نسخها. أما البحوث والمقالات والمراجع الحديثة لمواضيع هذا الاختصاص فيمكن الحصول عليها من شبكة المعلومات الدولية(الإنترنت)فهناك مواقع معينة يمكن للباحث الدخول عليها والحصول على ما هو متوفر فيها من معلومات تخص الموضوع الذى بصدد البحث فيه مثل googel islam on Liene ....الخ.

وقد ظهرت بعض المؤلفات فى هذا الخصوص لعل أولها كتاب (مستقبل

الكتابة التاريخية فى عصر العولمة والإنترنت) لمؤلفه إبراهيم بوتشيش أحد الباحثين المغاربة.

والواقع أن الحديث عن هذا التطور الكبير فى وسائل الحصول على المصادر والمعلومات يذكرنا بالوسائل القديمة التى كان يستعين بها المؤرخون القدامى فى تأليف كتبهم، وهى وسائل غاية فى البساطة، يروى أن محمد بن إسحاق حينما ألف كتابه فى سيرة الرسول ﷺ كتبه على الجلود والعظام وجريد النخيل وحمله على جمل من الشام إلى المدينة المنورة وهو كتاب واحد لا غير. والعجب كل العجب حين نقرأ أن مؤرخًا كابن الجوزى البغدادى (ت ٥٩٧هـ) وجلال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ) ألفًا مئات المؤلفات فى عصر لا تتوفر فيه وسائل الحياة الحديثة مثل الكهرباء وأدوات الكتابة الحديثة وأجهزة الاستنساخ.

المبحث الثالث

طرق البحث التاريخي

إن طرق البحث كثيرة ومتنوعة، بعضها يتوفر بأطر بسيطة غير منهجية كالطريقة الإنشائية، وبعضها متطورة شاملة تستند إلى أصول وقواعد منهج البحث التاريخى، كالطريقة التحليلية ذات الطبيعة الشمولية فى معالجة مسائل الكتابة التاريخية والصعوبات التى تنجم عنها عملية الكتابة عند المؤرخ.

وفيما يلى أهم الخصوصيات لهذه الطرق وجوانب التمايز بين بعضها البعض الآخر بالنسبة لمهنة المؤرخ:

١- الطريقة الإنشائية

وهى طريقة الجيل الماضى من المؤرخين فى الكتابة، وأساس موضوعها التاريخ السياسى للدولة والحكومات والتراجم وجوانب الحضارة حيث تصلح عناصرها التى تتكون منها لتغطية مفردات ذلك التاريخ على أحسن وجه.

تعتمد الطريقة الإنشائية على أسلوب السَّرْد للحادثة بقالب من البيان ولغة الأدب الرفيع، فيما يكتبه (الباحث- المؤرخ) هنا أشبه بالقصة المشوقة التى يطلق منها خياله لعنانه، بحيث تضم بمحتواها كل شيء من مفتتح الحادثة إلى نتائجها، وبلا تحديد لكمية الحقائق التاريخية التى تدخل فى الدراسة القائمة على أصولها.

٢- الطريقة الفيلولوجية

تعتمد هذه الطريقة على التحليل اللغوى للمصطلحات والتعابير اللغوية التاريخية وتقاس بوسائل المقارنة لاستخراج المعانى الدالة عليها كما يحدث عند نبع الباحث لمفاهيم من مواضيع النظم والحضارة، كفحص مفهوم الخلافة والوزارة من حيث أصولها اللغوية والتاريخية، وبدون شك أن التحليل اللغوى يوفر للباحث - المؤرخ آفاق التحرى والتعرف على الخصائص التاريخية، يصعب الوصول إليها من دون تلك المعلومات والوسائل، كالحالة التى يمثلها كتاب محمود كالشغرى المسمى "تاريخ لغة الترك" وما يوفره من معلومات عن أصول السلاجقة ومجتمعاتهم الرعوية فى تركستان قبل تحولهم إلى دولة كبرى تحكم كلاً من إيران والعراق. تصلح الطريقة الفيلولوجية للمقالة القصيرة ذات الجهد والهدف المحدودين ونجد النماذج منها فى كثير من مقالات دائرة المعارف الإسلامية.

٣- الطريقة الوصفية

تقوم الطريقة الوصفية على الوصف التاريخى للحادثة، الذى هو أحد عناصر عملية الكتابة الهامة، وما من أحد ينازع ما للوصف من أهمية بالنسبة لتلك العملية ولنجاح مهمة المؤرخ، إلا أن عملية الوصف ذاتها ليست شيئًا سهلاً لأنه يحتاج إلى ذهنية مؤرخ صادقة، والتدريب العملى على المهنة للمبتدئ يُعَدّ شيئًا ضروريًا لتحقيق هذه المسألة، لا تثير الطريقة الوصفية مشاكل كثيرة للمؤرخ عند التطبيق، فهى توفر ملاحظات جيدة له تساعد على عرضها وتثبيتها بالنسبة إلى الموصوف.

إلا أن مثل هذه الملاحظات، كما توفرها الطريقة الوصفية لتعتبر نهائية فى عملية البحث، فهى فى كل التقديرات لا تقابل إلا خطوة واحدة فى عملية البحث المضنية هذه، ولابد من إكمالها بالوسائل الأخرى المتوفرة له.

٤- الطريقة الإحصائية

تأخذ الطريقة الإحصائية أسسها من العلم الذى تنتمى إليه، الإحصاء الذى هو أحد فروع الاقتصاد الهامة، أما من وجهة النظر التاريخية فتقوم على مجمل الذخيرة التى تحويها المصادر من معلومات أولية بشكل إحصاءات وبيانات وجداول وما يشبهها من معلومات إحصائية قائمة بعد تصنيفها طبقًا لأسس التحليل الإحصائى وتفسيرها. وفى التاريخ الإسلامى هنالك الكثير من المواضيع التاريخية تصلح لأن تكون نموذجًا رائعًا لتطبيق الطريقة الإحصائية والاستفادة من عناصرها منهجيًا رغم آصطدامها ببعض المعوقات التى تخص طبيعة هذا الاختصاص، كمواضيع الأصناف والحرف وما يخص مهن الفقهاء والعلماء والمسلمين وقضايا المدنية ومراكزها الحضرية، فكلها مواضيع تصلح لتطبيق الطريقة الإحصائية عليها، وتشجع على المضى فى إنجازها تيقنا بالحصول على أفضل النتائج التى يبحث عن تحقيقها المؤرخ، مع أن التاريخ الإسلامى فى طبيعة مصادره معروف بقلة المادة الإحصائية وبشحة مفرداته، مما يقلل من قيمة الطريقة الإحصائية وفوائدها، إذ لا يمكن للطريقة الإحصائية أن تؤدى وظيفتها فى عملية البحث إذا كانت المادة الأولية المتوفرة قليلة أو نادرة.

٥- الطريقة التحليلية

تعتمد على مبدأ التحليل للنص فى العمل الكتابى، فكل ما يسطر المؤرخ إلى توظيفه من حادثة وخبر أو وثيقة ذات صلة وغيرها تحتاج إلى تدقيق فى صحة المعلومات الواردة فيه حتى تصلح أن تتحول إلى مادة تاريخية بعيدة عن الشك والتناقض وعدم القبول، والطريقة التحليلية بمزاياها المتنوعة، تحقق أعلى قدر من الحقائق هذه الأهداف مجتمعة.

إن من أهم السمات للطريقة التحليلية وأفضل مزاياها هو أنها جمعت فى

جوانب من خصائصها حسنات الطريقة الوصفية، والتى تعالج فى مادتها وإجاباتها مشكلة التعرف على ماذا حدث، ضمن وقائع الحادثة الواحدة وتفصيلاتها، مما يهيئ إحدى أهم خطوات المؤرخ فى عملية الكتابة التاريخية، والأهم من هذا أن الطريقة التحليلية تضمن للمؤرخ مادة بحث تاريخية غزيرة لا توفرها طرائق البحث الأخرى بأساليب الأسئلة والمقارنة المستثمرة ووسائل التحليل الأخرى بحيث تضمن للقارئ فى نهايتها قراءة مشوقة من البحث الأكاديمى الممتع لأن مثل هذا النتاج الذى تجمع كمسودة لا يمكن أن يكون شيئًا إنشائيًا أو خليطًا من هذا والمادة التاريخية المدونة لأن الطريقة التحليلية تتعارض أساسًا مع الأسلوب الإنشائى فى كتابة التاريخ.

المبحث الرابع
اختيار عنوان البحث وجمع الأصول

١ - اختيار عنوان البحث (موضوع البحث)

يعد اختيار الموضوع فى مقدمة الأمور التى يجب أن يضطلع بها الطالب عند قيامه بعملية البحث التاريخى، وتختلف مسألة اختيار البحث بالنسبة للطالب فى المراحل الأولى للتعليم الجامعى عنها عند الباحث الذى يلتحق بالدراسات العليا لإعداد رسالة الماجستير أو الدكتوراه. فالطالب المبتدئ فى الجامعة لا ينتظر منه أن يقدم بحثًا علميًا أصيلاً غير أنه يقوم بعملية البحث لأجل الإعداد والتدريب ولهذا فإن اختياره لموضوع البحث يتم عادة بإرشاد أساتذته الذين يشيرون عليه بمواضيع تاريخية متنوعة لها علاقة بمادة الدرس التى يكون فيها عمل البحث، وغالبًا ما يكون الموضوع موضوعًا عامًا يتمكن الطالب من التعرف عليه والإحاطة به بسهولة، ويمكن للطالب أن يزيد من معلوماته الأولية عن موضوع البحث المختار، فى هذه الحالة يقرأ المصادر والمراجع الخاصة بمادة الدرس، ومراجعة دوائر المعارف والمعاجم التى توفر معلومات سريعة عن الأعلام والأماكن. وتزود الطالب بقائمة من المصادر والمراجع التى لها صلة بالموضوع، وبعد ذلك يتجه الطالب إلى الكتب التى تختص أكثر بموضوع بحثه ليستخلص منها المعلومات التى يستعين بها فى إعداد البحث، إن هذا النوع من البحوث يدخل ضمن البحوث القصيرة.

أما البحوث التى يقع الاختيار عليها بالنسبة للدراسات العليا، فيجب أن تتميز بمميزات معينة، فيها أطول وأكبر من حيث الحجم والمادة التى يجب أن تضمنها كما يجب أن تتميز بالجدية والأصالة والابتكار، لأنها ستكون جزءًا أساسيًا من المواد التى يجب أن يستوفيها الطالب للحصول على الشهادة العلمية، وفى مثل هذا النوع من البحوث تقع مسؤولية الاختيار على عاتق الطالب وحده. الذى يجب أن يقرأ ويطالع الكثير من المصادر التى لها علاقة قريبة بالموضوع وفى الحقيقة أن اختيار مواضيع البحوث لهذه الدراسات ليس أمرًا سهلاً لذلك نرى أن معظم طلبة الدراسات العليا يلجأون إلى أساتذتهم ليختاروا لهم الموضوعات التى يبحثون وهذا أمرٌ خطير يجب التحذير له.

إن هؤلاء الأساتذة ربما كانوا لا يعرفون ميول الطلبة أو قدراتهم حقيقة فيشيرون عليهم بموضوعات لا تتفق مع هذه القدرات والميول. وعليه فإن اختيار موضوع البحث وعنوانه يجب أن يكون من قبل الطالب وأن يطلع على المصادر والمراجع التى تتناول العنوان ويشترط أن يكون موضوع البحث جذابا[1].

إن أهم ما يجب مراعاته فى اختيار مواضيع البحث هى رغبة الطالب فيه والجدية فى الموضوع وأهميته وحصر وضيق ميدانه ووفرة المادة والمصادر والمراجع، والقدرة على معالجته، ويجب على الطالب إذا وجد فى نفسه ميلاً لدراسة موضوع ما لأن يسأل نفسه الأسئلة التالية.

أ- هل يستحق هذا الموضوع ما سيبذل فيه من جهد؟

ب- أمن الممكن كتابة رسالة عن هذا الموضوع؟

---

(١) الدكتور فاضل جابر، محاضرات فى منهج البحث التأريخى، ص٧٥.

ج- أفى طاقتى أن أقوم بهذا العمل؟

د- هل أحب هذا الموضوع وأميل إليه؟

فإذا كانت الإجابة بالنفى عن أى من هذه الأسئلة فعلى الطالب أن يحاول الكتابة فى موضوع آخر، دون أن يهدر جهده فى بحث لا يمكن أن تستكمل فيه عوامل النجاح.

٢ - خطة البحث

بعد أن يتم اختيار الموضوع الذى يتفق مع اختصاص وميول ومقدرة الطالب يجب التفكير فى وضع خطة أو هيكل عام مؤقت للبحث يتوخى فيه الترتيب المنطقى المتسلسل، والوحدة فى الموضوع، وتختلف المواضيع عادة فى المقترحة وذلك تبعًا لطبيعة المادة، وحجم البحث، والمدة المقررة لدراسته وغيرها من المؤثرات الأخرى، وعلى أية حال يمكن للطالب أن ينتفع بجهود من سبقوه، لاسيما أولئك الذين كتبوا رسائل جامعية ناجحة وحيث يستطيع أن يراجع تلك الرسائل التى تماثل موضوعه، ضمن اختصاصه العام وليس بمعنى هذا أن الطالب سيتبع نفس الخطة التى كتبت بها تلك البحوث العلمية، بل ليسترشد بها فى وضع الخطوط العامة لبحثه، مع ملاحظة اختلاف الظروف من موضوع إلى آخر ومن فكرة إلى أخرى، وعلى أية حال فإن كل خطة أو هيكل للبحث لابد أن يحتوى على العنوان الذى يجب أن يكون مختصرًا وواضحًا، ومنبثقًا من الموضوع ذاته، والمقدمة التى تشير إلى أهمية الموضوع ومبررات اختياره، ووصف البحوث التى اعتمدها الطالب بالدرجة الأولى. ثم يلي المقدمة متن البحث الذى يحتوى على أبواب وفصول بالنسبة إلى الرسائل الكبيرة، لاسيما رسالة الماجستير والدكتوراه. أما بالنسبة إلى البحوث الصغيرة التى تقدم فى المراحل الأولى من الدراسة الجامعية فلا تحتاج إلى مثل هذا التفصيل، ثم تأتى الخاتمة فى آخر البحث

حيث يجمل فيها الأفكار والنتائج، ولا يجوز أن تعد الخطة ارتجالاً، دون أساس مقبول بل يجب أن تكون مدروسة. فإن الخطة تكون مؤقتة فى بداية البحث وهى معروضة للتغير والزيادة والحذف والتقديم والتأخير حسب الظروف والمادة التى يحصل عليها الطالب أثناء جمع المعلومات.

٣ - جمع الأصول (التقميش)

إن اختيار موضوع البحث، ووضع خطة أولية له، ما هى إلا بداية الطريق للشروع فى عملية إنجاز البحث، ولا بد من الرجوع إلى الأصول والمصادر والوثائق لجمع المادة التاريخية اللازمة لكتابة البحث، ويطلق على هذه العملية اسم جمع الأصول: (التقميش). وقد جاءت اللفظة الأخيرة فى المعاجم العربية بمعنى (جمع الشيء) وأول من استخدمها من المحدثين هو أسد رستم والأصول أو المصادر، ما هى إلا آثار متخلفة عن الأحداث التاريخية ولهذا فهى تسمى أيضًا بالوثائق، ولا يمكن أن يقوم التاريخ إلا على أساس من وثائق. وإذا ما فقدت هذه الوثائق أو الأصول، ضاع التاريخ (إذ لا بديل عن الوثائق وحيث لا وثائق فلا تاريخ) لهذا فإن الخطوة الأولى بعد اختيار الموضوع هى البحث عن الوثائق المتعلقة به.

أقسام البحث

يتألف البحث عادة من أقسام مختلفة، منها أساسية لابد من توفرها فى كل بحث مثل صفحة العنوان، ومحتوى البحث، والمقدمة ومن ثم متن البحث أو هيكله (الذى يتألف من أبواب وفصول أو مباحث)، وأخيرًا الخاتمة والفهارس الفنية ويضاف إلى هذه الأقسام فى بعض البحوث صفحة للإهداء وأخرى للشكر والتقدير وبعض الرسوم والجداول والملاحق إذا تطلبت طبيعة البحث.

أولاً: صفحة العنوان

يجب أن تشمل هذه الصفحة على عنوان البحث الكامل مع اسم الباحث والمرحلة والقسم والكلية التى ينتمى إليها، وبالنسبة إلى الرسائل التى تقدم إلى الدراسات العليا يجب التقيد بترتيب هذه الصفحة حسب التعليمات التى تقرها الجامعة المعنية فإن هذه الصفحة لابد وأن تحتوى على الأمور الآتية:

(١) عنوان البحث.

(٢) اسم مقدم البحث.

(٣) الدرجة العلمية التى يرغب الباحث بالحصول عليها.

(٤) اسم المعهد أو الكلية التى يتبعها الباحث والقسم العلمي.

(٥) اسم الأستاذ المشرف(وقد لا يضاف فى بعض الجامعات).

(٦) الشهر والعام الدراسي.

ثانيًا: صفحة الإهداء

ليس الإهداء ضروريًا، لاسيما فى البحوث الصغيرة، أو الرسائل العلمية، وهو غالبًا ما يكون فى الكتب، ولكن إذا ما شعر الطالب بحاجة إلى كتابة الإهداء إلى جهة معينة أو شخص معين أو مؤسسة خاصة بذلت جهدًا واضحًا من أجل البحث بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فلا بأس من تثبيت ذلك فى صفحة مستقلة بعد صفحة العنوان مباشرة، ويجب أن يكون الإهداء مقتصرًا، وألا يوجه إلى الأستاذ المشرف، كى لا يفهم أنه وسيلة من وسائل المداهنة أو التملُّق.

ثالثًا: صفحة الشكر والتقدير

لا تعد هذه الصفحة أيضًا إلزامية بالنسبة إلى الباحث، ولكن جرى العرف أن يكتب الطلبة كلمة تقدير وشكر إلى الهيئات والأفراد الذين ساعدوا الباحث فى

البحث وتكون هذه الصفحة بعد الإهداء ويكون عنوانها(تقدير واعتراف) أو (شكر وتقدير). ويجب أن يكون الشكر بسيطًا، ليس فيه إسراف أو مجاملة ويكرس للذين أبدوا المساعدة للباحث فعلاً.

رابعًا: محتويات البحث أو الفهرس

ويلى صفحة الشكر والتقدير فهرس البحث أو محتويات الرسالة، ويشتمل على أجزاء البحث كله بما فيه من تمهيدات، ونص، وملاحق، فهو يختلف عن خطة البحث العامة المؤقتة التى أشرنا إليها سابقًا. وتشتمل المحتويات على المقدمة، وفهرس المادة العلمية التى تكون متن البحث ومن ثم فهرس الجداول والرسوم والخرائط والصور والملاحق والوثائق إن وجدت ويرقم كل ما لا يدخل فى صلب الموضوع غالبًا بالحروف الأبجدية أما الموضوعات الأساسية فترقم ترقيمًا عدديًا.

خامسًا: المقدمة

تعد المقدمة البوابة الرئيسية التى يدخل منها إلى صلب موضوع البحث فهى المرآة التى تعكس نوايا الباحث، وغاياته من معالجة الموضوع، ولهذا فهى تحفز القارئ على الاستمرار فى قراءة البحث أو تركه جانبًا. ونظرًا لأهميتها فإن الكثيرين من الباحثين يعدونها بمثابة الفصل الأول لبحوثهم المؤلفة من عدة فصول.

وعادة تكتب المقدمة بعد انتهاء الطالب من كتابة بحثه وتثبيته بعد صفحة المحتويات وترقم صفحاتها بالحروف الأبجدية وتشمل المقدمة ما يكتب فى الفصل من مادة علمية إضافة إلى التحليل وإلى المصادر والمراجع التى استند إليها الباحث وإظهار الفائدة منها ومدى قيمتها العلمية وتعد هذه النقطة من النقاط الأساسية المهمة فى المقدمة.

لقد ميز بعض الباحثين بين مصطلحين متشابهين هما التاريخ والتأْريخ.

فالأول يشير إلى الأحداث التى وقعت فى الماضى فى زمان ومكان محددين والثانى يعنى تدوين تلك الأحداث[1]. ولما كانت الأحداث التاريخية مرتبطة دائمًا بزمان معين فقد عرف التاريخ من حيث اللغة بأنه(التعريف بالوقت) [2] وهو تعريف لا يمكن الاعتماد عليه من قبل المؤرخ لأنه يغفل ذكر مكان الحدث وصانعه.

إن ابن خلدون هو من أوائل المؤرخين المسلمين الذين طبعوا التاريخ بالطابع العلمى حينما ميز بين التاريخ وعلم التاريخ، يفهم ذلك من قوله:(أن التاريخ فى ظاهره لا يزيد عن أخبار الأيام والدول وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، لذلك فهو أصيل فى الحكمة عريق جدير أن يعد من علومها وخليق)[3]. فالتاريخ عنده ظاهر وباطن وأن الأسس المتبعة فى التحقق من صحة الحوادث التاريخية هى التى تجعل التاريخ علمًا بين العلوم.

٣ - الحادثة التاريخية وخبرها

إن التاريخ فى أحد تعاريفه: هو حوادث وسنين، والحادثة التاريخية قد تقع بفعل الإنسان أو الطبيعة، وقد تكون حادثة كبيرة كسقوط دولة من الدول على أثر غزو عسكرى مثل سقوط الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ وهذه بفعل النشاط السلبى للإنسان، وقد تحدث حوادث كبرى نتيجة لغضب الطبيعة إن صح التعبير، فبعض الحضارات اندثرت على أثر تحول مجرى الأنهار مثلما أن معظم الحضارات قامت على ضفاف الأنهار أو البحار.

---

(١) الجوهرى، الصحاح، ص١٣.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الدكتور فاضل جابر، محاضرات فى منهج البحث التأريخى، ص٢.

٤ - مصطلحات تاريخية

الخبر: هو الإعلام بالحدث التاريخى أو الإعلان عنه، فالحدث يقع أولاً ثم يخبر به أو يعلن عنه، غير أن صحة الخبر تتوقف على مدى مصداقية مصدر الخبر، فالمشاهد للحدث والمطلع على حيثياته أكثر ثقة من الناقل لخبره عن طريق السماع ولذا كان بعض المؤرخين المسلمين لا يكتفون بسماع الأخبار بل يذهبون لمواقع الأحداث طلبًا للمصداقية. وقد قرن المؤرخون المسلمون الخبر بالمشاهدة واشترطوا بالراوى أن يكون شاهد عيان للواقعة أو الحادثة[١].

الإخباري: إن الكتب التاريخية الأولى ظهرت على شكل أخبار ومؤلفها يسمى إخبارى ومن أشهر الإخباريين أبو مخنف والهيثم بن عدى والمدائني.

المؤرخ: ظهر مصطلح المؤرخ عند المسلمين بعد مصطلح الإخبارى وعندما تطورت الكتابات التاريخية وأخذت تتجه اتجاها علميًا لها منهج معروف. ومصطلح المؤرخ يطلق على من ألف كتابًا تاريخيًا أو أكثر فى العصور الإسلامية أما فى العصر الحديث فإن المؤرخ له صفات وشروط يجب أن تتوفر به وهناك فرق بين الهاوى لكتابة الأحداث وبين من يكتب التاريخ وفقًا للمنهج العلمى الحديث.

المؤلف: إن كل من ألف كتابًا تتوافر به الشروط العلمية يسمى مؤلفًا والمؤرخ مؤلف ولكن ليس بالضرورة أن يكون كل مؤلف من المؤرخين فقد يؤلف فى أكثر من علم ليس بينها كتاب تاريخى واحد ومصطلح مؤلف = مصطلح مصنف.

علم التاريخ: هو العلم التى يهتم بدراسة الأحداث التاريخية التى وقعت فى

(١) طه باقر وعبد العزيز محمد، طرق البحث فى التاريخ والآثار، ص٣٦ - ٣٧.

الماضى بفعل الإنسان أو الظواهر الطبيعية من أجل الوصول للحقيقة التاريخية بالاعتماد على الأسس العلمية التى أقرها المنهج العلمى فى البحث التاريخى، فعلم التاريخ إذًا يعتمد على (سجل الماضي) أي (التاريخ) من أجل إثبات الحقيقة التاريخية والمؤرخ هو المتخصص فى العلم والعامل عليه.

وخلاصة القول أن علم التاريخ له أركان عدة هى: - الزمان-المكان - صانع الحدث - الحدث - الخبر- سجل الأحداث- عالم التاريخ، فهذه الأركان مترابطة ترابطًا وثيقًا لا يمكن للمؤرخ الناقد أن يصل إلى الحقيقة التاريخية أو إلى مقربة منها إلا بمعرفتها جميعًا وإخضاعًا للأسس العلمية الحديثة كالنقد والتحليل والتعليل والمقارنة.

إن هدف علم التاريخ لا يتوقف عند إثبات الحقائق التاريخية، فهناك الكثير من الحقائق التى لا تحتاج إلى إثبات مثل عبور طارق بن زياد وجيشه سنة ٩٢ هـ إلى أسبانيا ولكن يجب دراسة أسباب ذلك العبور والنتائج القريبة والبعيدة المدى التى تثبت على ذلك العبور.

المنهج: هو الطريقة أو النظام العلمى المستخدم فى البحث من أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية، وهذه الطريقة أو ذلك النظام له مكونات علمية معتمدة من قبل الباحثين.

البحث: هو التفتيش بشكل عام والبحث التاريخى تحرى واستقصاء الحقائق التاريخية من خلال معاينة المصادر المعتبرة إما لإثباتها أو لنفيها كِلْتا المحاولتين بحاجة إلى أدلة تاريخية من تلك المصادر، ذلك لأن بعض الأحداث أصبحت بمرور الزمن من الحقائق المسلم بها، ولكنها إذا ما بحثت ونقدت ربما لا تعد كذلك، وخير مثال فى هذا الباب وثيقة هبة قسطنطين التى أعطت الحق للبابوية

بالسلطتين الدينية والدنيوية لعدة قرون، ثم دحضت وفندت وفق البحث العلمى الحديث فلم تعد كذلك.

والبحث عند اللغويين هو طلب الشيء فى التراب ... والبحث أيضًا أن تسأل عن الشيء وتستخبر[1] وهو بهذا المعنى التفتيش الخاص والبحث عن المصادر وجمع النصوص منها. وقد وردت لفظة البحث بمعناها الاصطلاحى، فى عدة كتب تاريخية[2].

منهج البحث التاريخي: هو مجموعة القواعد العلمية المتبعة من قبل الباحثين فى حقول التاريخ من أجل التوصل للحقائق التاريخية، وهذا المنهج هو الذى يضفى على التاريخ الصفة العلمية.

٥ - قراءة ودراسة التاريخ

كثيرة هى الفوائد التى عدها المؤرخون لعلم التاريخ، فقد ذكر الكافيجى أن التاريخ(يحتاج إليه الملك والوزير والقائد وغيرهم، أما الملك فيعتبر بما مضى من الدول ... وأما الوزير فيعتبر بفعال من تقدم ممن حاز فَضْلَيْ السيف والقلم، وأما القائد فيطلع منه على مكائد الحرب ومواقف الطعن والضرب وأما غيرهم فيسمعونه على سبيل المسامرة فيحصل لهم بذلك المبادرة إلى أنواع الخيرات والاجتناب عن المنكرات)، وأجمل فوائده بقوله(وحينئذ فثمرته الترغيب والترهيب والتنشيط والتغبيط والإنذار والاعتبار والتسلي والتأسي والنصح والنجح ...). والخليفة المأمون ومن خلال قراءة سِيرَتَيْ الرجلين ورحلاتهما ومواطنهما فإن ذلك لم يكن قد حدث مطلقًا[3].

ويعتمد على التاريخ فى معرفة أوائل الأشياء،إذ أكد سبط بن الجوزى (٥٩٧

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة بحث .

(٢) تاريخ علماء الأندلس، ½؛ جذوة المقتبس، ص٧، معجم الأدباء، ٥/ ٩٧ .

(٣) السخاوى، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ ، ص ٣٩٥ .

هـ) أن من أهم فوائد التاريخ هو إطلاع الناس على الجذور الأولى للأشياء والكائنات وأوائلها يفهم ذلك من قوله:(إن الفطر السليمة والفكر المستقيمة تستشرف إلى معرفة البدايات وتشرئب إلى إدراك المنشآت ...)[١].

ومن فوائد التاريخ الأخرى أن قراءة الماضى تجعل القارئ يعيشه، قال أبو شامة (٦٦٥هـ):(ورأيت أن المطلع على أخبار المتقدمين كأنه قد عاصرهم أجمعين وأنه عندما يفكر فى أحوالهم أو يذكرهم فإنه شاهدهم ومحاضرهم فهو قائم له مقام طول الحياة وإن كان متعجل الوفاة).

خامسًا: صفات المؤرخ

هناك جملة من الشروط الواجب توافرها فى شخص المؤرخ وقد وردت هذه الشروط عند المؤرخين المسلمين الذين اهتموا بهذا الجانب ومن هذه الشروط:

العدالة، فقد أشار السخاوى إلى ذلك بقوله (أما شروط المعتنى به: فالعدالة مع الضبط التام الناشيء عنه مزيد الإتقان والتحرى لاسيما فيما يراه فى كلام الكثير من جملة المعتنين بسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)[٢].

وأورد الكفايجى شروطًا قريبة مما أورده السخاوى إذ قال: وينبغى أن يشترط فى المؤرخ ما يشترط فى راوى الحديث من أربعة أمور: العقل والضبط والإسلام والعدالة، ليكون كل واحد منها معتمدًا فى أمر الدين وأمينًا فيه ولتزداد الرغبة فى تاريخه وللاحتراز من المجازفة فيحصل الأمن من وقوع فى الضلالة. واشترط السخاوى أمرًا آخر لابد من توافره فى شخص المؤرخ وهو أن يكون عالمًا بطريق النقل حتى لا يجزم إلا بما يتحققه وإلا فلا؛ لقول الرسول ﷺ: (كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع)[٣]، وليكن محترزًا فى النقل كى لا يقع بالمجازفة وقول

(١) مرآة الزمان، (ج١، ص ٩).
(٢) السخاوى، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ، ص٤٨٢.
(٣) صحيح البخارى، (ج١، ص ٩٧).

الكذب وهو لا يشعر فينفر عن تاريخه العقلاء والعلماء والنبلاء والحكماء ولا يرغب فيه إلا من هو مثله[1].

وفى إشارة لشروط كتابة المترجمين يذكر السخاوى أن المؤرخ يشترط فيه (أن يكون عارفًا بمقادير الناس وبأحوالهم ومنازلهم فلا يرفع الوضيع ولا يضع الرفيع ليكون متمثلاً لقوله ﷺ (أنزلوا الناس منازلهم)[2].

وأورد تاج الدين السبكى (ت٧٧١هـ) جملة من الشروط الواجب توافرها عند المؤرخ نقلاً عن أبيه تقى الدين السبكي(٧٥٦هـ)ومنها: الصدق والدقة فى النقل، وحدد الدقة بقوله:(وإذا نقل يعتمد اللفظ دون المعنى، وإلا يكون ذلك الذى نقله أخذه فى المذاكرة وكتبه عد ذلك وأن يسمى المنقول عنه....)[3]. وهو بذلك يشير إلى أن يكون النقل حرفيًا لا بالمعنى وأن يكون النقل مباشرًا وليس عن طريق الاعتماد على ذاكرة فقد ينسى بعض الأمور وكذلك تحديد اسم المصدر، وهذه الشروط متقدمة إذا ما قارناها بالشروط التى وضعها المؤرخون المحدثون.

ومن الشروط أن يكون المؤرخ حسن العبارة عارفًا بمعانى الألفاظ والمصطلحات[4] وعدم التحيز أو التأثر بالأهواء والميول وأن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ويجعله منصفًا. وأكد السخاوى أيضًا أن يكون المؤرخ حياديًا حتى عند ذكر أخبار أقاربه أو معارفه ويروى ما وقع لعلي بن المديني (ت ٢٢٤ هـ)عندما سئل عن أبيه، فقال:(سلوا غيرى، فأعادوا عليه المسألة، فأطرق ثم قال: هو الدين أنه ضعيف)[5].

(١) السخاوى، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ، (ص٤٩٤).
(٢) المصدر نفسه، (ص٤٩٥).
(٣) طبقات الشافعية، (ج٢، ص٢٣).
(٤) السبكى، طبقات الشافعية، (ج٢، ص٢٣).
(٥) السخاوى، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ، (ص٤٨٨).

ومن الشروط الأخرى أن يكون ورعًا تقيًا لا يأخذ بالتوهم لأن الرسول(ﷺ) يقول (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)وهذا يعنى أن الورع والتقوى يبعدانه عن المبالغات ويجعلانه يتحرى الأخبار ويتأكد منها قبل الأخذ بها.

ومن الصفات الواجب توافرها فى شخص المؤرخ التواضع وما أرقى أن يتصف العالم بالتواضع من خلال كتاباته ومن خلال أحاديثه ومن خلال العبارات والكلمات التى يستخدمها فى الحديث والكتابة. والواقع أن العديد من كبار المؤرخين القدامى الذين نالوا شهرة واسعة فى ميدان الكتابة التاريخية، ذكروا فى خطب مؤلفاتهم ما ينم عن تواضعهم واعتذارهم لما قد يجد القارئ من أخطاء فى تضاعيف كتبهم، ومن هؤلاء المسعودى (ت٣٦٤هـ) الذى قال فى مقدمة "مروج الذهب" ما نصه: (على أنا نعتذر من تقصير إن كان ونتنصل من إغفال قد عرض لما شاب خواطرنا وغمر قلوبنا تقاذف الأسفار وقطع القفا)[١]. وإن كان فى النص شيء من المبالغة إلا أنه يدل على معاناة التأليف والمشاكل التى تواجه المؤلف.

أما صفات المؤرخ عند الباحثين فقد صنفها مرتضى النقيب رئيس قسم التاريخ فى كلية الآداب جامعة بغداد إلى صفات غريزية وأخرى منهجية، تتمثل الأولى الرغبة الشخصية لدى المؤرخ فى دراسة التاريخ والقابلية على تحمل المشاق والصبر وعدم اليأس والابتعاد عن الكذب، أما الصفات المنهجية فحددها بتوافر ملكة النقد لدى المؤرخ وعدم التحيز والقابلية الكتابية[٢].

ويرى بعض الباحثين أن من أهم صفات المؤرخ التحلى بالأمانة العلمية[٣]

(١) المسعودى، مروج الذهب، ج١، ص٨.
(٢) النقيب، الدكتور مرتضى حسن، المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخى، (ص١١ – ٢٠).
(٣) طه باقر وعبد العزيز محمد، طرق البحث، (ص١١٦).

والأمـانة تـرتبط ارتـباطًا وثـيقًا بقـول الحقيـقة فهدف عملية البحث التاريخى هو التوصل للحقيقة التاريخية، والباحث قـد يجـد مـن المعلومات ما لم يطلع عليها غـيره بوصـفه المتعمـق فى قـراءة النصوص وجمعـها ومعـرفة دقائق الأمور فعليه أن لا يخفى بعض الحقائق حتى وإن كانت معارضة لآرائه وأفكاره.

إن شـرط التحلى بالصبر مهم لأن عملية البحث التاريخى صعبة ومملة ومليئة بالعقبات العلمية وغير العلمية وللتدليل على ذلك نقتبس ما ذكره المقدسى من معاناته من أجل تأليف كتابه "أحسن التقاسيم" حيث قال:(ولم يبق شيء مما يلحق المسافرين إلا وقد أخذت منه نصيبًا غير الكدية وركوب الكبيرة، فقد تفقهت وتأدبت وتزهدت وتعبدت... وطردت فى الليالى من المساجد وسحت فى البرارى وتهت فى الصحارى وصدقت فى الورع زمانًا وأكلت الحرام عيانًا وحملت على رأسى بالزنبيل وأشرفت مرارًا على الغرق وقطع على قوافلنا الطرق... وسجنت فى الحبوس وأخذت على أنى جاسوس... ووبخنى الإشراف ورميت البدع واتهمت بالطمع... وقد ذهبت لي فى هذه الأسفار عشرة آلاف درهم سوى ما دخل عليَّ من التقصير فى أمور الشريعة). كل هذه المعاناة من أجل تأليف كتاب واحد، ولولا الرغبة الجامحة فى التأليف لما تحمل المقدسى ذلك[1].

أولاً: المصادر والمراجع فى التاريخ الإسلامى

إن الحديث عن مصادر التاريخ الإسلامى لا يمكن أن يستوفى فى هذا المختصر، فهى كثيرة ومتنوعة، وتنقسم إلى المصادر القديمة التى ألفها المؤرخون المسلمون الذين ينتمون إلى العصور الإسلامية، ويمكن أن نطلق عليها اسم

(١) الدكتور فاضل جابر، محاضرات فى منهج البحث التاريخى، (ص ٢٢-٢٤).

(المصادر) وهناك المصادر الحديثة التى ألفها الباحثون العرب والأجانب معتمدين فى كتابتها على المادة الأولية المستقاة من المصادر القديمة وهذا النوع من المصادر يمكن أن نطلق عليه اسم (المراجع).

والنوع الأول(المصادر) كثيرة ومتنوعة على الرغم من الأعداد الكبيرة التى فقدت منها عبر الزمن، وتنقسم المصادر تبعًا لما تحتويه من مادة تاريخية إلى مصادر أوَّلية ومصادر ثانوية، والأساس الذى يحدد هذا التقسيم هو الفترة الزمنية التى يعالجها الموضوع الذى يدرسه الباحث فكتابات الواقدى (ت٢٠٧هـ) عن الفتوحات العربية الإسلامية فى العصر الأموى تعد مصدرًا أوليًا، أما ما كتبه ابن الجوزي(ت٥٩٧هـ)عن الموضوع ذاته فى كتابه (المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم) فلا يمكن أن يكون كذلك، إلا فى حالة كونه أى المؤرخ المتأخر زمانيًا عن الأحداث المراد البحث فيها قد اطلع على كتب فقدت ولم تعد فى حيز الوجود حاليًا ونقل منها وجاء بروايات مختلفة لما جاء به الواقدى، فعند ذلك يمكن الاعتماد عليها وعدها مصدرًا أوليًا.

إن المصدر القديم يعد مصدرًا أوليًا يعتد به أكثر من غيره فى حالة كون المؤلف معاصرًا زمانيًا وقريبًا من حيث المكان لأحداث الموضوع الذى يبحث فيه وشخصياته، فإذا كان الموضوع يتناول مثلاً حدثًا تاريخيًّا وقع فى العراق فى القرن الثالث الهجرى، فإن المصدر الأولى المثالى فى هذه الحالة هو كتابات اليعقوبى (ت٢٨٤هـ) ومن على مثاله أو قريب منه. وكثيرًا ما تثار ملاحظات سلبية فى مناقشات طلبة الدراسات العليا فى التاريخ الإسلامى، حينما يعتقدون أن كل مصدر قديم بمثابة مصدر أولى، فتجد بعضهم ينقل نصًا عن تاريخ واسط فى القرن الثانى الهجرى من كتاب(البداية والنهاية) لابن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ) فالمصدر هنا قديم، ولكنه بعيد جدًا مكانًا وزمانًا عن الموضوع، لذا لا يعد مصدرًا أوليًا.

إن المؤرخ الذى يشاهد الحدث بأم عينيه تكون رواياته أرجح من معاصره الذى ينقل الأخبار مشافهة عن طريق السماع، أما كيفية معرفة ذلك فعن طريق المصطلحات التى ذكرها المؤرخ قبل كتابة خبر الحدث مثل :(أخبرنا) (سمعت) (رأيت). ويرى "فرانز روزنثال" أن أهمية (أى تاريخ إسلامى كمصدر تاريخى يقررها قدمه وقربه من الحوادث التى يصفها أو استخدامه لكتب مفقودة قديمة أو قربه من المعاصرة)[1]. ونضيف إلى ذلك أن المؤرخ لا يكفى أن يكون معاصرًا لتعتمد كتاباته بوصفها مصدرًا أوليًا، ما لم يتمتع بالثقة والمصداقية واعتماده على مشاهدة الأحداث عيانًا أو سماع أخبارها عن أناس اشتركوا فيها أو شاهدوها. إن قيمة الأخبار التى يدونها المؤرخ مشاهدة تكمن فى أنه سينفرد بذكرها على الأغلب، قال المسعودى (ت٣٦٤هـ) فى وصفه لكتاب: (الأوراق فى أخبار الخلفاء) للصولى (ت٣٣٥هـ) أنه ذكر فيه (غرائب لم تقع لغيره وأشياء تفرد بها لأنه شاهدها بنفسه)[2]. إن معرفة سنة وفاة المؤرخ وموطنه الأصلى والمناطق التى رحل إليها أو استقر بها لمدة معينة يعد أمرًا ضروريًا للباحث، لأنه من خلال ذلك سيعرف ما إذا كان من أصحاب المصادر الأولية أم لا، وذلك من خلال مقارنة تلك المعلومات مع الأحداث التى يتناولها بالبحث والدراسة.

لأنها تكتب عن فترة طويلة ومساحة مكانية واسعة تضم أحداثًا كثيرة، وكل ذلك يؤثر على دقة المعلومات وتفصيلها، ومثال ذلك الكتب التى تحمل عنوان (تاريخ الوطن العربى الحديث والمعاصر) أو(التاريخ الإسلامي) أو (تاريخ العالم القديم).

---

(١) روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، (ص٢٢١).
(٢) المسعودى، مروج الذهب، (ج١، ص١٣).

وقد يسأل سائل هنا: هل أن هذا التقسيم مقتصر على مصادر التاريخ الإسلامي؟ والجواب لا، التاريخ الحديث والمعاصر له مصادر ومراجع أيضًا فتاريخ العراق المعاصر مثلاً توجد عنه مصادر كثيرة غير أن بعضها لا يعد مصدرًا أوليًا، فكتابات (عبد الرزاق الحسنى) عن (نورى السعيد) أحد شخصيات العهد الملكى تعد مصدرًا أوليًا، كونه قريب منه ومعاصر له، أما ما كتبه عبد الرزاق النصيرى عن الشخصية ذاتها فى رسالته للماجستير، فيعد مصدرًا ثانويًا(مرجعًا) مهما نالت تلك الرسالة من شهرة علمية، والسبب هو اعتماد الأخير على كتابات الأول التى تحوي (المادة الأولية).

إن مصادر التاريخ الحديث والمعاصر المتخصصة فى فترة زمنية محددة أو تناولت موضوعًا محددًا وواضحًا تعد أهم من تلك التى كتبت بشكل عام فالنص المأخوذ عن أحد وزراء العهد الملكى فى العراق من كتاب(تاريخ الوزارات العراقية) هو أعلى قيمة من الناحية العلمية من نص آخر أخذ من كتاب فى تاريخ العراق بشكل عام.

ثانيًا: مصادر التاريخ الإسلامى وأنواعه

زخرت الحركة الفكرية فى العصور الإسلامية بالكثير من المؤرخين الذين صنفوا كتبًا فى مختلف فروع الكتابة التاريخية، ولعل من المفيد أن نشير أنه من الصعب أن نجد أمة من الأمم عاصرت المسلمين وكانت أكثر اهتمامًا أو نتاجًا فى التدوين التاريخى، وقد تنبه إلى هذه الحقيقة بعض المؤرخين المسلمين المتأخرين، فألفوا فى هذا الخصوص، ومن أشهرهم المؤرخ الناقد شمس الدين السخاوى صاحب كتاب(الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ)الذى حوى بين دفتيه عناوين مؤلفات العرب والمسلمين فى التاريخ حتى عصره، قال فيه: (إن كتب التواريخ

أكثر من أن تحصى)[1]. ومن ينظر فى هذا الكتاب وغيره سيدهش من كثرة تنوع الموضوعات التى ألف فيها المؤرخون المسلمون، إذ لم يغفلوا جانبًا من جوانب النشاط الإنسانى أو الأحداث الطبيعية إلا وأرخوا له، ومهما كانت بعض جوانب ذلك النشاط عند بعضهم ثانوية وغير ذات بال، لكن القارئ يشعر بمدى الثراء الفكرى عند مؤرخى تلك العصور، والواقع أن الكتابة التاريخية شهدت تطورًا تدريجيًا عبر الحقب التى مرت بها، وهذا التطور جاء نتيجة لهذا الاهتمام، فتشعبت كتابة التاريخ وتنوعت من حيث المحتوى. إن حديثنا عن مصادر التاريخ الإسلامى سينصب على التعريف بها وبما يمكن أن تقدمه للباحثين من معلومات وكيفية الاستفادة منها.

١- التاريخ العام

صنف المؤرخون المسلمون كتبًا تميز أغلبها بالضخامة أطلق عليها من قبل بعض الباحثين مصطلح(كتب التاريخ العام) لأنها حوت مادة تاريخية عن الأحداث منذ بدء الخليقة وحتى السنة التى يتوقف فيها المؤلف عن متابعة الكتابة وهى فى الغالب قبل وفاته بمدة قصيرة ورتبت فيها الأحداث التاريخية التى وقعت قبل البعثة النبوية ترتيبًا موضوعيًا أو حسب تعاقب الأحداث، أما الفترة الإسلامية فقد اعتمد فى تنظيمها حسب تعاقب السنين، وتعرف عند بعض الباحثين بالحوليات أو كما تسمية بالمصطلح الغربى Chronicles وهى تسمية قد لا تصح على المادة التى حواها الكتاب عن أحداث الفترة قبل الإسلام، ولهذا فإن التسمية الأصح هى الأولى، وذلك لأن مصطلح التاريخ العام - ينسجم مع طبيعة المادة التى تضمنتها تلك الكتب وتنوعها إذ تشمل الجوانب السياسية والعسكرية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية

(١) السخاوى، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ، ص٧٧٣.

وغرائب الأحداث ولكن بنسب متفاوتة من حيث حجم المادة المقدمة، فضلاً عن ذكر الوفيات لمشاهير الأشخاص وأغلبهم من الرجال.

ظهر النظام الحولى فى تنظيم المادة التاريخية فى أواخر القرن الثانى للهجرة على يد الهيثم بن عدى (ت٢٠٧هـ) وذلك من خلال كتابه المفقود(التاريخ على السنين)[1]، ثم توالت المؤلفات وفقًا لهذا النظام ويعد (تاريخ الأمم والملوك) لمحمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) أول وأضخم كتاب يصل إلينا عن المؤرخين المسلمين فى التاريخ العام، غير أن هناك كثير ممن سبقوه فى اتباع هذا المنهج، ثم تطورت هذه الطريقة على يد ابن الجوزي (ت ٥٧٩هـ) وابن الأثير (٦٣٠هـ). أما الفائدة فى هذا النوع من المؤلفات لباحث التاريخ فتتأتى من كونها تضم مجموعة كبيرة من الوثائق[2] مثل الرسائل والمعاهدات والعهود بين الدول والحكام ولتميزها بغنى المادة التاريخية عن الأحداث، ولكن يجب الإشارة هنا أن ما صنفه المؤرخون المتأخرون فى هذا النوع لا يعتمد كمصدرٍ أوليٍّ عن الأحداث التى وقعت فى القرون الإسلامية الأولى والمعول هنا بشكل أساس على ما كتبه المؤرخ من أخبار عن أحداث عصره.

أما كيفية اعتماد الباحث على هذا النوع، فذلك يتحدد ابتداءً من خلال موضوع البحث، فإذا كان البحث يتناول أحداث فترة زمنية معينة يستطيع الباحث الرجوع إلى هذه الكتب التى توفي مؤلفوها بعد تلك الفترة ومادامت مرتبة حسب السنين سهُل عليه أمر الوصول إلى ضالته، وعليه هنا أن يتابع ما كتبه المؤرخ عن موضوعه فى كل سنة لأن بعض هذه الكتب تجزئ الحادثة فتذكر ما وقع منها فى كل سنة من السنوات التى قطعتها. أما إذا كان موضوع البحث

(١) ابن النديم، الفهرست، (ص٩٨).

(٢) مرتضى النقيب، محاضرات فى منهج البحث التاريخى، (ص١١).

يدور حول شخصية تاريخية، فلا يكتفى بالرجوع إلى ما تذكره هذه الكتب فى سنة وفاته، فقد تذكره فى الأحداث التى اشترك فيها فى حياته لاسيما مع الشخصيات السياسية والعسكرية والإدارية، فعلى الباحث هنا أن يعود لما كتبته هذه المؤلفات خلال ذكرها لأحداث السنوات التى كتبت عنها.

٢- كتب التراجم (١)

التراجم جمع ترجمة وهى سيرة مختصرة لشخص معين وهذه السيرة قد تطول وقد تقصر أو تكون بين هذه وذاك حسب ما يراه مؤلف الكتاب وحسب أهمية أصحاب التراجم عنده وهذه السير تجمع فى كتاب واحد قد وقع فى عدة أجزاء فيطلق عليها اصطلاحًا (تراجم) ولكن ذلك الكتاب قد يكون فى الطبقات أو الوفيات أو حسب القرون أو معاجم شيوخ أو فى الأنساب وهذه وغيرها هى من أنواع كتب التراجم، ويعد هذا القسم من مصادر التاريخ الإسلامى ذا أهمية بالغة عند الباحثين وذلك لأن معظم كتابات المؤرخين العرب المسلمين كانت على شكل تراجم فضلاً عن ذلك تميزت هذه الكتب بالثقة والدقة والغنى بالمعلومات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية، وتأتى مصداقية هذه الكتب من تأثرها بالشروط التى وضعها علماء الحديث ولاسيما اتباع مؤلفيها لمبدأ (الجرح والتعديل) فى أغلب الأحيان ومنها المؤلفات التى تناولت تراجم العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين.

كتب الرجال المحلية: ومن أشهر هذه الكتب(تاريخ واسط) لأسلم بن سهل المعروف ببحشل (ت٢٩٢هـ) و(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ) و(تاريخ دمشق) لابن عساكر (ت٥٧١هـ)، وهذه المؤلفات هى من

(١) الدكتور فاضل جابر، محاضرات فى منهج البحث التاريخى، (ص ٢٩-٤٨).

أهم كتب التراجم، غير أنها تحوى أيضًا معلومات مهمة عن المدينة نفسها فتاريخ بغداد مثلاً يضم معلومات نفيسة لا غنى للدراسات الحديثة عنها وهذه المعلومات حول خطط بغداد والحياة الثقافية والتعليمية فيها[1]. والصفة الغالبة على تراجم هذا النوع من المؤلفات هو أن معظم شخصيات التراجم من رجال الحديث فمن مجموع (٧٨٣١) ترجمة ضمها كتاب(تاريخ بغداد) هناك خمسة آلاف ترجمة لرجال الحديث[2]. وعلى الرغم من أن هذا النوع من المؤلفات يعد من كتب (الرجال) إلا أن الباحث يجد فيها عددًا من تراجم النساء فقد وردت (٣٢) ترجمة لشخصيات نسائية في(تاريخ بغداد) مثلاً. وهكذا فإن كتب التراجم تضم بين دفتيها أيضًا تراجم من هذا النوع. إن كتب التراجم المحلية غالبًا ما تتبع الترتيب الهجائى فى تنظيم تراجم الكتاب، وهى تزود الباحث بمادة أولية عن الشخصيات التى عاصرها المؤلف زمانًا ومكانًا، وعلى هذا الأساس فإنها مصادر أولية من هذه الناحية ومن ناحية الكتابة عن شخصيات قريبة العهد زمانًا بالمؤلف، ولو نظرنا فى نسبة ما تقدمه من معلومات لوجدنا أن أغلبها نقلت عن مصادر أخرى فثلاثة أرباع المادة التى حواها (تاريخ بغداد) كانت منقولة من مصادر وليست مشاهدات لمؤلفه.

إن المعلومات التى ينقلها المؤلف من مصادر أصبحت مفقودة حاليًا تعد ذات قيمة عالية للباحث، كما يجب الأخذ بنظر الاعتبار أن هذا النوع من الكتب يشتمل على تراجم لأشخاص من غير أهل المدينة لأنهم يترجمون لمن زار المدينة أو نسب إليها أو ولد فيها ثم رحل عنها أو استقر بها لفترة، وبما أن الرحلة من أجل طلب العلم كانت شائعة بين علماء تلك العصور، لذا من المتوقع أن نجد

(١) العمرى، موارد الخطيب، (ص٨٨).
(٢) المرجع نفسه، (ص٨٩).

فى هذا النوع من الكتب تراجم لشخصيات تنتمى فى أصولها إلى أقاليم ومُدُنٍ مختلفة.

كتب الطبقات: ظهرت كتب الطبقات منذ بداية القرن الثالث الهجرى على أيدى بعض كبار المؤلفين مثل الهيثم بن عدى (ت٢٠٧هـ) وابن سعد (ت٢٣٠ هـ) وخليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ) أيضًا، ومصطلح الطبقة يعنى مجموعة من الأشخاص ينتمون إلى فترة زمنية واحدة ويشتركون فى صفة معينة، وألفت هذه الكتب فى أوامرها لخدمة علم الحديث النبوى الشريف[١] ولكنها تطورت فيما بعد وتعددت أنواعها فظهرت كتب فى طبقات الأطباء والأدباء والفقهاء والشعراء والمغنين..الخ.

وهذه الكتب وإن كانت تسمى كتب الطبقات فإن التقسيم الثانوى لها مختلف من كتاب إلى آخر، فهناك من رتب تراجم كتابه حسب المدن كمحمد بن سعد فى طبقاته الكبرى التى تعد أقدم كتاب كبير يصلنا فى هذا النوع من الكتب[٢]، أما خليفة بن خياط فقد رتب طبقاته حسب أنسابهم أخذًا بنظر الاعتبار: الترتيب حسب طبقاتهم داخل النسب الواحد. وتتميز كتب الطبقات ذات الصفة الدينية بالثقة والمصداقية لاتباع مؤلفيها قاعدة (الجرح والتعديل) مما يعطى الباحث الفرصة للاعتماد عليها، أما كيفية معرفة الكتاب الذى يتوقع الباحث أن يحوي نصوصًا تفيده فذلك يعرف من خلال معرفة نسب الشخصية أو موطنها أو مهنتها أو مذهبها أو العلم الذى اشتهرت به، فإذا كان طبيبًا مثلاً وتوفى وفاة مؤلف كتاب (طبقات الأطباء) يرجح أن يكتب عنه وإذا كان محدثًا ذهب أولاً إلى طبقات المحدثين غير أن المحدث يشتهر فى الغالب بعلوم القرآن

(١) العمرى، موارد الخطيب البغدادى، ص٣٨٥.
(٢) العمرى، بحوث فى السنة المشرفة، ص٥٤.

والفقه لذا يرجح أن يجد الباحث ترجمة له فى طبقات المفسرين للداودى (ت ١٢٥٠هـ) أو أحد كتب الفقهاء التى ترجمت لفقهاء مذهبه شريطة أن يتأكد الباحث أولاً من أن سنة وفاة صاحب المصدر تأتى بعد تاريخ وفاة المراد ترجمته.

إن التخصص لم يكن شائعًا بين علماء العصور الإسلامية، بل يمكن القول أن معظمهم اشتهروا بكونهم(موسوعيين)إذ لم يكتفوا بالتأليف فى علم واحد، فقد ترى بعضهم يؤلف فى علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والأدب والتاريخ.. إلخ، لذا من المتوقع أن يجد الباحث أكثر من ترجمة فى أكثر من نوع من كتب الطبقات للشخصية موضوع البحث. وفضلاً عن ذلك فإن كتب الطبقات تضم معلومات مهمة عن الجوانب الاجتماعية والثقافية وبعض الإشارات المبثوثة بين السطور عن خطط المدن.

كتب الوفيات: وهذه تشكل نوعًا آخر من كتب التراجم نظمت فيه مادة الكتاب على أساس سنوات وفيات أصحاب التراجم، وبذلك تكون طريقة الوصول للترجمة المطلوبة على أساس تاريخ الوفاة ومن بين هذه المؤلفات المطبوعة كتاب (الوفيات) لابن رافع السلامى (ت٧٧٤هـ) ولكن يجب أن نشير إلى أن بعض الكتب التى اتخذت عناوين مشابهة لم تعتمد هذا النظام، بل رتبت مادتها على أساس آخر مثل(وفيات الأعيان) لابن خلكان (ت٦٨١هـ) وغيره.

كتب التراجم العامة: وخير من يمثل هذا النوع من المصنفات كتاب ابن خلكان المذكور آنفًا وعنوانه الكامل(وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان) ويعد من أفضل كتب التراجم، لما حواه من مادة تفصيلية ومهمة رتبه على أساس حروف المعجم، ولم يقصره على فئة واحدة من الأشخاص، بل ترجم لجميع الأعيان (المشاهير) ومن مختلف الاتجاهات، وفيه تراجم للعديد من النساء، والكتاب يعد فى غاية الأهمية للباحث فى سير الأشخاص المعاصرين لمؤلفه، وقد

أكمل ابن شاكر (ت٧٦٤هـ) نواقص هذا الكتاب وما فات مؤلفه بكتابه (فوات الوفيات).

إن كتاب ابن خلكان لا يمكن أن يقاس بكتاب ابن شاكر الكتبى، فالفرق بين الكتابين شاسع ولاسيما فى ما قدمه ابن خلكان من معلومات مسهبة ودقيقة عن أغلب تراجم الكتاب. وهذا يعنى أن أهمية كتب التراجم تتفاوت من كتاب إلى آخر وفقًا لطبيعة المادة المدونة فيها.

معاجم الشيوخ: إهتم بعض العلماء بجمع أسماء شيوخهم الذين تتلمذوا عليهم فى كتاب، وسميت بعناوين عدة مثل (معجم الشيوخ)، (فهرست الشيوخ)، (برنامج ومشيخة)... إلخ. وفى الأعم الأغلب رتبت تراجم هذه الكتب على أساس حروف أسماء أصحابها أو على أساس بلدانهم والنظام الأول هو الأكثر شيوعًا[١]، ولكن شمس الدين السخاوى قلل من أهمية هذه الكتب لأن جُلَّ من ألف فيها لم يترجم للشيوخ بالتفصيل، بل اكتفى بذكر الأسماء[٢]، وأورد قائمة طويلة بأسماء من ألف فى هذا الباب[٣] ولا شك فى أن المادة التى توفرها بعض الكتب التى فصلت فى ذكر أخبار مؤلفيها، تعد ذات أهمية خاصة، لدقة معرفة المؤلفين بأحوال شيوخهم الذين جالسوهم وخبروهم عن قرب فهم أجدر على إبداء الرأى وإصدار الحكم[٤]، وقد تحوى هذه الكتب تراجم يعدها أصحاب كتب التراجم العامة من غير المهتمين فلا يذكرونهم فيقتصر ذكرهم على معاجم الشيوخ[٥]. وتفيد هذه المصادر

(١) العمرى، موارد الخطيب البغدادى، ص٤١٢.
(٢) السخاوى،الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ، ص٦٠٥.
(٣) المصدر نفسه، ص ص٦٠٥ - ٦٠٩.
(٤) العمرى، موارد الخطيب، ص٤١٢.
(٥) المرجع نفسه.

التى تعد مصادر أولية فى دراسة الحياة العلمية فى العصر الذى تنتمى إليه من خلال أسماء العلماء وذكر أسماء الكتب المدرسة وإشارات عن المؤسسات التعليمية كالمدارس وطبيعة العلاقات بين العلماء والتلاميذ وطرق التدريس عند الشيوخ، وتعطى هذه المؤلفات معلومات عن مدى النشاط العلمى فى المدن الإسلامية، لأن التلاميذ آنذاك كانوا لا يكتفون بالدراسة على شيوخ بلدهم، بل يرحلون إلى مدن عديدة من أجل طلب العلم على أيدى مشاهير العلماء.

ومن الكتب التى وردت إلينا فى هذا الباب (برنامج الوادى أشي) وهو معجم شيوخ وضعه محمد بن جابر أشي التونسى (ت٧٤٩هـ).

كتب السيرة المفردة: ظهرت كتب السيرة منذ البواكير الأولى لظهور التدوين التاريخى عند المسلمين، بل إن اهتمام المسلمين بالكتابة التاريخية جاء منصبًا أول الأمر على تدوين سيرة الرسول (ﷺ)، ولكن فى القرون الآتية ظهرت الكتب التى اهتم مؤلفوها بتدوين سيرة أحد الرجال وقد كثرت هذه المؤلفات فى العصور الإسلامية المتأخرة، مثل كتاب (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) لابن شداد (ت٦٣٢هـ) وكتاب (سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي) للنسوي (ت٦٣٩هـ) أو (الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر بيبرس) لابن عبد الظاهر (ت٦٩٢هـ) أو كتاب(الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر) لابن أيبك الداوادار (ت٧٣٢هـ) أو (عجائب المقدور فى أخبار تيمور) لابن عربشاه (ت٨٥٤هـ) أو (الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر) لبدر الدين العينى (ت٨٥٥هـ) و (تشريف الأيام والعصور فى سيرة الملك المنصور) للمؤلف نفسه، وكتب أخرى عديدة مشابهة، إن هذه الكتب المنشورة حاليًا تقدم مادة تفصيلية ودقيقة عن الشخص المترجم له، ولكن

بعضها يجب الاعتماد عليه بحذر لأن بعض المؤلفين ألفوها هدية للشخص المترجم فلا غرابة حين نجد بعضها مشحونًا بآيات المديح وذكر الحسنات ومهاجمة خصوم المترجم له، كما أن بعضها كما يبدو من العنوان أوقف لذكر الإيجابيات، إن المادة المتوافرة عن شخصيات هذه المؤلفات هى مادة أولية كتبت إما مشاهدة أو سماعًا عن أناس شاهدوا الأحداث لذا تعد مصادر أصلية.

كتب التراجم المرتبة على أساس القرون: نظم بعض مؤلفى كتب التراجم مادة الكتاب على أساس القرن الذى توفى فيه أصحاب تراجمه، ومثال ذلك ما فعله ابن حجر العسقلانى المصري(ت٨٥٢هـ)وشمس الدين السخاوى، فقد ألف الأول كتاب (الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة) وصنف الثانى كتاب(الضوء اللامع فى أعلام القرن التاسع)وتكمن أهمية هذا الكتاب فى توفير المادة للباحثين عن تاريخ تلك القرون والمعلومات المقدمة فى هذا الصنف ولاسيما الكتابين المذكورين تميزت بالدقة والشمولية والتفصيل، وتعد هذه الكتب من المصادر الأولية لقرب مؤلفيها زمانًا ومكانًا فى أغلب الأحيان، ككتاب السخاوى المذكور الذى خصصه لتراجم أشخاص عاصرهم أو كان قريبًا من عهدهم، وفى كثير من الأحيان شاهدهم واحتك بهم، ويعد كتابه من أكثر كتب التراجم ذات الطابع النقدى المميز، إن سرعة وصول الباحث إلى الترجمة المطلوبة تكمن فى معرفة سنة وفاة الشخص المطلوبة حوله المعلومات، فإذا كانت ضمن الزمن المقصود وجد ضالته.

كتب السيرة الذاتية والمذكرات[1]: ألف العديد من المؤلفين القدامى منهم والمحدثين كتبًا فى سيرهم الشخصية أو سير أسرهم وقد اصطلح على تلك

---

(١) الدكتور فاضل جابر، محاضرات فى منهج البحث التأريخى، ص ص ٣٤-٣٥.

المؤلفات اسم (السيرة الذاتية) وظهرت هذه الكتب منذ العصور الإسلامية، الأولى غير أن معظمها فى عداد المفقودات. وفى زماننا ألف العديد من الشخصيات السياسية والعسكرية والأدبية والعلمية كتبًا من هذا النوع تحت عناوين مختلفة مثل(يوميات)،(مذكرات)،(سيرتي)،(حياتى فى نصف قرن) وهكذا، والجدير بالذكر هنا أن هذه المؤلفات تعد مصادر أولية، غير أن أهميتها بوصفها مصدرًا أوليًا تتفاوت بين كتاب وآخر، فالمذكرات قد تكتب يوميًا أو أسبوعيًا فهى معلومات مكتوبة عن قرب من الناحية الزمانية والمكانية فهى معلومات كتبها مؤلفها عن أحداث بطريقة التذكر أو استرجاع المعلومات وهى قطعًا تتعرض للنسيان وأن المذكرات والذكريات واليوميات تختلف فى بعض جوانبها عن كتب السيرة الشخصية من حيث المضمون على اعتبار أن الأخيرة تهتم بأكملها بأخبار كاتبها، أما الأولى فإنها تشمل معلومات عن أحداثٍ عاصرها وقسم من تلك المعلومات تخص كاتبها.

إن كتب السيرة الذاتية لا يمكن اعتماد المعلومات المقدمة فيها عن أخبار مؤلفها إلا بعد نقد وتدقيق، لأننا لا نتوقع أن يكتب المؤلف إلا إنجازاته ويحرص على إغفال ما يسيىء له. لذا فمن الناحية المنهجية لا يمكن الأخذ بجميع المعلومات الواردة فيها، بل تعتمد بعض المعلومات التى لا تخص حياة المؤلف بشكل مباشر.

٣- تاريخ الدول

ألف عدد من المؤلفين المسلمين كتبًا قصروها على تاريخ دولة أو أكثر من الدول التى عاصروها أو عاشوا تحت رعايتها، ومن هذه المؤلفات كتاب (التاجي فى تاريخ الدولة البويهية) لأبى إسحاق الصابي (ت٣٨٤هـ) ثم توالت الكتب الأخرى فى القرون التالية مثل كتاب (الباهر فى تاريخ الدولة الأتابكية)

لابن الأثير الجزرى (ت٦٣٠هـ) وكتاب (الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية) لأبى شامة(ت٦٦٥هـ)وكتاب (مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب) لابن واصل (ت٦٩٧هـ) وكتاب (التحفة الملوكية فى الدولة التركية) لبيبرس الدواداري (ت٧٢٥هـ) وكتاب (درة الأسلاك فى دولة الأتراك) لابن حبيب (ت٧٩٩هـ) وكتاب (الدرة الزكية فى أخبار الدولة التركية) لابن أيبك الدواداري.

إن هذه الكتب الموجودة حاليًا إما مطبوعة أو مخطوطة تقدم مادة تفصيلية عن أخبار الدولة التى أرخت لها ورجالاتها وهى قطعًا أوسع من المادة التى يقدمها لنا التاريخ العام أو كتب التاريخ العام أو كتب التراجم عن أخبار تلك الدول، ولكن الذى يجب الانتباه إليه من قبل الباحثين هو أن بعض هذه الكتب لا يمكن الاعتماد على بعض الأخبار الواردة فيها إلا بعد نظر وتدقيق، فكتاب التاجى مثلاً وضعه مؤلفه تحت التهديد ويقال وهو فى السجن[1] إذ مر بالصابى أحدهم وهو يكتب ذلك فسأله عما يفعل فقال له (أكاذيب أنمقها وأباطيل أُلَفِّقُها) [2]، فما كان من ذلك الشخص إلا أن وشى بذلك إلى الأمير البويهى تاج الملة الذى أمر الصابى بتأليفه فأراد قتله لولا تدخل بعض الأعيان لإنقاذه[3] فكتاب من هذا النوع لا يمكن أن يعتد به، وكذا الحال لكتاب(الباهر) لابن الأثير الذى عاش هو وعائلته تحت رعاية الدولة الزنكية التى خصص لها هذا الكتاب لذا (يمكن القول أن قيمته العلمية لا يمكن أن ترقى إلى قيمة كتابه العظيم الكامل ...) [4]، وذلك على الرغم من أن المادة

(١) أبن خلكان، وفيات الأعيان، ١ / ٥٢.
(٢) المصدر نفسه.
(٣)أبن خلكان، وفيات الأعيان، ١ / ٥٢.
(٤) فيصل السامر، ابن الأثير، (ص١٤٧).

الموجودة عن أخبار تلك الدولة فى الكتاب الأول أوسع بكثير عما هو موجود منها فى الكتاب الثاني[1].

إن هذا النوع من الكتب يتوقع الباحث أن يقف فيها المؤلف إلى جانب رجال تلك الدولة ضد أعدائها كما حدث عندما وقف ابن الأثير ضد (صلاح الدين الأيوبي) وهو يؤرخ لحالة الصراع بينه وبين الدولة الزنكية، ولكن فى الوقت نفسه تقدم هذه الكتب مادة تتصف بالدقة والتفصيل كون معظم المؤلفين فى هذا الباب هم من المطلعين على الأحداث إما مشاركة أو مشاهدة لها، لذا فإن الحديث عن ضعف القيمة العلمية يقف عند حدود الموقف من أعداء الدولة، لأنها تزود الباحث عدا ذلك بأخبار نشاط تلك الدول على الصعيد الإدارى والعمراني والثقافي وعلاقتها الخارجية.

٤- التاريخ العسكرى

إن معظم كتابات المؤرخين العرب المسلمين عن تاريخ الجهاد والمعارك التى خاضوها ضد أعدائهم عبر القرون جاءت فى سياق كتب التاريخ العام وكتب التراجم، ففيها ما يتعلق بالقسم الأول فقد ذكر المؤرخون تفاصيل أخبار العمليات العسكرية حسب سنى وقوعها آخذين بالنظام الحولى فى ترتيب مادة الكتاب، أما فيما يتعلق بكتب التراجم فإن أخبار المعارك قد نجدها فى سياق تراجم القادة العسكريين الذين اشتركوا فيها، ولكن هناك كتب مستقلة ألفت لبعض المعارك ومن أقدم ما وصل إلينا فى ذلك (وقعة صفين) لنصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ) ومن أهم كتب التاريخ العسكرى التى وصلتنا كتاب(فتوح الشام) لمؤلفه محمد بن عمر الواقدى (ت٢٠٩هـ) والكتاب وإن كان مطبوعًا بهذا العنوان إلا أنه دوَّن أخبار فتوح العراق والشام والجزيرة ومصر.

---

(١) المرجع نفسه.

كما أن هناك كتبًا عديدة ظهرت فى الجهاد مثل كتاب(مستند الأجناد فى آلات الجهاد) لابن جماعة الحموي(ت٧٣٣هـ) وهو من الكتب القلائل التى وصلت إلينا فى هذا الباب، وقد ظهر هذا النوع من الكتب بشكل واضح إبان الجهاد ضد الصليبيين فى مصر والشام. فالباحث فى تاريخ العلاقات الحربية بين المسلمين والصليبين لا يستطيع تجاوز هذه المؤلفات.

٥- التاريخ الإدارى

ألف العديد من المؤلفين كتبًا خصت الحياة الإدارية فى الدولة العربية الإسلامية منها ما خص ديوانًا واحدًا مثل كتاب(صبح الأعشى فى صناعة الإنشا) للقلقشندى (ت٨٢١هـ)، فهذا الكتاب وإن كان موسوعيًا لكنه اتخذ من ديوان الرسائل الأشياء محورًا له، أو كتاب(قانون ديوان الرسائل) للصيرفي (ت٩٠٠هـ) وألف بعضهم فى مبادئ الدواوين وقوانينها مثل كتاب(قانون ديوان الرسائل) لابن مماتى (ت٦٠٦هـ).

وهناك مؤلفات خصت بعض المؤسسات الحكومية مثل كتب الحسبة والمحتسب التى تحدثت عن شروط المحتسب وواجباته وصلاحياته وأعوانه وميدان عمله ككتاب(الرتبة فى طلب الحسبة) لابن الرفعة (ت٧٣٥هـ) و(نهاية الرتبة فى طلب الحسبة) للشيزرى (ت٥٨٩هـ) وغيرها.

ولكن على الباحث أن يميز هنا بين ما تطرحه هذه الكتب من نظريات حول تلك المؤسسات ومدى تطبيقها على أرض الواقع، فالذى يقرأ مثلاً شروط المحتسب وكيفية أداء واجباته كما سجلتها كتب الحسبة، يشعر بأنها أقرب للمثالية، فعليه هنا أن يقارن بينها وبين تلك الأخبار المبثوثة فى صفحات كتب التاريخ الأخرى عن واقع ما كان يدور فى الأسواق، ولا سيما فى العصور المتأخرة.

وهناك بعض التراجم تحدثت عن مؤسسات أخرى ككتب الوزراء وكتب القضاة والولاة فهى إلى جانب تراجم هؤلاء تتحدث عن المؤسسات وتاريخ ظهورها وشروطها وصلاحيات القائمين عليها.

٦- كتب التاريخ الاقتصادى

هناك العديد من المصادر والمراجع ألفت أو بحثت فى التاريخ الاقتصادى ففى العصور الإسلامية هناك:

أ- المؤلفات المستقلة فى التاريخ الاقتصادي: إذ صنف بعض المؤلفين كتبًا فى بعض جوانب الاقتصاد العربى الإسلامى، وخير مثال على ذلك كتاب (الخراج) لقاضى القضاة أبى يوسف (ت١٨٢هـ) وكتاب(الخراج وصنعة الكتابة) لقدامة بن جعفر (ت٣٢٩هـ) فهذان الكتابان تناولا مؤسسة إدارية ذات طابع اقتصادى، علمًا أن الكتاب الثانى تناول فيه مؤلفه فضلاً عن ديوان الخراج دواوين ذات صلة مثل النفقات وبيت المال وغيرهما وذكر ضرب النقود وأوزانها وذكر فيها أسباب حاجة الناس إلى المأكل والذهب[1] والفضة فالمؤرخ المحدث الذى يروم البحث فى الحياة الاقتصادية فى العصر العباسى الأول لا يمكن له إغفال هذين الكتابين، وهناك كتاب فريد فى بابه، خصصه مؤلفه لتدوين تاريخ النقود وهو كتاب(شذور العقود فى ذكر النقود) لتقي الدين المقريزى (ت٨٤٥هـ) وهذه المؤلفات وصلت إلينا وطبعت.

ب- المؤلفات التى تطرقت ضمن ما تطرقت إليه إلى جوانب اقتصادية من التاريخ مثل كتاب (فتوح البلدان) للبلاذرى (ت٢٧٩هـ) الذى تطرق فيه إلى ذكر النقود وكتاب (الأحكام السلطانية والولايات الدينية) لأبى الحسن

(١) قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة، (ص٣٣ – ٣٥، ٣٦ – ٣٧، ٥٩ – ٦٢).

الماوردى (ت٤٥٠هـ) فعلى الرغم من أن هذا الكتاب فى التاريخ السياسى غير أن مؤلفه تحدث فيه عن الجزية والخراج[١] والذهب والفضة. وكتاب (قوانين الدواوين) لابن مماتى الذى تطرق فيه إلى دار ضرب النقود، وهناك كتاب (حياة الحيوان الكبرى) لكمال الدين الدميرى (ت٨٠٨هـ) الذى تطرق فيه إلى النزاع بين الدولة الأموية والدولة البيزنطية وهو نزاع ذو طابع اقتصادى حول تعريب النقود.

وهكذا نرى أن بعضا من هذه الكتب قد لا يفطن البعض إلى ما تحتويه من معلومات خصت التاريخ الاقتصادى، فالباحث يمكنه الرجوع إليها وإلى غيرها مما لم نذكره هنا إما لإعداد بحث فى جوانب النشاط الاقتصادى عند المسلمين، أو لشرح مصطلح اقتصادى، وذلك أن بعض المفردات الشائعة فى تلك العصور لم تعد معروفة الآن لذا تحتاج إلى مثل هذا التوضيح مثل: الداىء، الصاع، الجاوة، وهى عملة الخانية، الصنج والجهبذة.

٧- التاريخ الاجتماعى

لم يهتم المؤرخون المسلمون كثيرًا فى تدوين أخبار الفئات الدنيا من المجتمع أو كما تسمى عندهم (العامة) فمعظم ما ألفوه جاء للأحداث الكبيرة ذات الطابع السياسى والعسكرى، وللشخصيات الشهيرة من رجالات السياسية والإدارة والجيش والعلم حتى أطلق على بعض هذه الكتب اسم (تاريخ النخبة)[٢] لأنها لا تحوى معلومات مهمة عن عامة الناس، ومع ذلك فإن هناك مؤلفات يتوقع الباحث أن يجد فيها ما ينشده من معلومات عن الحياة الاجتماعية، كالمأكل والملبس والعناصر السكانية والعادات والتقاليد وفئات المجتمع والأعياد الدينية

(١) الماوردى، الأحكام السلطانية، الباب الثالث عشر .
(٢) العمرى، موارد الخطيب البغدادى، ص٨٧.

وغير الدينية، فمثلاً أن كتب الرحلات وإن كانت ضمن صنف الجغرافية التاريخية لكنها تحوى مثل تلك المعلومات، كما أن كتب الحسبة والمحتسب معلومات مهمة عن فئات المجتمع والأطعمة والملابس، كما أن بعض من ألف فى كتب التاريخ العام ذكر أحيانًا قليلة بين صفحات كتبهم الكثيرة عناوين طريفة مثل(نادرة) أو(حكاية غريبة) أو(عجيبة) ثم يسرد ما وقع وهى فى الغالب قصص حقيقية من الواقع الاجتماعى للناس فى تلك العصور فما على الباحث الذى يجيد استخدم الحاسوب أن يكتب إحدى تلك العبارات على نظام القرص المدمج المحمل بالمكتبة التاريخية ليقرأ تلك المعلومات، إننا لا نعجب حينما نرى مؤرخًا كابن الجوزى وقد ذكر قصصًا تفصيلية حقيقية عن الحب العذرى عند بعض المشاهير فى المجتمع البغدادي[1] ولكن هذا الاهتمام لا نجده عند الكثيرين ممن عنوا عناية خاصة بتاريخ الأحداث السياسية والإدارية. ربما يعود ذلك لان ابن الجوزى يعد من القلائل الذين ألفوا كتبًا تصنف من قبل الباحثين على أنها فى التاريخ الاجتماعى ككتابه عن الحمقى والمغفلين والأذكياء، بل أن هناك من اهتم بفئات لم يلتفت إليها أحد مثل(البرصان والعرجان والعميان والحولان) للجاحظ (ت٢٥٥هـ) أو كتاب(عقلاء المجانين) لابن الأزهر (ت٣٢٥هـ) وهذه المصادر وغيرها على الرغم من قلتها فإنها تفيد الباحثين فى التاريخ الاجتماعي.

إن كتب التراجم تضم بين أسطر صفحات تراجم الشخصيات معلومات اجتماعية عنهم، كالإشارة إلى أسرهم وعلاقاتهم بأقرانهم أو بتلامذتهم وإشارات إلى بعض سجايا وما اشتهروا به من ألقاب أو صفة من الصفات وأحيانًا التطرق إلى أولادهم وأحفادهم.

---

(١) ابن الجوزى، المنتظم، ج٦، (ص ٢٦-٢٥٤).

وهناك العديد من المؤلفات عن النساء لاغنى للباحث فى تاريخ المرأة عنها مثل كتاب(بلاغات النساء) لابن طيفور (ت٢٨٠هـ) و (أخبار النساء) لابن القيم الجوزية (ت٧٢٥هـ) وكتاب (نزهة الجلساء فى أشعار النساء) للسيوطى (ت٩١١هـ) وغيرها. وهناك مصطلحات تخص المرأة، ولم تعد معروفة حاليًا على الباحث التعريف بها إن ضمنها متن البحث مثل مفردة (جهة) التى تطلق على نساء الخلفاء، وقد ألف المؤرخ البغدادى ابن الساعى (ت٦٧٤هـ) كتاب وصل إلينا بعنوان(جيهات الأئمة من الحرائر والإماء).

ومن هذا نخلص إلى أن التاريخ الاجتماعى قد نجده فى كتب مستقلة أو أنه سجل ضمنا فى صفحات كتب تنتمي إلى أنواع أخرى من الكتب التاريخية.

٨- كتب النوادر التاريخية

ألف العدد من المؤلفين المسلمين كتبًا يمكن تصنيفها تحت اسم النوادر التاريخية، لأنها تضم الطرائف والنوادر للقصص والحكايات، والكثير من هذه النوادر حدث فعلاً كما يحوى معلومات قيمة عن الحياة الاجتماعية وعن آمال الناس آنذاك، فهى إذن تفيد الباحث فى هذه الجوانب ومن أشهر الذين ألفوا فى هذا المجال: المحسن بن علي التنوخي (ت٣٨٤هـ) فى كتبه: (الفرج بعد الشدة) و(المستجاد من فعل الأجواد) و(نشوان المحاضرة) وكتاب (تفضيل الكلاب على الكثير ممن لبس الثياب) لابن المرزبان البغدادى (ت٣٠٩هـ) وهو من الكتب النادرة أو الفريدة فى بابها التى وصلت إلينا. وألف المعافى بن زكريا النهروانى (ت٣٩٠هـ) كتابًا لازال مخطوطًا بعنوان(الجليس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافي)[1] وهو فى القصص التاريخية الجادة وغير الجادة. وأن

(١) العمرى، موارد الخطيب، (ص٤١)، (هامش ٤).

هذه المؤلفات وغيرها تفيد الباحث بالمعلومات التى قد لا يجدها فى كتب تاريخية أخرى.

٩- تاريخ التاريخ

وهناك بعض المؤلفين صنفوا كتبًا تناولوا فيها المؤرخين ونتاجاتهم ومكانة التاريخ بوصفه أحد العلوم، وعلى الرغم من أن تراجم المؤرخين نجدها مسطورة فى كتب التراجم الأخرى، غير أن هناك بعض المصنفات خصصت للحديث عن المؤلفات التاريخية ككتاب(الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) لشمس الدين السخاوى، أحصى فيه الكتب المدونة فى فروع التاريخ وتكلم عن أنواع الكتابة التاريخية وخصصت بعض الكتب المختصرة لتأكيد عملية التاريخ وبدايات ظهوره وكيفية اعتماد التاريخ الهجرى، وأشهر من ألف فى هذا الباب الكافيجي (ت٨٧٩هـ) فى كتابه (مختصر علم التاريخ) والسيوطى فى رسالته (المشاريخ فى علم التاريخ)وهما مطبوعان. إن الباحث الذى يبحث فى موضوع التدوين التاريخى عند المسلمين لا يمكن أن يغفل الاعتماد على هذه المصنفات، لاختصاصها فى صلب الموضوع.

وهناك كتب بيبلوغرافية تحدثت عن المؤلفين ومؤلفاتهم فى جميع فروع العلم والمعارف، مثل كتاب(الفهرست) لابن النديم البغدادى (ت٣٨٥هـ) الذى امتاز بدقة ووفرة المعلومات عن المؤلفين والمؤلفات ومن ضمنهم المؤرخين، وهناك كتب معينة خصصت صفحات للحديث عن شروط الكتابة التاريخية مثل(طبقات الشافعية الكبرى) لتاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ) وهو كتاب لا يتوقع أن يجد فيه الباحث معلومات من هذا النوع وكذا الحال فى مقدمة ابن خلدون وهى من أهم الكتب ذات الصفة العلمية تدوينًا لصفات المؤرخ وشروط التدوين التاريخى والتنبيه على أخطاء المؤرخين ويعد من أوائل الذين أكدوا علمية التاريخ من خلال اتباع المنهج العلمى فى دراسته.

كما يجد الباحث معلومات قيمة عن فوائد التاريخ عند المؤلفين المسلمين فى الكتب المذكورة آنفًا وفى مقدمات الكتب التاريخية الأخرى، فالعديد من كبار المؤرخين أثبتوا فى خطبهم لكتبهم التاريخية أهمية وفوائد التاريخ بوصفه دافعًا حدا بهم لتأليف كتبهم وهذا ما فعله مثلاً المسعودى فى مقدمة (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وابن الأثير الجزرى فى مقدمة كتابه (الكامل فى التاريخ).

١٠ - كتب الجغرافيا التاريخية

وهى تلك الكتب التى جمعت بين المعلومات الجغرافية والتاريخية مثل كتب البلدان والمسالك والممالك والرحلات، ولعل أقدم مثال وصل إلينا فى كتب البلدان هو كتاب (البلدان) لليعقوبى (ت٢٩٢هـ) وتوالت المؤلفات فى الرحلات والمسالك والممالك والخطط، مثل كتب (المسالك والممالك) لكل من المقدسى الباشرى (ت٣٨١هـ) وابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ)، فهذا الصنف من المؤلفات يزود الباحث بمعلومات قيمة، لاسيما وأن معظم من صنفوا فى هذا النوع اعتمدا فيما دونوه على مشاهداتهم الذاتية للبلدان التى زاروها وتجولوا فى مناطقها فوصفوها عن قرب وعاصرها بعض الحكومات القائمة فوردت فى كتبهم معلومات دقيقة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فضلاً عن الغاية الأساس وهى المعلومات الجغرافية فتعطى وصفًا تفصيليًا عن طبيعة حية للناس وما تميزوا به من عادات وتقاليد وملبس ومأكل، ويصف طبوغرافية المناطق التى يشهدها المؤلف، ويشير إلى الأراضى الزراعية ومنتجاتها وما تشتهر به من تجارات ومصادر المياه، وفى الغالب فإن هذا النوع من الكتب يتبع المنهج الذى ترتب فيه المادة المدوّنة حسب الأقاليم ويشير أيضًا إلى الأديان والمذاهب والصناعات والحرف ....إلخ.

وهناك قسم آخر من كتب الجغرافية التاريخية هى كتب البلدان التى تتبع أسماء البلدان أساسًا فى تنظيم المادة المكتوبة مع ترتيب أسماء البلدان (مدن-

قرى-كور-رساتيق- وغيرها) حسب حروف المعجم. وخير مثال على هذا النوع من المؤلفات كتاب (معجم البلدان) لياقوت بن عبد الله الحموي(ت ٦٢٦ هـ) وكتاب (مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) لصفى الدين البغدادي (ت ٧٣٩هـ)، وهناك من خصص كتابًا لأسماء البلدان فى موطنه مثل ابن الجيعان(ت ٨٨٥هـ) الذى ألف كتاب (التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية) فهذه تفيد القارئ بأن تزوده بالمعلومات الجغرافية والتاريخية لأنها تذكر أولاً الموقع الجغرافى وتحديده وأهميته للإقليم وبعض المعلومات المناخية والطبوغرافية عنه. ثم تذكر ما حدث من أحداث سابقة لعصر المؤلف أو معاصرةً له، وتذكر أيضًا أهم الشخصيات التى اشتهرت فى كل بلد-وهذا ما فعله ياقوت - إن فائدة هذه الكتب كبيرة ولاسيما فى مجال الحصول على المعلومات التاريخية عن الأحداث.

كما أن الباحث لا غنى له عن هذه الكتب التى تزوده بشرح واف عن موقع المدينة أو القرية وأهميتها فى حالة حاجته إلى شرح المفردات والمصطلحات من هذا النوع، وينصح الباحث هنا أن يستعين بمصدر ألف من قبل أحد المؤلفين المعاصرين للفترة التى يعالجها الموضوع، فإذا كان المصطلح الجغرافى المراد شرحه فى الهامش ورد فى متن بحث يعالج قضية تاريخية تعود إلى القرن الثامن الهجرى، لا يصح أن يعتمد على ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦هـ، لأنه بلا شك حدث تطور وتغيير على البلدان خلال الفترة الطويلة التى تفصل بين عصر المؤلف تم اعتماده وبين الفترة موضوع البحث.

وهناك قسم آخر من كتب الجغرافية التاريخية، تفيد القارئ بتعريف مواقع المحلات والمدارس والجوامع وغيرها من المنشآت العمرانية، وهى كتب الخطط وهذه الكتب تعنى بذكر طبوغرافية المدن كالشوارع والدروب والدور والمحلات والأسواق والجوامع والربط والزوايا وغيرها وفى الغالب ترتب

حسب الأحرف وخير مثال على هذا الصنف كتاب(الانتصار لواسطة عقد الأمصار) لابن دقماق (ت ٨٠٩هـ) وكتاب(الخطط المقريزية) لتقى الدين المقريزى وهما مطبوعان. فالذى يبحث فى تاريخ مصر فى العصر المملوكى لا بد أن يعتمد على هذين الكتابين.

إن اعتماد الباحث على المصادر المتخصصة فى التعريف بالمصطلحات السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية يضفى على بحثه طابعًا علميًا فالمعلومة قد تؤخذ من مصدر غير متخصص كأن يكون فى التاريخ العام ولكن استقاءها من المصدر المختص هو المقدم.

١١ - الذيول والمختصرات

ظهر اتجاه فى التأليف عند المؤرخين المسلمين يعتمد على تكملة الكتب التاريخية ولا سيما كتب التاريخ العام أو كتب التراجم، وكذلك اختصار بعض تلك المؤلفات سواء من مؤلفى الكتب الأصلية أم من مؤلفين آخرين، والواقع أن كتب الذيول وخاصة تلك التى تبدأ من حيث انتهى المؤلف الأول تعد من كتب المصادر الأولية، وخاصة إذا كان الذيل أو التكملة أو الصلة بذيل على الكتاب لفترة عاصرها ولم يذكرها المؤرخ الأول.

أما كتب المختصرات فهى فى الغالب لا تأتى بأخبار جديدة، ولا ينصح الباحث بالاعتماد عليها ما دام الكتاب الأصل فى حيز الوجود، وقد يسمى الكتاب المختصر باسم(المنتخب) أو (المنتقى) مثل كتاب(المنتخب من تاريخ دمشق) فهذا الكتاب كان يعتمد من قبل الباحثين الذين لا يستطيعون الوصول إلى الكتاب الأصل الذى ألفه ابن عساكر (ت٥٧١هـ) فى ثمانين مجلدًا لأنه كان مخطوطًا. أما وقد حقق ونشر فى السنوات الأخيرة، فأصبح من الأولى الرجوع إليه لأن معلوماته أوسع وأدق

١٢ - الوثائق

إن الوثائق لا يقتصر وجودها على التاريخ الحديث أو المعاصر، فقد تضمنت كتب التاريخ الإسلامى ولاسيما التاريخ العام والتراجم الكثير من الوثائق الخاصة والرسمية، ونعنى وبالوثائق الخاصة تلك الرسائل المتبادلة بين العلماء القاطنين فى مدن متباعدة[١] أو كتب الوقف (الوقفيات) الخاصة ببعض أفراد المجتمع، فقد شكلت هذه الوثائق مادة دسمة ومهمة لدارس التاريخ قديمًا وحديثًا ومثال ذلك الرسالة التى بعث بها ياقوت الحموى إلى المؤرخ القفطى (ت٦٤٦هـ) حينما كان شاهدًا على اجتياح المغول للمشرق الإسلامى وأُسِرَ ثم تمكن من الفرار[٢] أو الوقفية التى كتبها المؤرخ ابن تغرى بردى إذ حوت معلومات لا توجد فى مصادر أخرى عن أسرته وعلاقاته ومستواه المعيشى ومكانته الاجتماعية[٣].

أما الوثائق الرسمية فهى رسائل الخلفاء أو السلاطين إلى ولاتهم فى أطراف الدولة أو إلى بعض القضاة ورسائلهم إلى الدول أو القوى المجاورة كرسائل الخلفاء الأمويين إلى ولاتهم أو رسائل ولاتهم إليهم، أو رسائل قادة المسلمين إلى الدول المجاورة أو كتب الصلح والمعاهدات وقد أدرج المؤرخون الكثير من هذه الكتب منذ عصر الرسول (ﷺ) حتى العصور الإسلامية المتأخرة، وهناك رسائل تعد ذات قيمة عالية فى دراسة نفسية مرسلها كالرسالة التى أرسلها هولاكو إلى المماليك فى مصر يدعوهم إلى الاستسلام وفتح أبواب مصر، والرسالة الجوابية

---

(١) هناك الكثير من المصطلحات الدالة على نقل المؤرخين من الوثائق الخاصة مثل: الرسائل المتبادلة بينهم ينظر: الكتانى، ذيل مولد العلماء (١٠/ ١٩٩)؛ أبو نعيم، حلية الأولياء (ص ١٠٣)؛ الخطيب البغدادى، (١/ ٣١٤)؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، (٥/ ٥٠٢).

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، (٦/ ١٢٧ - ١٣٨). حيث أوردها بتمامها وكمالها.

(٣) نشرها عبد اللطيف إبراهيم ضمن مجموعة أبحاث عن المؤرخ ابن تغرى بردى، القاهرة، ١٩٧٤.

على رسالته[1]. فهذه الوثائق سواء خاصة كانت أم رسمية توفر للباحث معلومات ذات قيمة تاريخية عالية ونادرة وتعد من أهم المصادر الأولية فى كتابة التاريخ الإسلامي.

وفى ختام البحث عن المصادر تجدر الإشارة هنا إلى عدد من المؤرخين المسلمين ومساهماته فى مجال التدوين التاريخى وأهميتها وكيفية الاعتماد عليها.

(١) إبن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٢ / ٤٩ - ٥٢ وقد نقلها بنصها.

المبحث الخامس
اختيار الموضوع أو تحديد عنوان البحث

يحتل اختيار موضوع البحث أهمية خاصة كونه سيكون فيما بعد محور عملية البحث التاريخى، وكلما كان الموضوع المختار جيدًا وتوافرت به الشروط اللازمة للموضوع الجيد، توافرت الفرصة لدى الباحث لإخراج بحثه بشكل ينال رضى المختصين وسنتحدث عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل:

١ - تحديد الاختصاص[١]

هناك جملة أمور ومؤثرات تدفع طالب الدراسات العليا- الماجستير - تحديده[٢] نحو تحديد الاختصاص الذى سيبحث فيه، فهناك ضمن الاختصاص العام (التاريخ) اختصاصات فرعية مثل التاريخ القديم، الوسيط الإسلامى، الحديث والمعاصر، وينقسم طلبة الماجستير فى السنة التحضيرية إلى قسمين [٣]:

(١) أشار إلى هذا الجانب باختصار عبد الله الفياض، التاريخ فكرة ومنهاجًا، (ص٤٦).
(٢) حددنا طلبة الماجستير على اعتبار أن من يختار هذه المرحلة سيتابع الكتابة فى الاختصاص ذاته خلال مرحلة الدكتوراه، وهذا ما هو معمول به فى الجامعات العراقية.
(٣) إن هذا التقسيم يشمل الطلبة الذين يدرسون مواد تاريخية عامة فى السنة التحضيرية.

القسم الأول: هم الذين حسموا أمرهم منذ البداية فى اختيار تخصص معين.

القسم الثاني: هم الطلبة المترددون فى اختيار اختصاص معين.

والواقع أن هناك بعض المؤثرات تدفع الباحث نحو التخصص فى حقل معين من حقول التاريخ منها ما يتعلق بحجم المعلومات التى تحصلت للطالب أثناء دراسته الأولية، فكلما كانت تلك المعلومات نوعية وموسوعية فى هذا الاختصاص أو الاتجاه التاريخى أو ذلك تراه يميل إليه، وهناك بعض الطلبة يتأثرون ببعض الأساتذة ممن تتلمذ عليهم أثناء السنوات الأربع فى الدراسة الأولية، فتدفعهم رغبتهم فى الاتجاه نحو التخصص ذاته لرغبتهم بإكمال دراستهم تحت إشرافهم، وهناك قسم آخر من الطلبة يدفعهم نحو تخصص معين ما يتوافر لديهم من مصادر وأبحاث فى اختصاص معين فيتم اختيارهم له، وقسم آخر وهم قلة يتقنون لغة أجنبية فضلاً عن العربية، فيختارون موضوعًا فى التاريخ الأوربى والتاريخ التركى أو الإيرانى وهى فى الغالب ضمن التاريخ الحديث والمعاصر. وهناك من الطلبة من يرى أن التخصص فى التاريخ القديم يمنحهم الفرصة الكافية للبحث فى مواضيعه دون الالتفات لما قد يثيره من حساسية فيما لو كان تاريخًا معاصرًا مثلاً، وقد سألت بعض من تخصص فى التاريخ القديم عن السبب فى ذلك فأجابوا إن ذلك يعود لأن التاريخ القديم هو أصل فروع التاريخ الأخرى وأنه يحوى على أصول اللغات والأجناس فأرادوا التعمق فى التخصص لمعرفة ذلك. ويرى قسم آخر من طلبة الماجستير أن التخصص فى حقل معين من حقول التاريخ سيؤهله للحصول على وظيفة أكثر من غيره من التخصصات الأخرى سواء لقلة المتخصصين فيه كان ذلك أو لحاجة المؤسسات الأكاديمية له. وعلى أية حال، فالطالب الذى يسأل نفسه أولاً عن أى التخصصات يرغب فيها، سنجد أن تلك المؤثرات أو بعضها يقفز إلى ذهنه ويتراءى أمام عينه، إلى أن يتمكن من تحديد ذلك الاختصاص.

٢ - شروط اختيار الموضوع

هناك العديد من الشروط التى يجب أخذها بنظر الاعتبار عند اختيار موضوع البحث ويأتي فى مقدمة هذه الشروط الشرط الذاتى المتمثل بالرغبة الشخصية فى إنجاز عمل ما، لأن تلك الرغبة أساس النجاح لكل عمل، ولما كان البحث التاريخى متعبًا ومملاً ويحتاج إلى الصبر والمثابرة والاستمرارية فيه فلا بد من توفر الرغبة الذاتية عند اختيار موضوع ما، وكلما كان الموضوع محببًا إلى نفسه راغبًا فى الخوض فيه، كانت النتائج النهائية للبحث التاريخى جيدة، وعلى حد قول - احمد شلبي- إن على الباحث أن يختار موضوعًا يحبه ويمتزج بدمه ويتصل بروحه، ويقبل دائمًا عليه، ويفر لا منه بل إليه[١] ولكن شريطة أن يلتزم الباحث بأحد الشروط الأساسية فى دراسة التاريخ وهو عدم التحيز والحيادية فلعل ميله لموضوع معين يدفعه نحو التغاضى عن ذكر بعض الحقائق فكما قيل:

وعين الرضى عن كل عيب كليلة

ولكن عين السخط تبدى المساويا[٢]

وينصح الباحث الذى لا يأمن من الانحياز بأن يقوم منذ البداية باختيار موضوع يرى فى نفسه القدرة على الكتابة فيه دون تمييز.

وهناك شرط مهم آخر لاختيار موضوع بحث معين يتمثل بالتأكد من وجود مصادر متنوعة تحوى مادة أولية كافية لكتابة الموضوع، على أن تكون هذه

---

(١) الدكتور عبد العزيز شرف والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى، كيف تكتب بحثًا أو رسالة، (ص ٤٠).

(٢) أبو هلال العسكرى، جمهرة الأمثال، (ج١ / ٣٥٦).

المصادر بلغة أو بلغات يفهمها الباحث وهذا يعنى أن عليه أن لا يجازف فى الخوض بموضوع جل مصادره أجنبية كأن يختار مثلاً موضوعًا يبحث فى العلاقات بين دولتين غير عربيتين خلال فترة زمنية معينة دون أن يكون له أدنى معرفة بتلك اللغتين أو إحداهما، وتجدر الإشارة هنا إلى أن اعتماد الباحث على الترجمة سيؤدى به إلى الوقوع فى الأخطاء الناجمة عن عدم فهم النصوص، لأن المترجمين فى الغالب من غير ذوى الاختصاص فينقلون الكلام من اللغة الأجنبية إلى العربية نقلاً حرفيًا دون أن يكون لهم إلمام بالفهم العام للموضوع أو المصطلحات التاريخية وغيرها.

لقد حدد أحد الباحثين بعض الأسئلة التى يمكن طرحها من قبل الباحث على نفسه قبل أن يقرر البحث فى الموضوع المختار وهى[1]:

١ - هل يستحق هذا الموضوع ما سيبذل فيه من جهد؟

٢ - أمن الممكن كتابة رسالة فى هذا الموضوع؟

٣- أفى طاقتى أنا أن أقوم بهذا العمل؟

٤ - هل أُحب هذا الموضوع وأميل إليه؟

وهناك أشخاص شاركوا فى الأحداث ينشرون مذكراتهم بعد زوال المانع وهكذا. أما التاريخ الإسلامى فإن معظم مصادره استقرت وأصبحت معروفة وحتى المخطط منها بالإمكان الإطلاع عليه والنقل منه، ولما كان الأمر كذلك فإن الذى كتب فيه عن شخصية ما ستكون مصادره هى ذاتها التى سيعتمدها الباحث الآخر، ولكن يبقى الأمر معتمدًا على مدى جدية كل من الباحثين ومثابرتهم واعتمادهم على أسلوب النقد والتحليل المستند إلى القرائن التاريخية.

ويرى "جواد على" أن على الباحث أن لا يخوض فى المواضيع المحظورة أو

(١) أحمد شلبى، كيف تكتب بحثًا أو رسالة، ص ٦٣٦.

المحذورة مثل: (النواحى المثيرة للعواطف عند الإنسان، والنواحى المثيرة للبغضاء بين أبناء المجتمع أو بين الإنسانية أو التى فيها تهجم على نظم أخلاقية قائمة وعلى أديان معترف بها .... فقد كان لكتب التاريخ التى ألفت فى ألمانيا وفرنسا عن علاقات الشعبين ببعضهما البعض فى القرن التاسع عشر أثرًا كبيرًا فى إثارة البغضاء والحقد بين الشعبين المتجاورين) [1].

٣ - كيفية اختيار الموضوع

هناك بعض النصائح التى يمكن للباحث أو طالب الدراسات العليا اتباعها من أجل اختيار موضوع بحث معين، وتأتى فى مقدمة هذه النصائح القراءة المتقنة للكتب ذات العلاقة المباشرة بالاختصاص الذى يروم الكتابة فيه، سواء مصادر أكانت أم مراجع فالقراءة تكسب القارئ إمكانية أن يقف على أرضية صلبة لاختيار عناوين بحوث، لذا نجد أن معظم المواضيع التى أصبحت فيما بعد على شكل كتب إنما تم اختيارها عن طريق القراءة، إن المواضيع تتوالد فى الظهور كالأفكار فكرة تلد أخرى. وذلك يتحصل لدى القارئ النبيه الذى يفطن إلى مواضيع معينة أو يلتفت إلى عنوان فصل ضمن كتاب يصلح أن يكون بحثًا مستقلاً، كما أن الاطلاع على بعض العناوين قد تنبه الباحث على موضوع معين ويجب عرض ذلك على الأساتذة فى مرحلة الماجستير والدكتوراه

٤ - تحديد عنوان البحث

وبعد أن يستقر الباحث وطالب الدراسات العليا على اختيار موضوع معين عليه أن يحدد العنوان، فكلما كان العنوان محددًا تمكن الباحث من تحقيق شرط أساسىّ من شروط البحث التاريخى يتعلق بضرورة أن ينطبق العنوان على محتوى

---

(١) حميد المطبعى، الدكتور جواد على، ص١٥٦.

البحث حينما يكتمل، لأن الكتاب كما يقال يقرأ من عنوانه، فإذا كان العنوان مثلاً ابن الأثير لابد للباحث من الكتابة عن جميع مؤلفاته التاريخية: أسد الغابة، اللباب، الباهر.

٣- إن الخطة لا توضع بشكلها النهائى منذ البداية، بل هى أولية أو يمكن وصفها بأنها (خطة مؤقتة) لأنها ستتغير وتتطور من حيث الزيادة والنقص والحذف والإضافة، كلما تقدم الباحث فى عملية جمع مادة البحث إذ أنه سيحصل على معلومات جديدة تصلح لأن يكون لها عنوان معين، أو أنه يدرك بأن العنوان الفلانى فى فصل ما من فصول الخطة المؤقتة لا ضرورة له، أو أن هناك ما هو أهم منه، وهكذا تجرى عليها التعديلات حتى النهاية فى مرحلة الكتابة إلى أن تستقر بشكلها النهائى، لذا على الباحث أن ينتبه لهذا الجانب.

٤- يجب أن يراعى الباحث أن تكون الخطة شاملة لكل أطراف الموضوع، وأن لا يترك جانبًا ما دون أن يوليه الاهتمام ويخصه بعنوان رئيس أو ثانوى تبعًا لأهميته، وبذلك يحقق الباحث شرطًا ضروريًا من شروط البحث العلمى ألا وهو انسجام المحتوى مع العنوان الرئيس للكتاب.

٥- ينصح الطالب بعرض خطة البحث الأولية أو المعدلة على الأستاذ المشرف والأساتذة المختصين، فربما التفتوا إلى بعض النقاط المهمة فى الخطة.

٦- إن أسبقية الفصول تعتمد على الترتيب المنطقى، وأفضل ما يمكن أن يتبعه الطالب فى ترتيب فصول الخطة هو حسب التسلسل التاريخي.

٧- يجب أن يلاحظ الباحث أن أحد عوامل وضع خطة جيدة تتوفر فيها الشروط العلمية هو وضع عنوان واضح ومحدد لمشكلة البحث، فكلما كانت كذلك يمكن من وضع خطة دقيقة وشاملة ومتوازنة.

خطة مقترحة

إذا كان عنوان البحث هو(ابن الأثير ومساهماته فى التدوين التاريخي) فهذا يتطلب أن يضع الباحث خطة تشتمل على سيرة المؤلف وجميع ما أنتجه من كتابات تاريخية، أما إذا كان العنوان بالشكل الآتي (إبن الأثير وكتابه الكامل فى التاريخ) فستكون الخطة الأولية على النحو الآتي:

ابن الأثير وكتابه الكامل فى التاريخ

- المقدمة وتحليل المصادر
- ملامح الحياة السياسية والثقافة لعصر المؤرخ
- الفصل الأول: سيرة ابن الأثير

أولاً: ولادته ونسبه ونشأته

ثانيًا: أسرته ومكانتها الاجتماعية والعلمية

ثالثًا: دراساته وشيوخه

رابعًا: رحلاته وعلاقاته وأثرها فى نضجه العلمى

خامسًا: وفاته

- الفصل الثاني: مكانته العلمية

أولاً: ثقافته

ثانيًا: تلامذته

ثالثًا: مؤلفاته

رابعًا: أقوال العلماء فيه

خامسًا: المصادر التى اعتمدت على كتاباته

- الفصل الثالث: - كتاب الكامل فى التاريخ

أولاً: عنوان الكتاب ومخطوطاته وطبعاته

ثانيًا: الإطار الزمنى لحوليات الكتاب

ثالثًا: تقسيم الكتاب

- الفصل الرابع:- منهج ابن الأثير فى كتابه الكامل فى التاريخ

أولاً: منهجه فى ذكر الحوادث

ثانيًا: منهجه فى ذكر التراجم

ثالثًا: مصادر الكتاب

رابعًا: النقد التاريخى

خامسًا: المآخذ على الكتاب

- الخاتمة
- قائمة المصادر والمراجع
- الفهرست

٥ - جمع المادة التاريخية

بعد أن يضع الباحث خطة البحث بشكلها الأولى، يأتى على مرحلة جمع النصوص على أساس مفردات الخطة، وهنا ينصح طالب الماجستير أو الباحث المستجد بالأتي:

أ- قراءة مقدمة المحقق إذا كان الكتاب مصدرًا أوليًا، أو مقدمة المؤلف إذا كان مصدرًا غير محققًا أو مرجعًا، فإن ذلك سيعطيه فكرة عن المؤلف والكتاب.

ب- الاطلاع على محتويات الكتاب المثبتة عادة أما فى بدايته أو فى نهايته، كى يعلم ما إذا كان هذا الكتاب فائدة لبحثه أم لا.

ج- الاطلاع على فهارس الكتاب التى يضعها بعض المحققين للمصادر التى حققوها وهى تشتمل على فهارس الأعلام والمدن وأحيانًا المؤلفات والمصطلحات الإدارية والحضارية، فلعلها تنبهه إلى صفحات تواجد المعلومات المطلوبة.

د- بعد التأكد من أن هذا المصدر أو المرجع يتضمن نصوصًا لها صلة بمـوضـوع البحـث، يخصـص الباحث بطاقة بلون معين يسجل فيها كل ما يحتاجه من معلومات عن المصدر فى تنظيم قائمة المصادر والمراجع.

هـ- يفضل أن يكون جمع النصوص على أساس الجرد الذى حصر به الباحث المصادر والمراجع التى تتضمن نصوصًا تخص موضوع البحث، فينظر بها مصدرًا بعد آخر، وهذا يعنى أنه سيخصص بطاقة لكل نص سواء أكان يخص الفصل الأول أم الثانى أم الثالث، ولا ينصح بأن ينقل من الكتاب ما يخص الفصل الأول مثلاً ثم ينهى المصادر ليعود مجددًا لجمع النصوص الخاصة بالفصل الثانى، لأن ذلك سيفقده حتمًا بعض النصوص وسيبذل جهدًا ووقتًا إضافيًا، على أن يؤشر الباحث علامة معينة إزاء كل كتاب قام بجمع نصوصه، كى لا يتوهم فيعود إليه ثانيًا.

و- ينصح الطالب أن يقوم أثناء جمع المادة بتسجيل كل ما يعن له من ملاحظات وهذه الملاحظات قد تسد ثغرة ما أو تصلح لأن تكون علو البحث أو حتى فصل، أو تشكل رأى أو فكرة تطرح أثناء الخوض فى موضوع البحث ويجب تسجيلها وعدم الاعتماد على الذاكرة فى حفظها لأن نصيبها سيكون النسيان بتوالي الأيام والاسترسال بالبحث والتقصي. وقد أشار بعض المؤلفين العرب المسلمين إلى ذلك كقول

القزويني(ت٦٨٢هـ): (لقد حصل لي فى طريق السمع والبصر والفكر والنظر حكم عجيبة وخواص غريبة، فأحببت أن أقيدها لتثبت، وكرهت الذهول عنها مخافة أن تفلت)[١].

٦ - طرق جمع النصوص

هناك خمسة طرق متبعة من قبل الباحثين فى الوقت الحاضر، منها ما هو تقليدى ومنها ما هو حديث ومتطور بتطور وسائل الحصول على المعلومات إلكترونيًا. وهذه الطرق، هي:

أ- **طريقة الدفتر**: ويقوم الباحث وفقًا لهذه الطريقة بجمع النصوص على أوراق الدفتر الثابتة، وهى طريقة قليلة الاستخدام لما تحمله من سلبيات، أهمها أن الدفتر المستخدم قد يتعرض للضياع لأن الباحث سيضطر إلى حمله معه فى تجواله بحثًا عن المصادر ما دامت أوراقه خالية لم يسجل عليها شيء فى حين نجد العكس فى طريقة البطاقات إذ لا يحمل معه الباحث إلا عددًا من البطاقات الفارغة، كما أن هذه الطريقة ستتعب الباحث حينما يأتى لمرحلة فرز المادة إذ لا يمكن أن يتم ذلك، وإذا أراد الكتابة دون فرز فإنه سيضطر إلى تقليب أوراق الدفتر مرات ومرات بحثًا عن النص المنشود لذا ينصح طالب الدراسات بالابتعاد عنها.

ب- **طريقة الملف**: وعلى أساس هذه الطريقة يقوم الباحث بجمع مادة البحث على أوراق يثبتها فيها بعد فى الملف أو (البوكس فايل) وهذه الطريقة يستحسنها بعض الباحثين[٢] للأسباب التالية:

---

(١) زكريا بن محمد القزوينى، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، (ص١٧).
(٢) أحمد شلبى، كيف تكتب بحثًا أو رسالة، (ص٨٠).

أولا- أن الطالب يسيطر على بحثه إذا اتبع هذه الطريقة.

ثانيا- أن الملف يحفظ الأوراق ولا تحفظها طريقة البطاقات.

ثالثا- سهولة الرجوع إلى النص المنقول على أوراق الدوسيه لأنه مقسم إلى أقسام.

رابعا- إمكانية التحقق من حقيقة نقله للنص إذا شك فى ذلك لأن الباحث يحمل الملف معه وهو يجمع النصوص.

ج- **طريقة البطاقات**: أو(الجزازات) كما كان يسميها المؤلفون القدامى[1].

إن البطاقات المستخدمة حاليًا تختلف عن سابقتها فهى ملونة ومصنوعة من الورق المقوى الصقيل لتسهيل استخدامها عند الباحث وهى عادة تكون بشكل مستطيل وبحجم واحد ولا يوجد اتفاق حول قياسات حجمها وعلى الأكثر فإن ذلك يتوقف على ما يرغب به الباحث، ووفقًا لهذه الطريقة يخصص الباحث مجموعة من البطاقات بلون معين لكل فصل من فصول الرسالة أو البحث، ولا يكتب إلا نصًا واحدًا فقط على وجه واحد فقط من وجهتي البطاقة مهما كان ذلك النص قصيرًا وذلك لأن كتابة أكثر من نص سيؤدى إلى فقدان بعضها إذا ما اقتبس الباحث النص الأول وترك الثانى ليعود إليه مجددًا، فإنه حتمًا سينسى ذلك بسبب استغراقه فى الكتابة، أما إذا كان النص طويلاً فيمكن له أن يستخدم أكثر من بطاقة على أن يرقم البطاقات ويشير فى أسفل يسار الأولى إلى تكملة النص فى الثانية بعلامة معينة أو كلمة(يتبع). ولا ينصح الباحث باستخدام ظهر البطاقة إلا فى حالة واحدة، وهى أن الباحث تعن له أحيانًا وجهة نظر أو رأى ما

---

(١) الخطيب البغدادى (ت٤٦٣هـ) إلى أنه استخدمها، انظر: تاريخ بغداد، (١٢ / ٤٧٤). وكذا الحال لابن العديم (ت٦٦٠هـ) الذى سماها الجزازات، ابن العديم: بغية الطلب، (ج٦ / ص ٢٥٣٦).

أو نقد معين أثناء جمعه للنص فيمكن له فى هذه الحالة أن يسجله على ظهر البطاقة كأن يكتب كلمة (خاص) متبوعة بسهم كدلالة على أن هناك رأى خاص بالباحث.

ويفضل الكثير من الباحثين هذه الطريقة على الطريقتين السابقتين للأسباب الآتية:

اولا- سهولة استخدامها وتحريكها لطبيعة الورق المصنوعة منه على عكس أوراق الملف.

ثانيا- سرعة الفرز لأنها ملونة بخلاف أوراق الملف.

ثالثا - سهولة وضعها فى درج مقسم إلى عدة أقاسم على عدد فصول البحث.

رابعا- سرعة الرجوع إلى البطاقة المطلوبة للتأكد من أن النص تم نقله أو لا فى حالة إذا ما شك الباحث بنقله لأنها ملونة أولاً ولأن الباحث هنا سيشير فى أعلى يسار البطاقة إلى النقطة من نقاط الفصل التى يتعلق بها النص المنقول.

خامسا- لا يحمل الباحث معه إلا البطاقات الفارغة التى يحتاجها لتسجيل النصوص، أما البطاقات الأخرى ستكون فى مكتبة بدرجها الخاص بها وهو مطمئن على وجودها.

٧ -الجمع وفق نظام البطاقات

عمد الباحثون على استخدام نظام البطاقات فى جمع المادة العلمية المراد جمعها للبحث المميز مع كتابه وهذا النظام يوفر للباحث الجهد والوقت والتنظيم وفق أبوابه وعنوانات البحث المراد كتابته.

فعند اختيار بحث ما نعمل فى بداية الأمر على رسم خطة للبحث تشتمل

على مباحث رئيسية وعلى عنوانات فرعية لكل مبحث وعند استخراج معلومات المعينة بالبحث من مصادر ومراجع نكتب هذه المعلومات (بطاقات خاصة).

ونجعل لكل بطاقة عنوانًا يتلاءم مع عناوين خطة البحث وتكرر هذه العملية عند قراءة كل كتاب حتى يصل بنا مطاف لجمع المعلومات عن عدة الكتب التى تخص موضوع البحث وبعد الانتهاء من عملية الجمع نقوم بفرز المعلومات المدونة على بطاقات حسب الخطة التى رسمناها للبحث ومن ثم نقوم بعزل البطاقات ونبدأ بالكتابة وفق أولويات المعلومات المستحصلة فى عملية الجمع.

ملاحظات عامة

عند كتابة الهامش لأول مرة نعتمد الآتي:

نكتب اسم المؤلف، عنوان كتاب، واسم المحقق إن وجد، طبعته مطبعة، مكان الطبع، سنة الطبع، جزء.

مثال:

الطبرى، (محمد بن جرير)، (تاريخ الرسل والملوك) تحقيق

(محمد أبو الفضل إبراهيم)، طبعه، مطبعة بولاق، مصر (١٩٦٧ ج٤ ص ١١٤).

إذا استخدمنا المصدر أعلاه للمرة الثانية سواءً فى ذات الورقة أو الأوراق التالية من بحث تعتمد إلى الاقتصار نكتب الطبرى، تاريخ الرسل، جـ، ص.

الإدارى للدولة ثم تأخذ أبرز الأعمال التى قامت بها الدولة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية وتتابع هذه الأعمال حتى الفصل الأخير الذى يتناول كيفية سقوط الدولة وإنهيارها.

قبل دخول المكتبة يجب أن تكون لنا معلومات عن كيفية فهرست الكتب فى

داخل المكتبة ليتسنى لنا إخراج الكتاب بسرعة محكمة وعدم التعثر وإضاعة الوقت لعدم معرفتنا لفهارس المكتبات.

فهرست المكتبات

وفق نظام عالمى الشهرة ويسمى أيضًا بتصنيف(ديوي)وقد عمد هذا التصنيف الكتب حسب الاختصاصات ووفق نظام عشري بجعل من رقم واحد الـ ٩٩ لاختصاص معين.

ومن (١٠٠ - ١٩٩) اختصاص آخر وهكذا

وكتب التاريخ من (٩٠٠ - ٩٩٩).

كل كتاب يدخل مكتبة يُعمل له تصنيف (هوية) ولتسهيل مهمة البحث عن هوية الكتاب بالنسبة للباحث عمل أهل المكتبات إلى جعل لكل كتاب ثلاث هويات وثلاث بطاقات تعريفية للكاتب

١- البطاقة الأولى تحمل اسم المؤلف ومن ثم اسم الكتاب ومن ثم عدد أجزاء الكتاب وتحمل رقم التصنيف العشري للكتاب داخل المكتبة.

مثال الطبرى

المؤلف: محمد بن جرير الطبرى
تاريخ الرسل والملوك
مطبعة بولاق مصر (١٩٧٧)
عدد الأجزاء (١٠)

٢- البطاقة الثانية لذات الكتاب تكون كالآتي: اسم الكتاب ثم اسم المؤلف تفاصيل الطبع على الأجزاء وتحمل نفس تفاصيل البطاقة الأولى

تاريخ الرسل والملوك ٩٥٣/ ٧٥/ ٤١٤
محمد بن جرير الطبرى متوفى ٣١٠هـ

مطبعة بولاق مصر ١٩٧٧
عدد الأجزاء (١٠)

٣- البطاقة الثالثة لنفس الكتاب وتشمل على مضمون الكتاب ثم الكتاب ثم المؤلف ثم التفاصيل، الطبع. عدد الأجزاء وتحمل نفس التطبيق العشرى

تاريخ إسلامى (٩٥٣/ ٧٥/ ٤١٤)
تاريخ الرسل والملوك
محمد بن جرير الطبري
مطبعة بولاق ١٩١٧
عدد الأجزاء (١٠)

هذه التصنيفات وضعت لخدمة الباحث لإخراج الكتاب بسرعة ممكنة فإذا كان الباحث يعرف اسم المؤلف ولا يعرف اسم الكتاب فعليه أن يبحث بالمجرات (الأزكسان). المهيئة بأسماء المؤلفين فإذا كان المؤلف يبدأ اسمه بحرف الياء فعليه، وإذا كان فى حرف الألف نفتش عليه فى الدكس الألف، أما إذا كان الباحث يعرف اسم الكتاب ويجهل اسم المؤلف فعليه أن يفتش عنه فى مجرات العناوين.

فإذا كان البحث فى التاريخ فيذهب إلى إندكس التاريخ بعد استخراج الكتاب والإطلاع على محتويات الكتاب ومضامين الكتاب ومعرفه هل تناول للكتاب موضوع البحث أم لا؟

فإذا كان الكتاب تناول موضوع البحث يجب أن تدور معلومات وأى جمع المعلومات بشكل عشوائى ولعملية جمع المعلومات وفق أسس علمية منها الاعتماد على أسلوب جمع معلومات وفق نظام يسمى البطاقات، ويجب الابتعاد عن عملية جمع المعلومات بالأوراق أو بدفاتر خاصة مما لهذه العملية من مساوئ

تشتمل بإضاعة الوقت وعدم الترتيب التى تخص بها نظام البطاقات إن نظام البطاقات يوفر للباحث الجهد والوقت فى آن واحد ولهذا فضلاً عن التبويب التى وضعها الباحث للموضوعات التى تناولها الباحث.

ما هى الطرق المطلوبة فى كتابة البحث (اختيار عنوان الموضوع)

١- وضع الخطة

٢- كل جدول - للكتب والمصادر

٣- العمل فى كتابة الموضوع إما على نظام الأوراق أوالبطاقات.

اسمه/ عبد الله محمد بن على

السياسى (١)

ولد فى دمشق

(١) الطبرى، عبد الله محمد بن على
تاريخ الرسل والملوك ت/ محمد
مطبعة بولاق ١٩٦٧هـ

تكتب تفاصيل الكتاب بكامله عند ورود المصدر لأول مرة: اللقب، الاسم الكتاب / ت/ طبعة / سنة ومكان الطبع ثم جزء وصفحة.

الطبرى، محمد بن جرير، الرسل والملوك، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ط، مطبعة بولاق.

إذا ورد المصدر مرة ثانية سواء فى نفس الصفحة أو صفحات أخرى نعمد إلى الاختصار فنذكر اللغة، اسم الكتاب جزء وصفحة.

كتابة البحث

بعد الانتهاء من عملية جمع معلومات نبدأ بتبويب المعلومات(إعداد خطة البحث) التى تشتمل على المقدم وفق التقسيمات الداخلية للموضوع فإذا كان

البحث المراد كتابته يتعلق بشخصية معينة كأن يكون حول الخليفة أبو جعفر المنصور فنقسمه كالآتي:-

المبحث الأول: ويشمل على

اسمه / ولادته / كنيته / لقبه / ترتيبه / نشأته الأولى / وأهم الوظائف والأعمال التى أنيطت به قبل توليه الخلافة.

المبحث الثاني:

توليه الخلافة / الأعمال التى قام بها:

كأن يكون أعمال سياسية / الأعمال الإدارية / الأعمال العسكرية.

المبحث الثالث:

أن يكون عن الناحية العمرانية بناء بغداد - تخطيط المدينة اختيار الموقع / سكان القبائل.

وبعد هذا تكون الخاتمة وتشمل:

أ- أبرز الاستنتاجات التى توصل إليه المبحث ومن ثم قائمة المصادر

بعد رسم الخطة أعلاه نبدأ بعملية كتابة البحث وكتابة البحث نعتمد على المعلومات التى جمعناها فنبدأ بتقسيم معلومات المجموعة وتوزيعها حسب الفصول والمباحث التى رسمناها فى الخطة، نستخرج البطاقات التى تناولت اسم المصدر ونبدأ بقرائتها وتصنيفها وكتابتها للبحث، علمًا بأن الورق المستخدم فى البحث تقسم إلى قسمين بخط لا يتجاوز منتصف الصفحة فيصبح الجزء العلوى من الورقة(متن) والجزء السفلى من الورقة(هامش).

الإدارى للدولة ثم نأخذ أبرز الأعمال التى قامت بها الدولة من الناحية

السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية وتتابع هذه الأعمال حتى فصل الأخير الذى يتناول كيفية سقوط الدولة وانهيارها.

قبل الدخول إلى المكتبة يجب أن تكون لنا معلومات عن كيفية فهرست الكتب داخل المكتبة ليتسنى لنا إخراج الكتاب بسرعة ممكنة وعدم التعثر وإضاعة الوقت لعدم معرفتنا لفهارس المكتبات.

٨ -الخاتمة

ورد مصطلح(الخاتمة) عند بعض المؤلفين العرب المسلمين، لكن استخدامها لم يكن كما هو فى البحث العلمى الحديث، إذ كان يضع بعض المؤلفين عنوان الخاتمة للباب الأخير من أبواب الكتاب، وفى المنهج الحديث لكل بحث خاتمة وتسمى عند بعض الباحثين باسم(الخلاصة) (١) وهى تسمية غير دقيقة لأنها تختلف من حيث المضمون عن الخاتمة، وقد تسمى أحيانًا (الاستنتاج) أو (النتائج).

والخاتمة فى البحث التاريخى، مكرسة لذكر ما توصل إليه الباحث من نتائج أو حقائق أو آراء خلال عملية البحث، وهذه النتائج المذكورة فى الخاتمة يلتقطها.

٩ - قائمة المصادر والمراجع

وهى أحد أجزاء ما حول البحث (مكملاته) وتسمى أحيانًا فهرست المصادر أو ثبت المصادر، والتسمية التى أثبتناها هى الأكثر شيوعًا عند الباحثين، إن على الباحث أن يسجل جميع المصادر والمراجع التى استقى منها معلومات البحث حتى وإن كان نصًا واحدًا فقط، وهناك ملاحظة مهمة فى هذا الجانب تتعلق بسؤال قد يتبادر إلى ذهن طلبة الماجستير وهو: هل أن هناك مصادر لا تذكر فى

(١) خليل سعيد، منهج البحث التاريخى، ص١٩٣.

القائمة؟ نعم وهى تلك المصادر التى أحال عليها الباحث إحالة خارجية كى يطلع عليها القارئ دون أن يكون الباحث قد استقى منها معلومات. كما أن الكتاب المتكون من عدة أجزاء يعد مصدرًا واحدًا فقط وليس بعدد أجزائه وهذه القائمة مهمة، ولا بد منها فى جميع البحوث التاريخية وذلك لأنها تعكس للمطلع على الكتاب طبيعة المصادر المعتمدة ومدى أهميتها من جهة ومن جهة ثانية - تزود البحث بما يحتاجه من معلومات عن المصادر الموجودة فيها، وتأتي هذه القائمة قبل فهرست المحتويات إذا كان ذلك الفهرست قد وضع فى نهاية البحث.

أن جمع المعلومات المطلوبة عن كل مصدر ومرجع بغية تسجيلها فى هذه القائمة ترافق مرحلة جمع النصوص، ولا ينصح الطالب أو الباحث المبتدئ بترك ذلك حتى الانتهاء من كتابة البحث، لأنه سيبذل وقتًا وجهدًا إضافيًا، كما أن المعلومات عن بعض المصادر ربما يصعب أمر الحصول عليها، لذا عليه أن يخصص بطاقة بلون يختلف عن ألوان بطاقات جمع المادة التاريخية ويدون فيها معلومات أى مصدر ومرجع تأكد أنه سينقل منه نصًا، وليكتب المعلومات بالصورة التى سيرتبها مع كل مصدر أو مرجع فى القائمة على النحو الآتي:

اسم الشهرة

الاسم الثلاثى

سنة الوفاة إن كان من المؤرخين المسلمين القدامى.

عنوان الكتاب الكامل

اسم المحقق أو المترجم إن وجد

رقم الطبعة ويرمز لها بحرف ط أعلاه الرقم (ط٤).

اسم دار النشر

مكان وتاريخ النشر بين قوسين.

على أن يفصل بين معلومة وأخرى بفارزة ثم تنتهى المعلومات دائمًا بنقطة وينصح الطالب أو الباحث حين تسجيل تلك المعلومات على(بطاقة المصدر) بوضع الحرف الأول من اسم الشهرة على وسط تلك البطاقة وبخط واضح لتسهيل أمر ترتيب البطاقات عند فرزها ومحاولة تنظيم قائمة المصادر والمراجع.

إن اسم الشهرة المتبع هنا قد يكون اسمًا لأحد أجداد المؤلف، أو أبيه وربما كان نسبًا أو نسبه أو لقبًا، كما أن التنظيم الأساس لمصادر القائمة حسب حروف المعجم ومن الأخذ بنظر الاعتبار ألفاظ(أبو، ابن، أبى، أل) فإنها تكتب ولا يؤخذ بها فى الترتيب الهجائى أو الأبجدى فإذا كانت شهرة المؤلف ابن كثير فإن ترتيب المصدر سيكون على حرف الكاف وإذا كانت شهرته الطبرى سيرتب على حرف الطاء وإذا كان ابن أبي الحديد فسيكون حرف الحاء وهكذا.

قائمة المصادر والمراجع
لمنهج البحث التاريخي

١- القرآن الكريم.

٢. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن على الجزرى (ت٦٣٠هـ)، الكامل فى التاريخ، ط٢، ت عبد الله القاضى، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٩٩٥).

٣- ابن الأثير، ضياء الدين بن محمد الموصلى (ت٦٣٧هـ)، المثل السائر، ت محمد محى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، (بيروت - ١٩٩٥).

٤- ابن إياس، محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ)، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ت مصطفى زيادة، (القاهرة - ١٩٨٤).

٥- ابن تغرى بردى، أبو المحاسن يوسف الأتابكى (ت٨٧٤هـ)، المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، ت محمد أمين، (القاهرة - ١٩٨٦).

٦- الجاحظ أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى (ت٢٥٥ه)، كتاب الحيوان، ت عبد السلام محمد هارون، (القاهرة - ١٩٣٨ - ١٩٤٥).

٧- رسائل الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، (القاهرة - ١٩٦٤).

٨- ابن جماعة، بدر الدين محمد بن إبراهيم (ت٧٣٣هـ)، تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم، (حيدر أباد الدكن ١٣٥٤هـ).

٩- ابن الجوزى، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، الدار الوطنية، (بغداد - ١٩٩٠).

١٠- الجوهرى، أبو ناصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، الصحاح فى اللغة،ت أحمد عبد الغفور عطا (القاهرة - ١٩٥١).

١١- حاجى خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، (بيروت - ١٩٩٢).

١٢- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ)،الإصابة فى تمييز الصحابة، (القاهرة - ١٣٢٨هـ).

١٣- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ت عبد المعين خان، (حيدر أباد الدكن ١٩٧٢).

١٤- الحموى، ياقوت بن عبد الله الرومى (ت: ٦٢٦هـ)، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء، (القاهرة - ١٩٢٢).

١٥- معجم البلدان، دار الفكر، (بيروت - ١٩٩٥).

١٦- الحميرى،محمد بن أبى نصر (ت٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية، (القاهرة - ١٩٦٦).

١٧- الخزرجى، الملك الأشرف الغسانى (ت٨٠٣هـ)، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك فى طبقات الخلفاء والملوك، ت شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الإسلامى، (بيروت - ١٩٧٥).

١٨- الخطيب البغدادى، أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، (بيروت - د. ت).

١٩- ابن خلدون،عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربى (بيروت - د.ت).

٢٠- ابن خلكان، أبو العباس، أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت - ١٩٦٨).

٢١- الدلجى، أحمد بن علي (ت ٨٣٨هـ)، الفلاكة والمفلوكون، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٩٩٣).

٢٢- الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ)، تذكرة الحفاظ، مكتبة الحرم المكى، دائرة المعارف العثمانية،(حيدر آباد الدكن - د.ت).

٢٣- سبط ابن الجوزى، أبو المظفر قزاوغلي (ت٦٥٤هـ)، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان،مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن - ١٣٧٠هـ).

٢٤- السخاوى، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت (٩٠٢هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، مطبوع ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال، مكتبة المثنى (بغداد - ١٩٦٣).

٢٥- ابن سعد،محمد بن سعد كاتب الواقدى (ت٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، (بيروت - ١٩٧٥).

٢٦- ابن شاكر، أحمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ)، عيون التواريخ، تحقيق: نبيلة عبد المنعم، (بغداد - ١٩٩١).

٢٧- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت٦٦٥هـ)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، دار الجيل، (بيروت - ١٩٧٤).

٢٨- الشوكانى، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ط١، مطبعة السعادة، (القاهرة - ١٣٤٨هـ).

٢٩- الصفدى، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ)، نكت الهميان فى نكت العميان، (القاهرة - ١٩١١).

٣٠- الصيرفى، علي بن داود (ت٩٠٠هـ)، أبناء الهصر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشى (القاهرة - ١٩٧١).

٣١- ابن العديم، عمر بن أحمد بن أبى جرادة (ت٦٢٨هـ)، بغية الطلب فى تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الفكر، (بيروت - ١٩٨٨).

٣٢- الطبرى، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، (بيروت - ١٤٠٧هـ).

٣٣- العسكرى، أبو هلال (ت٣٩٥هـ)، كتاب جمهرة الأمثال، دار الفكر، (بيروت - ١٩٨٨).

٣٤- القزوينى، زكريا بن محمد (ت٦٨٢هـ)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، (بيروت - ١٩٧٨).

٣٥- الكافيجى، محى الدين محمد بن سليمان (ت٨٧٩هـ)، المختصر فى علم التاريخ، نشر مع كتاب علم التاريخ لروزنثال، (بغداد - ١٩٦٣).

٣٦- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقى (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، (بيروت - د.ت).

٣٧- المسعودى، أبو الحسن على بن الحسن (ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط١، دار الكتاب العربى (بغداد - د.ت).

٣٨- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: فؤاد عبد الباقى، التراث العربى (بيروت - د.ت).

٣٩- المقدسى، أبو عبد الله أحمد بن أبى بكر البشاري (ت٣٨١هـ)، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم.

٤٠- المقدسى، مطهر بن طاهر (ت٥٠٧هـ)، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة - د.ت).

٤١- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار الفكر، (بيروت - ١٩٥٥ - ١٩٥٦).

٤٢- ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت٣٨٥هـ)، الفهرست، دار المعرفة، (بيروت - ١٩٧٨).

٤٣- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء، ط١، مطبعة السعادة، (القاهرة - ١٩٣٨).

٤٤- اليونينى، قطب الدين موسى بن محمد (ت٧٢٦هـ)، ذيل مرآة الزمان، ط ١، مطبعة المعارف العثمانية، (حيدر آباد الدكن - ١٣٨٠هـ).

٤٥- أنجلو، النقد التاريخى، ترجمة عبد الرحمن بدوى، دار النهضة العربية، (القاهرة - ١٩٦٢).

٤٦- باقر، طه ومحمد، عبد العزيز: طرق البحث التاريخى فى التاريخ والآثار، (بغداد - ١٩٨٠).

٤٧- جابر، الدكتور فاضل، أغرب الأخبار فى ضياع الحقائق والكتب والآثار، مطبعة العصامى، (بغداد - ٢٠٠٦).

٤٨- محاضرات فى منهج البحث التاريخى، المكتبة الوطنية، (بغداد - ٢٠٠٦).

٤٩- إبن كثير ومنهجه فى كتابة البداية والنهاية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩١.

٥٠- جوتشلك، لويس، كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائد سليمان وأحمد مصطفى، (بيروت - ١٩٦٦).

٥١- الدايني، واثق، على هامش ترجمة كتاب الأطروحة والكتاب، ترجمة واثق الدايني، دار الشؤون الثقافية، (بغداد - ١٩٨٨).

٥٢- دولنيك، وليام سى، اجتناب الرسالة العلمية المكررة، بحث ضمن كتاب الأطروحة والكتاب، ترجمة واثق الدايني، دار الشؤون الثقافية، (بغداد - ١٩٨٨).

٥٣- روزنثـال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، مكتبة المثنى، (بغداد - ١٩٦٣).

٥٤- السامر، فيصل، ابن الأثير، دار الشؤون الثقافية العامة،(بغداد - ١٩٨٦).

٥٥- سعيد، خليل، منهج البحث التاريخى، (بغداد - د.ت).

٥٦- شلبى، أحمد، كيف تكتب بحثًا أو رسالة، ط١٥، مكتبة النهضة الأوربية، (القاهرة - ١٩٨٢).

٥٧- طه، عبد الواحد زنون، أصول البحث التاريخى، (الموصل - ١٩٩٠).

٥٨- عثمان، حسن، منهج البحث التاريخى، دار المعارف،(القاهرة - ١٩٧٦).

٥٩- العمرى، أكرم ضياء، بحوث فى السنة المشرفة، ط٢، مطبعة الإرشاد، (بغداد - ١٩٧٢).

٦٠- مـوارد الخطيـب البغـدادى فى تـاريخ بغـداد، دار القلـم، (بيروت - ١٩٧٥).

٦١- غنيم، عادل حسن وحجر، جمال محمود، فى منهج البحث التاريخى، دار المعرفة، (الإسكندرية - ١٩٩٣).

٦٢- الفياض، عبد الله، التاريخ فكرة ومنهجًا، مطبعة أسعد، (بغداد - ١٩٧٢).

٦٣- مزبان، إسراء مهدى، الصراع على السلطة فى مصر - عصر دولة المماليك البحرية - رسالة ماجستير غـير منشـورة، كلـية التربيـة، جامعـة واسـط، ٢٠٠٦.

٦٤- المعاضيدى، خاشع وآخرون، تاريخ الوطن العربى والغزو الصليبى، (بغداد - ١٩٨١).

٦٥- المطبعى، حميد، الدكتور جواد علي، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد - ١٩٨٧).

٦٦- الملاح، هاشم يحيى وآخرون، دراسات فى فلسفة التاريخ، (الموصل - ١٩٨٨).

٦٧-موافي، عثمان، منهج النقد التاريخى الإسلامى والمنهج الأوربي، (الإسكندرية - ١٩٨٤).

٦٨- الهوارى، صلاح الدين، كيف تكتب بحثًا أو رسالة، دار ومكتبة الهلال، (بيروت - ٢٠٠١).

٦٩- هولمز، أوليف، الأطروحة كتابًا، بحث ضمن كتاب الأطروحة والكتاب، ترجمة واثق الدايني، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد - ١٩٨٨).

٧٠- النجدى، أحمد جاسم، منهج البحث الأدبى عند العرب، وزارة الثقافة والفنون، (بغداد - ١٩٧٨).

٧١- النقيب، مرتضى، المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخى، (بغداد - د.ت).

الفصل الثالث

المبحث الأول

منهج البحث الأدبي

تعريفه.. تطوره.. منهجه.. صفات الباحث

تعريف البحث

هو الطريقة[1] التى يصل بها الباحث إلى الحقيقة، وهو المنظم الذى يكتمل فى إطاره البحث فكرة ونتائج مدونة مرتبة مؤيدة بالبراهين والأسانيد والحجج وقد وضحت فيه الحقيقة المقصودة.

ومنهج البحث عريق فى القدم فجذوره ممتدة فى بلدان لها حضارات وأمجاد تليدة كالعراق ومصر والصين. هذه البلدان التى غصت بالفلاسفة والمفكرين فنورت أفكارهم ونظرياتهم الناس كافة. حيث نلمح لكل فيلسوفٍ منهجه وطريقته الخاصة. فالحاجة إلى تنظيم نتاج المؤلف وضبطه وعدم الانسياب وراء الفكرة دفعت أولئك المفكرين إلى اعتماد المنهج لأهميته فى إبراز فكرته، وتعميمها منظمة مرتبة واضحة. ويعد (المنطق لأرسطو) أول مؤلف تلمح فيه علامات المنهج بل عُدَّ أول منهج وضع للبحث العلمى وطرق الاستدلال والاستنباط وفيه رأيه عن الكليات الخمس المعروفة: الجنس، النوع، الفصل، الخاصة والعرض[2].وقد اهتم العرب بمنطق أرسطو منذ مطلع القرن الثانى الهجرى

(١) الآلوسى، نورى شاكر، البحث الأدبى ومنهجه، (دار الحرية للطباعة، سنة ١٩٨٤م) ص (٩-١١).

(٢) شوقى ضيف – البحث الأدبى، ص (٧٩).

حيث سبقوا إلى ترجمته وشرحه وتلخيصه واستلهموه فى وضع علومهم وبحوثهم الأدبية مع محاولة العناية بالمفردات واكتمال الاستقراء وبخاصة فى علم النحو فى الاعتماد الكلى على السماع وصحة الاستنباط مع شدة الملاحظة واعتماد التجربة.

وقد جاء فى لسان العرب: (البحث: طلبك الشى فى التراب ... والبحث أن تسأل عن شيء وتستخبر، وبحث عن الخبر وبحثه يبحثه بحثًا: سأل، وكذلك استبحثه واستبحث عنه..) [1].

ويلاحظ من هذه الشروح اللغوية أن لفظة (البحث) تشتمل على المعنيين الأول منهما مادى هو طلب الشيء والتفتيش عنه، والثانى منهما معنوى هو السؤال عن الشيء.والعلاقة بين المعنيين واضحة،ذلك أن التفتيش عن الشيء مرحلة أولى فى سبيل الكشف عنه والعثور به، فإن يتمكن الإنسان من إيجاد ما يطلب بواسطة التفتيش سأل عن ذلك الشيء للتعرف على مكانه، ومن هنا نرى أن المدلول المعنوى تطور منطقى لمدلوله المادى. وردت لفظة[2](البحث) مصطلحًا فى الكتب الأدبية القديمة بمعنيين:

الأول: التفتيش عن النصوص والأخبار، ومن النصوص الدالة على هذا قول أبى أحمد العسكرى: (شرحت فى كتابى هذا الألفاظ والأسماء المشكلة التى تتشابه فى صورة الخط فيقع فيها التصحيف ويدخلها التحريف، مما يعرض فى ألفاظ اللغة والشعر... فيصحفها عامة الناس ويغلط فيها بعض الخاصة ولا يكمل لها إلا من أتقن فى العلوم ولقى

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (بحث).

(٢)النجدى، أحمد جاسم(الدكتور)، منهج البحث الأدبى عند العرب، ص ٢٩-٢٤.

العلماء والرواة.... واستقبح لذة الراحة والتقليد على تعب البحث والتنقير....)[1].

وطبيعى أن التفتيش عن النصوص والأخبار وجمعها، ويتبعه قيام المؤلف بدراسة هذه النصوص لفهمها والوصول إلى معانيها الحقيقية، لهذا ترد لفظة (البحث) دالة على القدرة على التعمق فى دراسة النص ومقترنة بالنظر والتأمل عند كثير من المؤلفين، من مثل ما نراه فى قول ابن طباطبا العلوى:(فإذا اتفق لك فى الأشعار التى يحتج بها تشبيه لا تتلقاه بالقبول أو حكاية تستغربها فابحث عنه ونقر معناه فإنك لا تعدم أن تجد تحته خيبة إذا أثرتها عرفت فضل القوم بها)[2].

والمعنى الثانى لمصطلح البحث عند القدامى هو المناقشة والجدل، وقد دل المصطلح على هذا المعنى منذ القرن الثالث للهجرة، ففى كتاب الكامل للمبرد فى معرض الحديث عن الخوارج نرى النص التالى:(وذكروا أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبحثه، فرأى منه ما شاء فهمًا وعلمًا، ثم بحثه فرأى ما شاء أربا ودهيًا فرغب فيه فاستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه...)[3]، وواضح أن لفظة

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف ١، وورد(البحث) بهذا المعنى فى كثير من الكتب، ينظر على سبيل المثال: رسائل أبى حيان، (١٠٨ – ١٠٩)، تاريخ علماء الأندلس، (½)، البديع فى وصف الربيع، (١٦٠ – ١٦١)، الذخيرة، (١/ ١/ ٢)، جذوة المقتبس، (٧٠)، الجمان، (٢٢٣)، سمط اللآلى، (١/ ٤٣٠)، بغية الملتمس، (٤١٥ – ٤١٦)، الصلة، (١/ ٩١)، بدائع البدائه، (٤/ ٤٠٧ – ٤٠٨)، معجم الأدباء، (٥/ ٩٧)، الجامع الكبير، (١)، المثل السائر، (١/ ١١٢)، إنباه الرواة، (٣ / ٦٢)، نهاية الأرب، (٨ / ٥١)، بغية الوعاة، (٢/ ١١٠).

(٢) عيار الشعر، (١١)، وورد البحث بهذا المفهوم فى كثير من الكتب، ينظر على سبيل المثال: مروج الذهب، (١/ ٩١، ١٤٤ – ١٤٥)، الوساطة، (٢٠٨)، إعجاز القرآن، (٣٨٨)، أسرار البلاغة، (٤٢، ٧٨)، أحكام صنعة الكلام، (٩٥ – ٩٦)، نكت الهميان، (٦٥)، تذكرة السامع، (٧٢ – ٧٣)، مقدمة ابن خلدون، (٣٨).

(٣) الكامل، (٣/ ٢٣١).

(بحثه) هنا تعنى جادله وناقشه، وقد استعمل(البحث) بهذا المعنى فى كثير من الكتب القديمة[1]، واستقر لدى المتأخرين مصطلحًا خاصًا بالجدل والمناظرة، وفى هذا يقول الشريف الجرجانى: (آداب البحث: صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان كيفية المناظرة وشرائطها صيانة له عن الخبط فى البحث وإلزامًا للخصم وإفحامه..)[2]. وقد ألف المتأخرون كثيرًا من الرسائل والكتب فى هذا الموضوع معنونة بآداب البحث، لا حاجة بنا إلى ذكرها لكونها إلى علم المنطق أقرب منها إلى علم الأدب.

وللبحث عند القدامى- كما هو الحال عند الدارسين المحدثين- منهج معين يلتزم به المؤلفون ويسيرون على خطواته ومبادئه، والدلائل التى تؤكد هذه الفكرة عديدة متنوعة تبدو أولاً فى نظرتهم إلى صعوبة التأليف وإشاراتهم إلى كثرة الطاعنين على الكتب والمؤلفات، من مثل قول الجاحظ:(من صنف كتابًا فقد استهدف، فإن أحسن فقد استعطف، وإن أساء فقد استقذف ...)[3]، وقوله أيضًا: (لا يزال المرء فى فسحة من عقله ما لم يقل شعرًا أو يصنف كتابًا)[4]، وشبيه بهذا ما ينقله الراغب الأصفهانى من قولهم: (عرض بنات الصلب على الخطاب أسهل من عرض بنات الصدور على الألباب)[5]، وقول الخطيب البغدادى: (من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس).

هذه الأقوال السابقة واضحة الدلالة على إحساس المؤلفين القدامى بصعوبة

(١) سبيل المائل: الكشف عن مساوئ شعر المتنبى، (٣١)، زهر الآداب، (٢/ ٨٤٤ - ٨٤٥)، أسرار البلاغة، (٦٥)، أيها الولد، (٤٥)، تذكرة السامع، (٤١)، الغيث المسجم، (١ / ٤).

(٢) التعريفات، ١٤، وينظر: التحفة النظامية، (٤٩)، كشف الظنون، (١ / ١١٨).

(٣) القيروانى، زهر الآداب، (١ / ١٤٢).

(٤) محاضرات الأدباء، ١ / ٤١.

(٥) المصدر نفسه.

التأليف وحراجة موقف المؤلف واحتياطه وحذره لئلا يتناوله الآخرون بالطعن والتجريح، فهى لهذا واضحة الدلالة على وجود طريقة معروفة للتأليف، لذا لا يمكن أن نتصور أنهم ينصتون على صعوبة التأليف وهو عندهم جمع عشوائى لا يسير على منهج معين، ولا يمكن أن يكون المؤلف محرجًا أمام الآخرين إذا لم يكن فى ذهن الآخرين مفهوم واضح لطريقة معينة فى التأليف.

ويتصل بهذا ما نراه كثيرًا من اعتذار المؤلفين خلال كتبهم عما يبدو فيها من خلل أو نقص واضطراب، وتوجهنا مثل هذه الاعتذارات منذ القرن الثالث الذى يمثل حقبة متقدمة فى التأليف الأدبى، فالمبرد يقول فى كتابه الفاضل: (وسنذكر فى كتابنا هذا أبوابًا من كلام العرب وبعض ما روى عنها ... ونقيم العذر فى تقصير إن وقع فيه أو خلل إن لزمه، فإنا ألفناه من غير خلوة به ولا تمييز لما تضمنه ونسأل الله توفيقه وحسن معونته). وواضح أن المؤلف يعتذر من قارئ الكتاب مما قد يجده القارئ من نقص أو خلل يرجع إلى عجلة المؤلف فى إخراج الكتاب، وهذا يدل على أن القارئ الذى يتوجه المؤلف بهذا الاعتذار إليه يتفهم من عملية التأليف التأنى والانصراف إلى البحث وحسن تنسيقه، كما يعرف مواضع الخلل والنقص فى الكتاب الذى يقرؤه، وأى خلل أو نقص يبدو واضحًا للقارئ، إذا لم يكن فى ذهنه صورة أو طريقة معروفة فى التأليف، وأى سبب يدعو المؤلف إلى الاعتذار إن لم يكن التأليف قد بلغ المنزلة التى يكون بوساطتها تقليدًا أو علمًا له قواعد وأصول بالشكل الذى يحمل المؤلف على الاعتذار إن هو أخل بشيء منها ؟ ومن هنا كنا نفهم من هذه الاعتذارات التى يبديها المؤلفون فى كتبهم أنها تدل على أن هناك منهجًا معروفًا للبحث والتأليف عند الجميع إن خالفه المؤلف استوجب اعتذاره.

وإذا ما تركنا القرن الثالث واجهتنا فى القرون التالية له كثرة من أمثال هذه الاعتذارات التى تصبح قاعدة فى التأليف لا يكاد يخلو منها كتاب، من مثل قول

أبى أحمد العسكرى:(وأسأل الله التوفيق للصواب والسلامة من الزلل، فإنى أمليت هذا الكتاب على حين تقسم من القلب وتشعث من الفكر واضطراب من الجسم ... وفى أيسر هذه الشواغل وأقل هذه الدواعى ما يذهل ويشغل وينسى معه ما قد حفظ).

واعتذاره هذا قائم على أساس عدم استقرار الحالة النفسية والصحية للمؤلف عند تأليفه الكتاب، وارتباط الاعتذار بهذه الناحية دليل أكيد على وجود منهج علمى فى التأليف تستدعى مراعاته والسير على خطواته - من ضمن ما تستدعيه - استقرار المؤلف نفسيًا.

ولابن القيم الجوزية اعتذار مهم فى كتابه (روضة المحبين) يقول فيه: (والمرغوب إلى من يقف على هذا الكتاب أن يعذر صاحبه فإنه علقه فى حال بعده عن وطنه وغيبته عن كتبه). وهو فى اعتذاره هذا يشير صراحة إلى أن سبب ما قد يظهر فى كتابه من نقص يرجع إلى بعده عن كتبه، ومن ثم يشير صراحة إلى ناحية مهمة فى منهج البحث ألا وهى جمع المصادر قبل الشروع بالتأليف، وما توجه بالاعتذار إلى قارئه إلا لأن هذه الفكرة المنهجية(جمع المصادر) مفهومة لدى الجميع.

ونستطيع الوقوف على دليل آخر يقوى الاعتقاد بوجود المنهج عند المؤلفين القدامى، وهو ما يواجهنا كثيرًا من وصفهم لبعض المؤلفين بإجادة التأليف ووصفهم لبعضهم الآخر بعدم إجادته، وهذه الإشارات كثيرة فى الكتب وحسبنا أن نذكر بعضها لنرى بم ترتبط هذه الأوصاف وعلى أى شيء تدل.

يقول المرزبانى عن أبى بكر الصولى: (... فكان واسع الرواية حسن الحفظ للآداب والافتنان فيها حاذقًا بتصنيف الكتب ووضع الأشياء منها مواضعها)، ونلاحظ أن وصفه للصولى بإجادة التأليف مرتبط بحسن ترتيب الصولى لمواد

كتبه ووضعها فى أماكنها المناسبة، وهذا يشير إلى مسألة مهمة من مسائل المنهج إلا وهى التبويب والتنسيق لمواد الكتاب حسب الترابط فيما بينها.

ويشبه هذا ما يقوله الخطيب البغدادى فى وصف المرزبانى:(.. كان حسن الترتيب لما جمعه)[1]، وما يقوله ياقوت الحموى عن الوشاء:(من أهل الأدب حسن التصنيف مليح التأليف)[2].

وقد ترتبط إجادة التأليف عندهم بوضوح المادة العلمية وحسن عرض المؤلف لها، نرى هذا فى قول ياقوت الحموى متحدثًا عن كتاب (المقدمة فى النحو) للجوهرى:(وهذا الكتاب هو الذى بأيدى الناس اليوم وعليه اعتمادهم أحسن تصنيفه وجود تأليفه وقرب متناوله ... وضعه على قريحة سالمة. ونفس عالمة..)[3].

كما يرتبط حسن التأليف أحيانًا بحسن استيعاب المؤلف لمادة كتابه وموضوعاته، من مثل قول ياقوت الحموى فى أبى الفرج الأصفهانى:(لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه فى فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه..)[4].

ويتصل حسن التأليف أيضًا بحسن اختيارات المؤلف وجودة دراسته ومنافسته للأحكام، كما يفهم من قول الصفدى فى المرزوقى: (كان غاية فى الذكاء والفطنة، حسن التصنيف وإقامة الحجج وحسن الاختيار..)[5] أو قد يرتبط حسن التأليف بجودة عبارة المؤلف فى كتابه، كما نرى هذا فى قول

(١) الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، (٣/ ١٣٥).
(٢) ياقوت الحموى، معجم الأدباء، (٦/ ٢٧٧).
(٣) المصدر نفسه، (٢/ ٢٦٨).
(٤) المصدر نفسه، (٥/ ١٤٩).
(٥) الصفدى، الوافى بالوفيات، (٨/ ٥).

الصفدى متحدثًا عن كتاب الذخيرة لابن بسام: (ولا أعرف فى الأدب كتابًا مثله فى بابه فى الاستطراد بالنظائر والأمثال والأشباه وذكر السرقات، وأما نثره فى تراجم من ذكره فيها فإنه كالمدام وصفًا والنسيم لطفًا)[1].

هذه أمثلة لما يواجهنا من وصف بعض المؤلفين بحسن التأليف وإجادته وقد رأينا أن هذا الوصف يرتبط بصفاء لغة المؤلف حينا وحسن ترتيبه لمواد كتابه حينا آخر، كما يرتبط بجمع المؤلف لمصادر كتابه وحسن عرضه لمواد الكتاب وجودة دراسته للنصوص إضافة إلى حسن استيعابه لها فى أحيان أخرى. وكل هذه المسائل تعد مسائل أساسية فى منهج البحث، ومن ثم يمكن القول بأن النصوص السابقة تدل على وجود هذا المنهج عند المؤلفين العرب ومعرفتهم به. هذا المنهج الذى يحتوى - من ضمن ما يحتويه - على هذه المسائل المنهجية المهمة، التى إن التزم المؤلف بها كان مستحقًا لأن يوصف بإجادة التأليف، فإن أخل بإحدى هذه المسائل أو بمسائل أخرى تعد أساسية فى منهج البحث وصف بعدم إجادة التأليف، كما نرى هذا عند القفطى وهو يتحدث عن عبد اللطيف ابن يونس البغدادى: (وكان يدعى تصنيف كتب ما فيها مبتكر، وإنما يقف على تصانيف غيره فإما أن يختصر أو يزيد مالا حاجة إليه وهى فى غاية البرودة والركاكة)[2]، وواضح أن نقد هذا المؤلف قائم على أساس انعدام صفة الابتكار والجدة فى مؤلفاته، والابتكار أهم سمة من سمات البحث العلمى وأهم ما يجب أن يتوخاه باحث عند اختياره موضوعًا معينًا.

وفى ثنايا الكتب القديمة نصوص تشير صراحة إلى وجود طريقة خاصة للتأليف، وطريقة التأليف تقابل منهج البحث فى المعنى، ونحسب أن نص

(١) المصدر نفسه، (١٢ / ١٣).

(٢) القفطى، أنباه الرواة، (٢ / ١٩٤ - ١٩٥).

المؤلفين على وجود هذه الطريقة الخاصة للتأليف من أقوى الدلائل على وجود منهج للبحث عندهم.

ويقول المحسن التنوخى فى وصف كتابه نشوان المحاضرة: (هذه ألفاظ تلقطتها من أفواه الرجال وما دار بينهم فى المجالس ... ولعل قارئها والناظر فيها أن يستضعفها إذا وجدها خارجة عن السنن المعروفة فى الأخبار والطريق المألوف فى الحكايات والآثار الرتبة فى الكتب المتداولة بين أهل الأدب)[1] فهو يشير صراحة إلى أن ما فى كتابه خارج عن الطريقة المعروفة الثابتة عند أهل الأدب فى تأليفهم للحكايات والأخبار، وهذه الطريقة منذ القرن الرابع وهو القرن الذى عاش فيه المؤلف، ويشبه قوله السابق قوله فى كتابه الآخر(الفرج بعد الشدة): (وكنت قد وقفت فى بعض محنى على خمس أو ست أوراق جمعها أبو الحسن علي بن محمد المدائني وسماها: كتاب الفرج بعد الشدة والضيق، وذكر فيها أخبارًا تدخل جميعها فى هذا المعنى فوجدتها حسنة ولكنها لقلتها نموذج صغير ولم تأت مؤتلفة ولا سلك بها سبيل الكتب المصنفة)[2]، وواضح ما بعبارته الأخيرة من نص صريح على وجود طريقة خاصة بتأليف الكتب، نرى النص عليها واضحًا أيضًا فى قول أبى حيان التوحيدى متحدثًا عن رسالته فى أخلاق الوزيرين:(ولقد اضطرب على نسج الرسالة على مذهب المصنفين)، وقوله فى كتابه الإمتاع والمؤانسة: (قد رأيت أيها الشيخ - أحاطك الله - عند بلوغى هذا الفصل أن أختم الجزء الأول بما انتهى إليه وأشفعه بالجزء الثاني... غير عائج على ترتيب يحفظ صورة التصنيف على العادة الجارية لأهله...)[3].

---

(١) التنوخى، نشوار المحاضرة، (١ / ١).

(٢) التنوخى، الفرج بعد الشدة، (١ / ٦).

(٣) أبو حيان التوحيدى، الإمتاع والمؤانسة، (١ / ٢٢٦).

وكل هذه النصوص وما سبقها تدل دلالة قوية على وجود منهج واضح ومعروف فى البحث الأدبى عند القدامى، ومن ثم يمكن القول بأن عملية البحث والتأليف الأدبى عندهم كانت ذات صفة علمية تتمثل فى وجود منهج معروف لها سار عليه المؤلفون والتزموا بأصوله وقواعده.

صفات الباحث الأدبي[(١)]

يقول أبو زكريا النووى متحدثًا عن آداب العالم:(وينبغى أن يعتني بالتصنيف إذا تأهل له...وليحذر كل الحذر أن يشرع فى تصنيف ما لم يتأهل له فإنه يضره فى دينه علمه وعرضه..)[(٢)]. ويقول الشيخ عز الدين الزركشى:(من فروض الكفاية تصنيف الكتب لمن منحه الله فهمًا واطلاعًا....)[(٣)].

والقولان يعبران عن فكرة واحدة هى وجوب توافر صفات علمية فيمن يروم التأليف، ذلك أن التأليف – كما فهمه القدامى – عمل علمى يتطلب من المتصدى له صفات خاصة تجعله مؤهلاً للقيام به. ومن هنا يمكننا أن نلاحظ فى ثنايا الكتب الأدبية القديمة كثيرًا من الإشارات إلى الصفات التى رأى القدامى وجوب توافرها فى المؤلفين والعلماء، وقد ترد هذه الصفات منصوصًا عليها

(١) النجدى، أحمد جاسم (الدكتور)، منهج البحث الأدبى عند العرب،(دار الحرية للطباعة، سنة ١٩٧٨) ص (٣٧-٤٨).

(٢) التعريف بآداب التأليف ٣.والنووى أبو زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووى، عالم مشارك فى كثير من العلوم الإسلامية، ولد بـ (نوى) من أعمال حوران، وتوفى بها عام ٦٧٦ هـ. (ينظر: البداية والنهاية: ١٣/ ٢٧٨ – ٢٧٩، شذرات الذهب: ٥ / ٣٥٤ – ٣٥٦، ومعجم المؤلفين: ١٣/ ٢٠٢ فى ذكر المصادر الأخرى لترجمته).

(٢) التعريف بآداب التأليف ٢ – ٣، والشيخ الزركشى هو أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله المصرى الشافعى، تركى الأصل، مصرى المولد، له مشاركة فى معظم العلوم الإسلامية، توفى بالقاهرة عام (٧٩٤)هـ. (ينظر: شذرات الذهب (٦/ ٣٣٥)، معجم المؤلفين (٦/ ٣٣٥).

أحيانًا، أو ترد مفهومة من نص وارد فى ذم المؤلف أو مدحه، ومن جميع هذه الإشارات والنصوص نستخلص الصفات التالية:

التحصيل

التحصيل لغة يعنى الجمع. جاء فى لسان العرب:(تحصل الشيء:تجمع وثبت..)[1]، وقال التهانونى: (التحصيل فى اللغة: الجمع، وفى العرف العام: جمع العلم...)[2].

وورد الاستعمال الاصطلاحى لهذه الكلمة فى كثير من الكتب القديمة من مثل قول الخوارزمى فى كتابه مفاتيح العلوم:(وقد جمعت فى هذا الكتاب أكثر ما يحتاج إليه من هذا النوع متحريًا للإيجاز والاختصار ومتوقيًا للتطويل والإكثار راعيت المشهور المتعارف من الجمهور وما هو غامض غريب لا يكاد يخلو إذا ما ذكر فى الكتب من شرح طويل وعنيت بتحصيل الواسطة من هذين الطرفين..)[3]، وشبيه به ما يذكره الثعالبى متحدثًا عن شعراء الشام:(وأخبرنى جماعة من أصحاب أبى القاسم إسماعيل بن عباد أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى... ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم)[4].

ويدل التحصيل فى الكتب القديمة على معنى ثان هو القدرة على استيعاب النصوص والتمييز بين صحيحها وزائفها، من مثل قول الجاحظ:(وما هو إلا أن ولد أبو مخنف حديثًا أو الشرقى ابن القطامى أو الكلى أو ابن الكلبي...ثم صوره فى كتاب وألقاه فى الرواقين إلا رواه من لا يحصل ولا يتثبت...)[5]. وعدم

(١) لسان العرب (حصل).
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون، ١/ ٣٤٦.
(٣) مفاتيح العلوم، ٤.
(٤) يتيمة الدهر، ١/ ٢٥.
(٥) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ٢/ ٢٢٥ – ٢٢٦.

التحصيل فى هذا النص يعنى عدم القدرة على التمييز بين صحيح الأخبار وزائفها، ولهذا يكون معنى التحصيل هنا هو الفهم الصحيح للنصوص والأخبار وعدم التسليم بصحة كل ما يقرأ وينقل. ويشبهه فى استعمال المصطلح بهذا المعنى أبو الفرج الأصفهانى فى قوله متحدثًا عن السيد الحميى: (وقد روى بعض من لم تصح روايته أنه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الإمامية وله فى ذلك:

تجعفرت باسم الله والله أكبر وأيقنت أن الله يعفو ويغفر

وما وجدنا ذلك فى رواية محصل ولا شعره أيضًا من هذا الجنس)(١).

وبسبب هذه المعانى الاصطلاحية التى رأيناها لكلمة التحصيل وما دل عليه من الوجهة العلمية صار هذا المصطلح صفة لازمة للعلماء مقترنة بهم عند القدامى، كما نرى هذا فى قول السيرافى متحدثًا عن المُبرد:(وسمعت نفطويه يقول: ما رأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد منه ومن أبى العباس فرات، وكذلك أخبرنا أبو بكر بن السراج عن محمد بن خلف وكيع... وأكثر أهل التحصيل يفضلونه...)(٢)، ولا يخفى أن (أهل التحصيل) هنا هم العلماء البارزون الذين تعتمد آراؤهم فى مجال اختصاصاتهم، وشبيه بهذا النص قول أبى الفرج الأصفهانى:(وممن دونت صنعته من خلفاء بنى العباس الواثق بالله، ولم نعلمه حكى ذلك عن أحد منهم قبله إلا ما قدمنا سوء العهد فيه عن ابن خرداذبة، فإنه حكى أن للسفاح والمنصور وسائرهم، وأتى فيه بأشياء غثة لا يحسن محصل ذكرها...)(٣).

(١) أبو الفرج الاصفهانى، الأغانى: (٧/ ٢٣٥ – ٢٣٦)، وهناك نصوص أخرى ورد فيها مصطلح التحصيل بمعنى لما سبق. ينظر: الحوان: (٣/ ٩٧). نقد الشعر: (١٦٦ – ١٦٧)، آداب المتعلمين: (١٤٣ – ١٤٥).

(٢) أخبار النحويين البصريين: (٧٧).

(٣) أبو الفرج الاصفهانى، الأغانى: (٩/ ٢٧٦).

التحقيق

التحقيق لغة معناه التأكد من صحة الخبر وصدقه. جاء في لسان العرب: (وتحقق عنده الخبر أى صح، وحقق قوله وظنه تحقيقًا أى صدق) [١]. وهو اصطلاحًا يعنى إثبات المسألة بالدليل. يقول الشريف الجرجانى: (التحقيق: إثبات المسألة بدليلها)[٢]، ويقول التهانولى: (التحقيق فى عرف أهل العلم: إثبات المسألة بالدليل)[٣].

وفى الكتب الأدبية القديمة تستعمل هذه اللفظة معنييها اللغوى والاصطلاحى، فمن أمثلة استعمالها بالمعنى اللغوى ما ورد عند ابن المعتز بعد أن أورد عدة روايات فى سبب مقتل صالح بن عبد القدوس، لم يستطع ترجيح إحداها، فقال بعدها: (والله أعلم بتحقيق ذلك) [٤]. وقوله هذا يدل على أنه لم يستطع التأكد من صحة رواية من هذه الروايات التى يوردها.

واستعمل الحريري(التحقيق) بمعناه الاصطلاحى فى قوله:(فأما قول الشاعر:

وعدت فكان الخلف منك سجية　　　مواعيد عرقوب أخاه بيترب

فأكثر الرواة يروونه (بيثرب) ويعنون به المدينة، وأنكر ابن الكلبى ذلك وحقق أن الرواية: (بيترب) بتاء مُعجمَّة... واحتج فى ذلك بأن عرقوبًا كان من العمالقة الذين لم ينزلوا بالمدينة..)، وواضح أن ترجيح ابن الكلبى لرواية لفظة

---

(١) ابى منظور، لسان العرب (حقق).
(٢) التعريفات: ٥٥.
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون، ١/ ٣٣٦.
(٤) ابى قتيبة، طبقات الشعراء، ٩١.

معنية فى البيت المتقدم كان مستندًا إلى دليل، ولهذا أطلق الحريرى على هذا الترجيح اسم التحقيق مشيرًا به إلى المعنى الاصطلاحى للكلمة[1].

ولما كان التحقيق بهذا المعنى صار صفة من صفات العلماء فى كل مجال من مجالات العربية، فللبيان علماء محققون كما يظهر فى قول ابن الأثير: (وأورده جماعة من العلماء مثل قدامة والجاحظ وأبى هلال العسكرى والغانمى... فى تصانيفهم فى باب الاستعارة ولم يذكروا أن الأصل فيه تشبيه بليغ، فما أعلم هل ذلك إخفائه عليهم أو أنهم عرفوه ولم يذكروه، وهو الأصل المقيس عليه فى التشبيه الذى أجمع عليه المحققون من علماء البيان..)[2]، وللأدب أيضًا علماء محققون به كما نرى هذا فى قول السيوطى: (.... كان أحد أفراد أهل الأدب والمحققين به)[3]، وللعربية على وجه العموم علماء محققون بها كما يظهر فى قول الفيروز آبادى: (محمد بن طلحة... النحوى، إمام فى العربية...غب عليه تحقيق العربية والقيام عليها...)[4].

التمييز

التمييز لغة هو العزل والفرز بين الأشياء[5]، أما اصطلاحًا فنستطيع أن نتبين مما جاء فى الكتب الأدبية القديمة أنه يعنى قدرة المؤلف على الفصل بين المتشابهات من النصوص والأخبار التى يدرسها، أى أن المعنى الاصطلاحى

---

(١) وورد استعمال التحقيق بهذا المعنى فى الكتب التالية: أسرار البلاغة: (٢٦، ٨٨)، دلائل الإعجاز: (١١٨)، سر الفصاحة: (٢٧ – ٢٨)، ذم الهوى: (٥)، منهاج البلغاء: (١٣٣ – ١٣٤).

(٢) الجامع الكبير: (٨٢– ٨٣)، ووردت عبارة(المحققون من علماء البيان)عند أبى الأصبح المصرى أيضًا فى كتابه: بديع القران: (٢٧).

(٣) بغية الوعاة: (٢/ ٢٤١).

(٤) البلغة: (٢٢٥–٢٢٦).

(٥) لسان العرب (ميز).

لهذه الكلمة لا يختلف بشيء عن معناها اللغوى عند المؤلفين فى الأدب، فالمبُرد مثلاً يقول فى كتابه الفاضل: (ونقدم العذر فى تقصير إن وقع أو خلل إن لزمه فإنا ألفناه من غير خلوة به ولا تمييز لما تضمنه). ومن الواضح أنه فى اعتذاره هذا يستند إلى أنه كان عجلاً فى تأليف الكتاب بشكل لم يتح له دراسة نصوصه دراسة متأنية، ومن ثم اختلطت النصوص ببعضها ففقد المؤلف صفة التمييز فيما بينها، وهذا ما يفهم من قوله: (ولا تمييز لما تضمنه).

وغير خفى أن صفة الفرز والعزل بين المتشابهات من النصوص والأخبار تستدعى الفطنة والذكاء، ولهذا كان مصطلح التمييز مقترنًا بالعلم والذكاء مرادفًا لهما فى بعض النصوص التى تصادفنا فى الكتب الأدبية.

لما رأى الحلم والجهل ومروحًا وعزيبًا جعلهما فى هذه الجملة...). وشبيه به قول أبى الوليد الحميرى:(وتأمل أيها الناظر فى كتابى هذا تأمل اليقظ المتقد والمميز المنتقد تر أغرب التشبيهات...)[1]، واقتران التمييز بالانتقاد واليقظة فى النص يعنى اقترانه بالذكاء والفطنة.

ولا يخفى أن هذا المصطلح بما دل عليه من ذكاء وفطنة وقدرة على الفصل بين المتشابهات يعد صفة أساسية من صفات الباحثين والعلماء، ولهذا أطلقه القدامى صفة على المؤلفين والعلماء من مثل قول أبى هلال العسكرى:(وقال ابن المقفع:البلاغة كشف ما غمض من الحق، وتصوير الحق فى صورة الباطل، والذى قاله أمر صحيح لا يخفى موضع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز والتحصيل...)[2]، وقول عبد الواحد المراكشى فى ترجمة المعتمد بن عباد:(وله رحمه الله شعر كثير برَّز فى أكثره وأجاد ما أراد، وسيمر منه فى أضعاف أخباره ما يشهد له بالتبريز عند ذوى التمييز...).

(١) البديع فى وصف الربيع: (٣).
(٢) الصناعتين: (٥٣).

التثبت

جاء فى لسان العرب: (وتثبت فى الأمر والرأى واستثبت: تأنى فيه ولم يعجل، واستثبت فى أمره إذا شاور وفحص عنه...) [١]، وهذا المدلول اللغوى لكلمة التثبت شبيه بمدلولها الاصطلاحى عند المؤلفين كما يظهر فى كثير من النصوص الواردة فى الكتب الأدبية القديمة من مثل قول الجاحظ: (وكانوا يأمرون بالتبين والتثبت والتحرر من زلل الكلام ومن زلل الرأى ومن الرأى الدبرى، والرأى الدبرى هو الذى يعرض من الصواب بعد مضي الرأى الأول وفوت استدراكه...) [٢]. والتثبت كما يتضح من هذا النص يعنى وجوب تأني العالم وعدم عجلته فى إبداء رأى معين بعد التأكد من صحته، وهذا هو المدلول اللغوى نفسه، واتجاه العالم هذا الاتجاه من الدقة والتحرر من العجلة يجعل ما يصدر عنه من آراء وما ينقله من نصوص صحيحًا موثوقًا به. ولهذا نجد القدامى يربطون بين التثبت والابتعاد عن الخطأ من مثل قول الخطيب البغدادى: (ذكر أبو زكريا أبا عبيدة الحداد فقال: كان من المثبتين ما أعلم أنا أخذنا عليه خطأ البتة...) [٣]. ولهذا كانت هذه الصفة من الصفات التى اشترطوا وجوب توافرها فى العلماء والدارسين، فالجاحظ يراها مما يمتاز به الإنسان العاقل من غيره فى قوله:(وإذا كانت البهيمة إذا أحست شيئًا من الأسباب القانص أحدّت نظرها واستفرغت قواها فى الاسترواح وجمعت بالها للتسمع...كان الإنسان العاقل أولى بالتثبت وأحق بالتعرف...) [٤]، والقاضى الجرجانى يجعل هذه الصفة قرينة لصفة العدالة والإنصاف فى قوله:(وليس يجب

(١) ابن منظور، لسان العرب (ثبت).
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين: (١/ ١٩٧).
(٣) الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد: (١١ / ٤).
(٤) الجاحظ، البيان والتبيين: (٢/ ٤٢).

إذا رأيتنى أمدح محدثًا أو أذكر محاسن حضرى أن تظن بى الانحراف عن متقدم...بل يجب أن تنظر مغزاى فيه وأن تكشف عن مقصدى منه ثم تحكم عليَّ حكم المنصف المتثبت وتقضى قضاء المقسط المتوقف...).

التواضع

للمؤلفين القدامى كثير من النصوص الدالة على اشتراط توافر هذه الصفة فى العلماء، منها ما جاء على شكل وصايا وآراء عامة، ومنها ما جاء على شكل أحكام وأقوال تستوجب وجود هذه الصفة وتحبذها.

يقول الجاحظ: (وقال عمر بن عبد العزيز: من قال لا أدرى فقد أحرز نصف العلم) ويقول أيضا (وكانوا يستحبون ألا يجيبوا فى كل ما سئلوا عنه) وهذان القولان يدوران حول فكرة واحدة هى وجوب اعتراف العالم بعدم معرفته لشيء يجهله عن كل شيء يسأل عنه.

يعترف بتواضع هنا أن ما فاته من مواد الكتاب قد يكون أكثر مما أثبته، ولو لم تكن صفة التواضع ماثلة أمام عينيه لما اعترف بهذا ولا أَدَّعى الإحاطة والاستيعاب.

وفيما قالوه من ذم للمتعالمين، ولمن يرون أنفسهم أكثر مما يستحقون دليل آخر على أن هذه الصفة كانت من الصفات المهمة عندهم فقد نقل عن ثعلب قوله متحدثًا عن الرياشى:(فقلت له: وجالست الأخفش؟ قال: نعم، وأنا أرى أنى أعلم منه، فما أعجبتنى هذه الكلمة منه لأنى وجدته أفرط فيها...) [1]، ويقول أبو الطيب اللغوى ناقدًا بعض أهل عصره: (يتقلد كل علم ويدعيه ويركب كل أفك ويحكيه، ويجهل ويرى نفسه عالمًا، ويعيب من كان من العيب سالمًا، ثم لا يرضى بهذا حتى يعتقد أنه أعلم الناس..) [2].

(١) مجالس العلماء: (٦٠).
(٢) مراتب النحويين: (٣).

البعد عن الهوى والعصبية

يقول الجاحظ بعد أن يورد بعض الأبيات من أرجوزة لأبي نواس: (وأنا كتبت لك رجزه فى هذا الباب لأنه كان عالمًا راوية، وكان قد لعب الكلاب زمانًا وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود فى شعره...وإذا تأملت شعره فضلته إلا أن تعترض عليك فيه العصبية أو ترى أن أهل البدو أبدًا أشعر... فإن اعترض هذا الباب عليك فإنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوبًا...)[1] والذي[2] يبدو واضحًا من قول الجاحظ هذا أنه يرى فى التعصب ستارًا يحجب الحقيقة ويقف حائلاً دون التمييز بين الحق والباطل، ومثل هذه النظرة تدل على تفهم علمي للأثر السيىء الذى تتركه العصبية على أصحابها وما يصدرونه من أحكام ويؤمنون به من آراء.

وللمؤلفين القدامى كثير من النصوص التى تدل على مثل هذا الفهم العلمى لأثر التعصب فى صاحبه. فقد انتقدوا المتعصبين وسفهوا أحكامهم من مثل قول الصولى بعد أن يورد بعض الأخبار التى تدل على تعصب ابن الأعرابى على المحدثين: (ومثل هذا من نقص ذوى الفضل والمتقدمين فى الصنائع من جميع الناس قبيح، وهو من العلماء أقبح، نعوذ بالله من اتباع الهوى ونصر الخطأ... واللجاج والعصبية...)[3].

وقد شملت هذه النظرة عندهم الكتب التى يظهر فيها أثر للتعصب فوقفوا منها موقف الناقد منبهين على عدم فائدتها وجدواها من مثل قول المرزبانى: (تحامل الزبير بن بكار على كُثَير – فيما جمعه من أخباره وبين عليه من سرقاته –

(١) الحيوان: (٢/ ٢٦ – ٢٧).
(٢) الدكتور أحمد جاسم النجدى، منهج البحث الأدبى عند العرب، ص (٤٥-٤٩).
(٣) أخبار أبى تمام: (١٨١).

ظاهر، وهو خصم لا يقبل قوله على كثير لهجاء كثير لولد عبد الله بن الزبير)[1]، وقول أبن الأثير متحدثًا عن كتاب ابن الدهان الموسوم بالمآخذ الكندية:(فهذه عيوب خمسة وجدتها فى الكتاب المشار إليه، وإذا كان بهذه الصورة فلم تكن بذلك الرجل العالم حاجة إلى تأليفه لأنه عليه لا لَهُ، وجملته وتفصيله ينطقان بالتعصب على المتنبى والغض منه)[2]. ولهذا نرى بعضهم يعلن فى مقدمة كتابه عن ابتعاده عن التعصب فيما يؤلف وكأنه بهذا يريد إبعاد ما يطعن على الكتاب ابتداء، من مثل قول حمزة الأصفهانى مخاطبًا من ألف له كتابه التنبيه على حدوث التصحيف: (وأنا أجيبك عما سألت عنه سالكًا طريق الإنصاف، وتاركًا سبيل العناد وملتمسًا النجاة من ركوب العصبية أو الركون إلى الفساد واللجاج وحمية الجاهلية...)[3].

ولهذا كانت صفة البعد عن الهوى والعصبيّة من الصفات المهمة التى رأوا وجوب اتصاف العلماء بها، وقد نصوا على هذا فى كثير من النصوص الواردة فى كتبهم من مثل قول الصاحب بن عباد:(وليس من الحزم أن يزري العالم على نفسه بالعصبية ويضع من علمه بالحمية، فالناس مع اختلافهم وتباين أصنافهم متفقون على أن تغلب الأهواء يطمس أعين الآراء، وأن الميل عن الحق بينهم سبيل الصدق)[4]، وقول أبى أحمد العسكرى:(وقد كان بعض شيوخ بغداد، ممن يتعصب على علماء الكوفيين ويفرط فيه. عمل كتابًا جمع فيه تصحيفات علماء الكوفة واستقصاها وأضرب عما روى من أوهام العلماء البصريين تعصبًا، فلم أر ذلك منه إنصافًا ولا مشاكلاً لأخلاق العلماء..)[5].

(١) الموشح: (٢٤٥).

(٢) الاستدراك: (٣).

(٣) التنبيه على حدوث التصحيف: (٥٦).

(٤) الكشف عن مساوئ شعر المتنبى، (٢٩).

(٥) شرح ما يقع فيه التصحيف، (٦ – ٧).

الاجتهاد والبعد عن التقليد

الاجتهاد لغة: بذل الوسع والمجهود[١]، وهو فى اصطلاح الأصوليين: استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي[٢]، أو هو رد القضية التى تعرض للحاكم من طريق القياس إلى الكتاب والسنة[٣].

وبين هذين المعنيين اللغوى والاصطلاحى لكلمة الاجتهاد علاقة وطيدة، إذ أن اجتهاد الحاكم فى إصدار حكم عن طريق القياس يقتضى منه اللجوء إلى التفكير وبذل الجهد فى سبيل التوصل إلى هذا الحكم.

ويناقض مصطلح الاجتهاد من حيث المدلول مصطلحًا آخر هو التقليد، إذ إن التقليد اصطلاحًا هو العمل بقول الغير من غير حجة[٤]، ومعنى هذا أن عدم التقليد معناه الابتعاد عن متابعة الآخرين فى آرائهم وأحكامهم ومحاولة العالم أو المؤلف التوصل إلى رأى معين باللجوء إلى التفكير العقلى والاستناد إلى الدلائل والحجج، ومن هنا يلتقي الاجتهاد بعدم التقليد عند المؤلفين القدامى فى الأدب، وكأنهما شيء واحد، كما نرى هذا فى قول ابن الأثير:(والذى أدانى إليه نظر الاجتهاد دون التقليد أن جريرًا والفرزدق والأخطل أشعر ممن تقدم من شعراء الجاهلية، وبينهم وبين أولئك فرق بعيد، وإذا استفتيت قلت:إن أبا تمام والبحترى والمتنبى أشعر من الثلاثة المذكورين وليس عندى أشعر منهم فى جاهلية ولا إسلام، لأن أبا تمام والمتنبى غاصا على المعانى فتعمقا ودققا وأتيا بكل غريبة، أما البحترى فإنه فاز بديباجة السَّبْك التى ليست لغيره..)[٥].

---

(١) لسان العرب (جهد).
(٢) كشاف اصطلاحات الفنون، (١/ ١٩٨).
(٣) لسان العرب (جهد).
(٤) كشاف اصطلاحات الفنون، (٣/ ١٧٨).
(٥) الاستدراك: (٢٥).

ويلاحظ فى هذا النص أن الاجتهاد مقترن بعدم التقليد ومرتبط به مدلولاً والذى يدل عليه كلاهما هو وصول المؤلف إلى نتيجة معينة وإصدار رأى معين مع تقديم الدليل والبرهان على ما يقول، وهذا واضح جلي فى كلام ابن الأثير السابق إذ يتوصل إلى تفضيل بعض الشعراء العباسيين على شعراء العربية كافة معللاً رأيه هذا، وكأنه يقدم الدليل العلمى على ما يقول، ويشبهه فى هذا القلقشندى فى قوله:(.. وكيفما كان فالاقتصار على معرفة المصطلح والإضراب عن تعرف أصول الصنعة ضعف همة وفتور، والمقلد لا يوصف بالاجتهاد، فشتان بين من يعرف الحكم عن دليل ومن جمد على التقليد مع جزم الاعتقاد)[1].

ونراهم يشيرون كثيرًا إلى أن صفة التقليد ترتبط بقلة المعرفة وقلة الفهم، ومن أمثلة هذا ما نراه فى قول العميدى:(إنما يذهب فى مدح الكتاب والشعراء مذهب التقليد من يكون فى علومه خفيف البضاعة قليل الصناعة، صفر وطاب الأدب... قصير باع الفهم جديب رباع العقل...)[2]، وأكدوا أن التقليد يحول دون التأمل والتفكير العلمى الصحيح، كما نرى هذا فى قول ابن سنان الخفاجى بعد أن يذكر رأيا لأبي القاسم الآمدى:(.. وهذا الذى قاله أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى، ولو أسكن إلى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة أو أجنح إلى اتباع مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل عما يقوله أبو القاسم لصحة فكره وسلامة نظره..)[3].

وقد توصلوا نتيجة اشتراطهم الاجتهاد واستهجانهم التقليد، إلى أن العقل

---

(١) صبح الأعشى، (١/ ٨).

(٢) الإنابة، (٢٠).

(٣) سر الفصاحة، (١٢).

هو الحجة وهو المرجح فى الحكم على الأمور، وفى هذا يقول الجاحظ:(وللأمور حكمان: حكم ظاهر للحواس، وحكم باطن للعقول، والعقل هو الحجة..) [1]، وتوصلوا أيضًا إلى أن الحقيقة العلمية يجب أن تكون رائد العالم سواء وافقت معتقداته وآراءه أم لم توافق. وفى هذا يقول الجاحظ:(والحق الذى أمر الله تعالى به ورغّبَ فيه وحث عليه أن ننكر من الخبر ضربين، أحدهما ما يناقض واستحال، والآخر ما امتنع فى الطبيعة، فإذا خرج الخبر عن هذين البابين وجرى عليه حكم الجواز فالتدبير فى ذلك التثبت، وأن يكون الحق فى ذلك هو ضالتك والصدق هو بغيتك كائنًا ما كان، وقع منك بالموافقة أو وقع منك بالمكروه...) [2]. وشبيه به قول علي بن حمزة البصرى بعد أن يشرح المقصود بكلمة المسكين:(وهذا الذى ذهبنا إليه وأوضحنا صحته هو مذهب محمد بن إدريس الشافعى الفقيه، والفقهاء له منكرون، وهو فيه المصيب وهم المخطئون ولسنا مع هذا على مذهبه ولكن الحق حيث كان فنحن له متبعون...) [3]. ولا يخفى ما بهذين القولين من دلالة على تفكير علمى دقيق إذ تصبح الحقيقة العلمية هدف المؤلف وغايته، وبهذا يتوصل بعض المؤلفين القدامى إلى فكرة علمية لا نظن أن المفكرين المحدثين يستطيعون أن يضيفوا إليها شيئًا.

العلم بالشعر والتخصص

تكثر الإشارات فى الكتب القديمة إلى صفة علمية تطلق على بعض علماء العربية وهى العلم بالشعر. وقد يأتي الوصف بهذه الصفة فى بعض النصوص عامًا كما نرى هذا فى قول ابن هشام بعد أن أورد قصيدة لعبد الله بن الزبعرى:(تركنا منها بيتًا واحدًا، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة

---

(١) الحيوان، (١/ ٢٠٧).

(٢) الحيوان، (٣/ ٢٣٨ – ٢٣٩).

(٣) التنبيهات على أغاليط الرواة، (٣١٩).

لابن الزبعري...)[1]، وشيه بهذا ما يقوله أبو حاتم السجستانى عن الأصمعى: (وسأله رجل: أى الناس طرأ أشعر؟ قال: النابغة، قال: تقدم عليه أحدًا ؟ قال: لا، ولا أدركت العلماء بالشعر يفضلون عليها حدًا...)[2].

ويتصل بهذه النظرة ما قالوه فى نقد المؤلفين الذين يؤلفون فى الموضوعات المختلفة، من مثل قول أبى الطيب اللغوى فى ابن قتيبة:(وكان يتسرع فى أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه فى النحو وكتابه فى تعبير الرؤيا وكتابه فى معجزات النبي(ﷺ)، وعيون الأخبار والمعارف والشعراء ونحو ذلك مما أزرى به عند العلماء وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له...)[3]، وقول أبى الطيب هذا فى ابن قتيبة دليل واضح على أنهم نظروا إلى صفة التخصص نظرة علمية تتمثل فى وجوب انصراف العالم إلى نوع واحد من أنواع العلوم.

هذه هى صفات الباحث التى يمكن أن نستنبطها مما ورد فى كتبهم من نصوص وإشارات، وهى فى مجموعها لا تكاد تختلف عما ذكره الدارسون المحدثون لمنهج البحث من صفات رأوا وجوب اتصاف الباحث بها[4]، فصفة التحصيل عند القدامى بما اشتملت عليه من مفاهيم يمكن أن تقابل عند المحدثين ما نصوا عليه من وجوب إنصاف الباحث بالتتبع الكثير وبذل الجهود فى سبيل اعداد البحث، وصفتا التحقيق والتمييز يمكن أن تقابلا عند المحدثين ما اشاروا اليه من وجوب اتّصاف الباحث بالدقة والذكاء والموهبة، والتثبت صفة أكد الدارسون المحدثون على وجوب توافرها فى الباحث.

---

(١) سيرة ابن هشام، (٢/ ٢٢٧ – ٢٢٩)، ويكثر ورود عبارة (العلم بالشعر) عند ابن هشام فى كتابه هذا.

(٢) فحول الشعراء، (٩).

(٣) مراتب النحويين، (٨٥).

(٤) للتفصيل فى ذكر صفات الباحث عند المحدثين، ينظر: منهج البحث الأدبى، (٣٨ – ٤٧)، منهج البحث التاريخى، (١٨ – ٢٠)، طرق البحث، (١٢٩ – ١٣١).

المبحث الثانى

اختيار الموضوع وتحديده

اختيار الموضوع

يقول الجاحظ:(إن لكل شيء من العلم ونوع من الحكمة وصنف من الأدب سببًا يدعو إلى تأليف ما كان فيه مشتتًا ومعنى يحدو على جمع ما كان منه متفرقًا ومتى أغفل حملة الأدب، وأهل المعرفة تمييز الأخبار واستنباط الآثار وضم كل جوهر نفيس إلى شكله ... بطلت الحكمة وضاع العلم وأميت الأدب)[1].

وهو فى قوله هذا ينص على أن لكل مؤلف سببًا يدعوه إلى التأليف، وطبيعي ألا يكون هذا السبب الداعى إلى التأليف واحدًا لدى المؤلفين جميعًا فلكل منهم ميوله العلمية ودراساته الخاصة التى تفرض عليه التفكير بشكل قد يخالف فيه المؤلف الآخر ويصدر عن سبب لا يشبه السبب الذى دعا غيره من المؤلفين إلى الكتابة والتأليف، ومن ثم تكون دواعى التأليف عديدة متنوعة مستمرة ما دامت الحياة الفكرية مستمرة غير متوقفة، وفى هذا يقول مجد الدين بن الأثير:(أما بعد، فإن العلماء فى سالف الدهر وآنفه مازالوا مختلفى الأغراض فيما ألفوه، متباينى المقاصد فيما صنفوه من أنواع العلوم على كثرتها وفنون المعارف

(١) رسائل الجاحظ، ٢ / ٣٨٣.

على سعتها، لا يكاد يحوى أغراضهم حدٌّ ولا يجمع أفرادها عدٌّ لكثرة المطالب الباعثة عليها وسعة المباغى الداعية إليها، وما من أحد حاول تصنيف كتاب إلا وقد خصه بوصف يغلب على ظنه أنه لم يسبق إليه ... ومع هذا فإن دواعي التأليف لا تنقطع والهمم فيه دائمًا لا تمتنع)[١]. وتستطيع القول من خلال استقراء[٢] النصوص العديدة التى وردت عن القدامى فى هذا الموضوع بأن اختيار المؤلفين القدامى لموضوعاتهم سار فى أربعة اتجاهات يمكن تحديدها بما يلى:

دراسة موضوع لم يدرس

لما كان التأليف خدمة ثقافية وعلمية، كان من أهم البواعث التى تدعو المؤلف إليه كون الموضوع الذى يفكر فى دراسته جديدًا لم يسبقه أحد من المؤلفين إلى دراسته، وهو فى تقديمه هذا الجديد إنما يقدم إضافة علمية لطلاب الثقافة والمعرفة لم تتهيأ لهم معرفتها فيما وضع من مؤلفات سابقة. وللقدامى نصوص كثيرة تدل على تفهم هذه الفكرة وقصدهم لها فى اختيارهم للموضوعات التى يؤلفون فيها، فقد هاجموا المؤلفين المؤمنين بالفكرة القائلة (ما ترك الأول للآخر شيئًا) لأنها تقف دون بذل الجهود العلمية باستمرار، وتميت النشاط الثقافى والعلمى. يقول أبو عبد الله النمرى: (ويقال إن قول علي ابن أبى طالب(قيمة كل امرئ ما يحسن) لم يُسْبق إليه وقالوا: ليس كلمة أحض على طلب العلم منها، قالوا: ولا كلمة أضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل:(ما ترك الأول للآخر شيئًا)[٣]، وشبيه بهذا النص رسالة كتبها ابن فارس اللغوى ردًا على أحد معاصريه لإنكاره تأليف أحد الأدباء المعاصرين كتابًا فى الحماسة، وما

---

(١) المرصع (٣٢ - ٣٣).
(٢) الدكتور أحمد جاسم النجدى، منهج البحث الأدبى عند العرب، ص (٥٣-٥٦).
(٣) جامع بيان العلم، (١ / ١١٩).

ورد فى بعـض الكتب من أقوال تنص على ضرورة استمرار التأليف فى كل عصر.

ومعروف أن توصل المؤلف إلى اختيار موضوع جديد لم يدرس من قبل يكون نتيجة لمطالعاته الكثيرة فى ميدان اختصاصه مما يهيئ له معرفة ما درس من موضوعات وما لم يدرس، وهذا ما فعله المؤلفون القدامى، إذ أنهم فى حديثهم عن موضوعاتهم التى يرونها جديدة تكثر إشاراتهم إلى علاقتهم المستمرة بدراسة الأدب ونقده، مما هيأ لهم العثور بهذه الموضوعات التى يكتبون فيها. يقول قدامة ابن جعفر:(العلم بالشعر ينقسم أقسامًا، فقسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه، وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعه، وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته، وقسم ينسب إلى علم معانيه والمقصد به، وقسم ينسب إلى علم جيده ورديئه، وقد عنى الناس بوضع الكتب فى القسم الأول وما إليه إلى الرابع عناية تامة... ولم أجد أحدًا وضع فى نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابًا، وكان الكلام عندى فى هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام المعدودة... ولما وجدت الأمر على ذلك وتبينت أن هذا الأمر أخص بالشعر... رأيت أن أتكلم فى ذلك بما يبلغه الوسع...). والذى يلاحظ فى قوله هذا أنه يشير إلى أنه لم يعثر بدراسة متعلقة بهذا الموضوع الذى يدرسه على الرغم من أهميته، ولهذا عمد إلى وضع كتاب فى هذا الموضوع بعد أن لاحظ ندرة وضع الكتب فيه. وشبيه به قول ابن الأثير متحدثًا عن سبب تأليف كتابه الجامع الكبير:(... فلما كان تأليف الكلام مما لا يوقف على غوره، ولا يعرف كنه أمره إلا بالاطلاع على علم البيان... احتجت حين نشدت نبذة يسيرة من الكلام المنثور إلى معرفة هذا المذكور فشرعت عند ذلك فى تطلبه والبحث عن تصانيفه وكتبه، فلم أترك فى تحصيله سبيلاً إلا نهجته ولا غادرت فى إدراكه بابًا إلا ولجته حتى اتضح عندى باديه وخافيه... ثم لما مضى على ذلك ملاوة من الدهر... لمحت فى أثناء القرآن الكريم

من هذا النحو أشياء طريقة... فعرضتها عند ذلك على الأقسام التى ذكرها هؤلاء العلماء وشرحوها...فألفيتهم قد غفلوا عنها...وكان ذلك باعثًا لي على تصفح آيات القرآن العزيز والكشف عن سره المكنون...فحيث أحرزت هذه الفضيلة... أحببت أن أفرد لها كتابًا...)[1].

ولم تكن الكتابة فى موضوع جديد لتقتصر عند القدامى على هذا الجانب، بل اتجه كثير منهم إلى دراسة أدب معاصريهم أو أدب المحدثين كما سموه، وكان اتجاههم هذا منطلقا من نظرة خاصة ترمى إلى تقديم الجديد إلى القارئ بعد أن مل أخبار القدامى وحكاياتهم، ونرى هذا الاتجاه واضحًا عند المؤلفين القدامى منذ القرن الثالث، إذ صنف أبو عبد الله هارون بن علي المعروف بابن المنجم كتابه (البارع) خاصًا بأشعار المحدثين[2]، وأعقبه ابن المعتز فألف كتابه طبقات الشعراء، وكان كثيرًا ما يثيره إلى هذه الفكرة فى ثنايا تراجم كتابه، فينص على أنه فى ترجمته لهؤلاء الشعراء المحدثين يتوخى تقديم الجديد إلى القارئ بعد أن مل الناس أخبار القدامى وأشعارهم لكثرة رواياتهم لها[3].

ويشبهه فى هذا الثعالبى إذ يقول فى سبب تأليف كتابه اليتيمة:(وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء وذكر طبقاتهم ودرجاتهم وتدوين كلماتهم، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم، فكم من كتاب فاخر عملوه، وعقد باهر نظموه، لا يشينه الآن إلا نبو العين من أخلاق جدته وبلى بردته، ومج السمع لمردداته وملالة القلب من مكرراته، وبقيت محاسن أهل العصر التى

---

(١) الجامع الكبير: (١ – ٣)، وشبيه به يذكره النويرى فى سبب تأليف كتابه نهاية الأرب إذ يذكر أن كتابه هذا كان نتيجة مطالعاته الكثيرة فى علم الأدب، تلك المطالعات التى بينت له موضوعات الأدب وخفاياه ومن ثم عمد إلى وضع كتاب فيه (ينظر: نهاية الأرب: (١/ ٢ – ٣).

(٢) الفهرست، ١٦١.

(٣) طبقات الشعراء، ٨٧.

معها وراء الحداثة ولذة الجدة،... غير محصورة بكتاب يضم نشرها وينظم شذرها... ولا مجموعة فى مصنف يقيد شواردها ويخلد فوائدها..)[(١)]. ويشبهه فى هذا ابن بسام الشنترينى إذ يذكر أنه أورد فى كتابه الذخيرة ما كان خاصًا بأهل عصره لأن (كل مردد ثقيل وكل متكرر مملول)[(٢)].

ويمكننا أن نعد فى هذا المجال الكتب التى خصصت لتراجم المحدثين والتى وضعت تكملة وتذييلا لليتيمة، إذ أنها جميعًا لا تخرج عن هذه الفكرة فى سبب تأليفها.

ويمكننا القول بأن دراسة الموضوع الجديد كانت من البواعث المهمة لاختيار الموضوع عند القدامى، ولهذا نرى كثيرًا منهم يفتخرون بموضوعاتهم ويُنَوِّهون بها لكونها جديدة مبتكرة لم يسبقهم أحد إلى دراستها، من مثل قول أبى العباس الجرجانى فى كتابه المنتخب من كنايات الأدباء: (ومما يبعث على الشغف به أنه من التصانيف مبتكر ومخترع وطريقة لم أسبق إليها ولم أزاحم من قبلى عليها..)[(٣)]. ومثل هذا الافتخار والاعتزاز بالموضوع الجديد المبتكر يدل دلالة قاطعة على أن الكتابة فى هذا النوع من الموضوعات كانت من الدواعى المهمة للتأليف عندهم، وإلا لما افتخر المؤلفون بها مثل هذا الافتخار ونوهوا بموضوعاتهم الجديدة مثل هذا التنويه، ومما يؤيد هذا أيضًا أننا نرى هذه الفكرة تصبح قاعدة مسلما بها عند المؤلفين حينما يتحدثون عن أصول التأليف، فأبو الوليد الحميرى يقول فى كتابه البديع فى وصف الربيع: (فإن أحق الأشياء

---

(١) يتيمة الدهر، (١٧١)، وشبيه بهذا ما ذكره فى كتابه سحر البلاغة من له بصر فيه على الاستشهاد بأدب المحدثين من أهل العصر (سحر البلاغة، ٥)،وما ذكره الحميرى فى كتابه البديع فى وصف الربيع، ٢. وابن حزم الظاهرى فى: طوق الحمامة، ٣.

(٢) الذخيرة، (١/ ١/ ٢).

(٣) المنتخب من كنايات الأدباء، ٣.

بالتأليف وأولاها بالتصنيف ما غفل عنه المؤلفون ولم يعن به المصنفون مما تأنس النفوس إليه وتلقاه بالحرص عليه)[1]، وشبيه به ما يقول ابن جماعة فيما يذكره من وصايا للعلماء: (والأولى أن يعتني بما يعم نفعه وتكثر الحاجة إليه وليكن اعتناؤه بما لم يسبق إلى تصنيفه)[2].

دراسة موضوع مدروس من قبل[3]

اتجه كثير من المؤلفين القدامى إلى دراسة موضوعات سبق لغيرهم من المتقدمين دراستها، واتجاههم هذا يستند إلى أسس ومبادئ تتصل بنظرتهم العلمية إلى التأليف وضرورته وما يقدمه من خدمة علمية وثقافية. فقد رأوا أن المؤلف المتأخر يكون أحسن من المؤلف المتقدم بحكم كثرة التجارب وتراكمها فى مجال التأليف، ومن النصوص الدالة على هذه الفكرة قول ابن عبد ربه:(وبعد، فإن أهل كل طبقة وجهاذبة كل أمة قد تكلموا فى الأدب وتفلسفوا فى العلوم على كل لسان ومع كل زمان وأن كل متكلم منهم قد استفرغ غايته وبذل مجهوده.... ثم إنى رأيت آخر كل طبقة وواضعى كل حكمة ومؤلفى كل أدب أعذب ألفاظًا وأسهل بنية وأحكم مذهبًا وأوضح طريقة من الأول، لأنه ناكص متعقب والأول بادئ متقدم)[4]، وقول المسعودى: (ونحن وإن كان عصرنا متأخرًا عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين... فنرجو ألا نقصر عنهم فى تصنيف نقصده وغرض نؤمه... وقد تشترك الخواطر وتتفق الضمائر، وربما كان أحسن تأليفًا وأتقن تصنيفًا لحنكة

(١) البديع فى وصف الربيع، ١.
(٢) تذكرة السامع والمتكلم، ٣٠، وواضح أن القدامى فى اعتماد هذا الدافع لاختيار الموضوع يسبقون الدارسين المحدثين، إذ يشترط كثير من الأساتذة على طلبتهم فى الدراسات العليا وجوب كون الموضوع الذى يفكرون فى دراسته جديدًا لم يسبق لغيرهم دراسته.
(٣) الدكتور أحمد جاسم النجدى، منهج البحث الأدبى عند العرب، ص (٥٨-٥٩).
(٤) العقد الفريد، (١/ ١ – ٢).

التجارب وخشية التتبع والاحتراس من مواقع الخطأ، ومن هنا صارت العلوم نامية غير متناهية لوجود الآخر ما لا يجده الأول، وذلك إلى غير غاية محصورة ولا نهاية محدودة...»[1].

ولما كان المؤلف المتأخر متعقبًا دائمًا، كما يقول ابن عبد ربه، ومستفيدًا من خبرات التأليف وتجاربه المستمرة كما يقول المسعودى، كان بالضرورة أقل خطأ من المؤلف المتقدم وأوسع نظرة منه مما يهيئ له اكتشاف النواقص فى المؤلفات السابقة، ومن ثم دراسة الموضوعات السابقة دراسة جديدة تأتى إلى تلك النواقص فتكملها، وتنتبه إلى الأخطاء السابقة فتصححها ولهذا كثرت الإشارات والنصوص التى تشير إلى الأسباب التى حملت المؤلفين القدامى على التأليف فى موضوع سبقت دراسته، ونستطيع القول من خلال استقراء هذه النصوص والإشارات أن دراسة الموضوع الذى سبقت دراسته يمكن أن ترد إلى أربعة أسباب:

الأول منها كون الدراسات السابقة غير مستوفية لجوانب الموضوع وتفصيلاته كافة، من النصوص التى تشير إلى هذا قول ابن قتيبة فى كتابه الميسر والقداح: (أما بعد، فإنك كتبت تعلمنى تعلق قلبك بالميسر وكيفيته والقداح وحظوظها والياسرين وأحوالهم، ومعرفة ما فى الميسر من النفع الذى ذكره الله فى القرآن وأنك لم تجد فيه لأحد من علماء اللغة مقالاً كافيًا، ولا قرأت فيه لمتقدم من السلف خبرًا شافيًا، وتسأل أن أكتب بذلك كتابًا يوضحه لك ويسهله عليك...)[2]، وواضح أن صديقًا للمؤلف يطلب منه تأليف كتاب فى موضوع معين بعد أن رأى أن ما قيل فى هذا الموضوع غير كاف، غير مستوف له من

(١) التنبيه والإشراف، ٧٦.
(٢) الميسر والقداح، ٢٦.

جوانبه كافة مما يدل على أن فكرة إعادة الكتابة فى الموضوع المدروس سابقًا كانت معروفة شائعة بين المؤلفين والعلماء فى حالة عدم استيفاء الدراسات للموضوع. وشبيه بهذا ما نراه فى قول إن عبد ربه مبيِّنًا سبب تأليفه كتاب العقد الفريد: قد نظرت فى بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة فى فنون الأخبار ولا جامعة لجمل الآثار فجعلت هذا الكتاب كافيًا شافيًا جامعًا لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة..)[1]، وهو فى قوله هذا يشير صراحة إلى أن الدافع الرئيس لاختياره الكتابة فى هذا الموضوع الذى سبق لغيره دراسته هو كون المؤلفات السابقة غير شاملة ومستوفية للموضوع نفسه. وهناك كثير من النصوص التى تدور حول هذه الفكرة نفسها والتى يؤكد فيها أصحابها أن اتجاههم إلى التأليف فى موضوعاتهم هذه كان سبب عدم استيفاء المؤلفات السابقة لموضوعاتها[2].

وسبب ثان دفع بالمؤلفين القدامى إلى الكتابة فى موضوع سبقت دراسته يتمثل فى كون الدراسات السابقة غير مبوبة وغير منسقة مما يجعل المواد الأساسية للموضوع مختلطة بغيرها من المواد الأخرى التى لا علاقة لها بموضوع الكتاب بشكل يضيع على القارئ سبيل الإفادة منها، ومن ثم يكون لبعض المؤلفين العذر فى تأليف كتاب جديد فى الموضوع نفسه، يجمع فيه ما فرق المؤلف السابق وينسق ما بعثره ويعرضه بنظام جديد، وهذا العمل من المؤلف اللاحق يعد مسوغًا كافيًا للكتابة فى موضوع مطروق قبله.

يقول أبو هلال العسكرى مبينًا سبب تأليف كتابه(الصناعتين):(... فلما رأيت تخليط هؤلاء الأعلام فيما راموه من اختبار الكلام ووقفت على موقع هذا

(١) العقد الفريد، (١ / ٤).

(٢) ينظر على سبيل المثال: أدب الكتاب، (٢٠ – ٢١)، البرهان فى وجوه البيان، (٥١ – ٥٢)، معجم الأدباء، (١/ ٣ – ٤)، صبح الأعشى، (١/ ٧ – ٨).

العلم من الفضل ومكانه من الشرف والنبل ووجدت الحاجة إليه ماسة والكتب المصنفة فيه قليلة، وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ، وهو لعمرى كثير الفوائد جم المنافع لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة والفقر اللطيفة والخطب الرائعة... ألا أن الإبانة عن الحدود البلاغية وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة فى تضاعيفه ومنتشرة فى أُثنائه، فهى ضالة بين الأمثلة لا توجد إلا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير، فرأيت أن أعمل كتابى هذا مشتملاً على ما يحتاج إليه فى صنعة الكلام) [1]، وهو فى قوله هذا ينص على أن سبب تأليفه فى هذا الموضوع هو كون أهم الكتب التى درست الموضوع نفسه غير مبوبة ولا منسقة بشكل تضيع فيه معالم الموضوع وملامحه الأساسية.

واستنادًا إلى هذا السبب وجدت كثير من الكتب التى كان جل اهتمام مؤلفيها منصبًا على عرض المادة المدروسة سابقًا بشكل جديد يعتمد على التبويب والتنسيق للمواد السابقة ومن أمثلة هذا ما نراه فى قول ابن أبى عون:(سألتنى أعزك الله أن أثبت أبياتًا من تشبيهات الشعراء الواقعة وبدائعهم فيها الظريفة، وقد تقدم الناس–أعزك الله– فى اختيار الشعر وتمييزه غير أنهم لم يصنفوه أبوابًا...)[2] وهو فى كلامه هذا الذى يوجهه إلى من ألف له الكتاب يشير إلى أن ما سبقه من اختبارات فى هذا الموضوع لم يكن مبوبًا، مما يشعر بأن السبب الذى شجعه على القيام بتأليف هذا الكتاب هو محاولة تبويب الاختبارات الواردة فى هذا الموضوع، وإذن فلا ضير عليه فى أن يؤلف فى موضوع مطروق قبله ما دام سيعمد إلى تبويب مادته تبويبًا جديدًا[3].

---

(١) الصناعتين، (٤ – ٥).

(٢) التشبيهات، (١ – ٢).

(٣) وشبيه به ما قاله صاحب الحماسة البصرية فى سبب تأليفه كتابه، ينظر: الحماسة البصرية، (١/ ١ – ٢).

وثالث: الأسباب التى حملت المؤلفين القدامى على التأليف فى موضوعات سبقت دراستها، هو أن الموضوعات السابقة - على كثرتها - لم تتوصل إلى البت فى مسألة مهمة ألفت من أجلها ولم تستطع إيضاحها وإصدار حكم نهائى فيها.

يقول الباقلانى فى سبب تأليفه كتابه (إعجاز القرآن): (وقد صنف الجاحظ فى نظم القرآن كتابات لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ولم يكشف عما يلتبس فى أكثر هذا المعنى، وسألنا سائل أن نذكر جملة من القول جامعة تسقط الشبهات وتزيل الشكوك... فأجبناه إلى ذلك متقربين إلى الله عز وجل)[١] وبالسبب نفسه يواجهنا ابن سنان الخفاجى فى كتابه سر الفصاحة إذ يذكر أن ما ألف قبله لم يفصل القول فى مسألة الفصاحة ولم يبين أقسامها بوضوح[٢].

والسبب الرابع الذى استند إليه المؤلفون القدامى فى الكتابة فى موضوعات سبقت دراستها هو كون الدراسات السابقة حاملة كثيرًا من الأخطاء مما يدفع ببعض المؤلفين إلى إعادة التأليف فى موضوعها نفسه لكشف أخطاء هذه الدراسات والتنبيه عليها، ومن أمثلة ما يذكره أبو القاسم الأصفهانى فى سبب تأليف كتابه (الواضح فى مشكلات شعر المتنبي) إذ يقول إنه وقف على كتاب لابن جنى فى هذا الموضوع فوجد فيه صوابًا وخطأً مما حمله على تأليف فى الموضوع نفسه[٣]، ومن ذلك ما يذكره أبو هلال العسكرى فى كتابه جمهرة الأمثال إذ يقول إنه ألف كتابه هذا وميز فيه الأمثال العربية الفصيحة من الأمثال

---

(١) إعجاز القرآن، (٧).
(٢) سر الفصاحة، (٣ - ٥).
(٣) الواضح فى مشكلات شعر المتنبى، (٥).

المولدة ليسلم كتابه من الخطأ الذى وقع فيه حمزة الأصفهانى إذ جمع بين هذه الأمثال دون تمييز[1]، وكذلك الحال بالنسبة إلى ابن الأثير وكتابه (الاستدراك) إذ أنه ألف هذا الكتاب منبهًا فيه على الأخطاء التى وقع فيها ابن الدهان فى كتابه الموسوم بالمآخذ الكندية ومستدركًا عليه ما فاته من نماذج السرقات.

التذييل والتكملة

توضع بعض الكتب فى حقبة زمنية متقدمة فى موضوع معين، ولأهمية موضوعها أو ضرورته توضع فيه كتب أخرى فى حقب تالية، تبدأ من حيث انتهت الكتب السابقة عارضة لموضوعات مابه لما سبقها، ويتوالى وضع الكتب على هذا المنوال حتى تكون هناك سلسلة متصلة من الكتب التى تتناول موضوعًا واحدًا خلال حقبة من الزمن، ويعد كل منها تكملة للكتاب الآخر، والكتب الموضوعة بهذا الشكل عند القدامى كثيرة متنوعة، ومنها كتاب "الفرج بعد الشدة" للمحسن التنوخى الذى يتحدث لنا فى مقدمته عن سبب تأليفه فيقول: (وكنت قد وقفت فى بعض محنى على خمس أو ست أوراق جمعها أبو الحسن على بن محمد المدائني وسماها كتاب الفرج بعد الشدة والضيق، وذكر فيها أخبارًا تدخل جميعها فى هذا المعنى، فوجدتها حسنة، ولكنها لقلتها نموذج صغير... ووقع إلى كتاب لأبى عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا قد سماه كتاب الفرج بعد الشدة فى نحو عشرين ورقة... وقرأت أيضًا كتابًا للقاضى أبى الحسين عمر بن القاضى أبى عمر محمد بن يوسف القاضى رحمهم الله فى مقدار خمسين ورقة سماه (كتاب الفرج بعد الشدة)، أودعه أكثر مما رواه المدائنى وأضاف إليه أخبارًا أُخر أكثرها حسنة... فكان هذا من أسباب نشاطى لتأليف

(١) جمهرة الأمثال، ١ / ٦.

كتاب يحتوى من هذا الفن على أكثر ما جمعه القوم وأبين للمعنى وأكشف وأوضح وإن خالف مذهبهم فى التصنيف وأعدل عن طريقهم فى الجمع والتأليف...)[١].

ويلاحظ واضحًا فى هذا النص أن هناك عديدًا من الكتب وضعت فى موضوع واحد، وكان كل واحد منها يضيف على ما تقدمه أخبارًا ونصوصًا، حتى كان كتاب القاضى التنوخى هذا آخر حلقة هذه السلسلة ومكملاً لتلك الكتب فى الموضوع نفسه، مما يدل على أن مؤلفى هذه الكتب شعروا بأهمية استقصاء الواحد، وإضافة كل ما يجد فيه الزمن ليتكون من مجموع هذه الكتب الموضوعة فيه ما يكون نظرة متكاملة شاملة للموضوع الواحد. وشبيه بهذا ما يقوله النيسابورى فى كتابه عقلاء المجانين:(وكنت فى حداثة سنى سمعت كتبًا فى هذا الباب مثل كتاب الجاحظ وكتاب ابن أبى الدنيا وأحمد بن لقمان على سهل ابن علي البغدادى رحمهم الله فوقع كل كتاب منها فى جزء أو ما يقارب جزءًا تتبعتها وتيقنتها وضممت إليها قرائنها وعزوتها إلى أصحابها وألفت هذا الكتاب على غير مست تلك الكتب)[٢].

ولم يكن هذا الاتجاه فى التأليف ليقتصر على مثل هذه الموضوعات المحددة بل امتد إلى الموضوعات الأدبية كافة فشمل كتب التراجم الأدبية، حتى وجد فى هذا المجال كتب عديدة فى تراجم الأدباء يبدأ كل منها من حيث انتهى المؤلف السابق له، ويكاد هذا الأمر يقتصر على الكتب التى ألفت فى تراجم الأدباء المعاصرين أو قريبى العصر بالمؤلف، وقبل العصر بالمؤلف، وقد كان كتاب

---

(١) الفرج بعد الشدة، ١ / ٦ - ٧.

(٢) عقلاء المجانين، ١٢.

البارع لابن المنجم من أوائل هذه الكتب[1]. ثم وضعت سلسلة من التكملات له، كان أولها كتاب يتيمة الدهر للثعالبى، الذى أعقبه نفسه بوضع تكملة له سماها تتمة اليتيمة، ثم وضعت لليتيمة تكملات وذيول عديدة، أعقبت بوضع تكملات على الشعراء قديمهم ومحدثهم فى أشعارهم خاصة، سوى عيوبهم فى أنفسهم وأجسامهم وأخلاقهم وطبائعهم وأنسابهم وديانتهم وغير هذه الخصال من معايبهم فإنا قد استقصيناه فى كتابنا الذى لقبناه بالمفيد وغيره من كتبنا التى جمعناها فى أخبار الشعراء وشرحنا فيها أحوالهم، وسوى سرقات معانى الشعر فإنها أحد عيوبه...فإنا قد أتينا بكثير من ذلك فى كتاب الشعر...)[2]، وواضح أن المؤلف وضع كتبًا عديدة فى الشعراء تناول فى كل واحد منها ناحية معينة ثم كان كتابه الموشح هذا آخر هذه الكتب ومكملاً لكتبه الأخرى فى الحديث عن الشعراء. ويذكر ابن أبى الأصبع المصرى أن كتابه بديع القرآن هو تتمة لكتاب له آخر سماه (بيان البرهان)[3]، مما يشير إلى أنه ألف هذا الكتاب متناولاً فيه مسائل فاته ذكرها فى كتابه السابق مما يتعلق بالقرآن وإعجازه. وكل هذا وما سبقه يدل بوضوح على أن اتجاه القدامى إلى وضع الكتاب تكملة لكتب أخرى سابقة كان بدافع حرصهم على استكمال موضوعات معينة وإشباعها بحثًا، وهم بهذا يقدمون إلينا فهمًا علميًا قيمًا لضرورة التأليف ودواعيه.

الخدمة التعليمية

وضع القدامى كثيرًا من الكتب باتجاهات مختلفة تلتقي كلها فى هدف واحد هو تقديم الثقافة العامة لطوائف الأدباء والمثقفين عمومًا. فهناك عديد من

---

(٢) ذكر هذا ابن خلكان، وعدد الكتب التى وضعت تذييلاً لهذا الكتاب، ينظر: وفيات الأعيان، (٥ / ١٤٩ – ١٥٠).

(٣) الموشح، (١).

(٤) بديع القرآن، (٣).

الكتب التى جمعت طائفة كبيرة من المعلومات فى موضوعات مختلفة لتقدم بهذا ما يحتاج إليه الأدباء والكتاب بصورة خاصة من معلومات متنوعة. وهناك أيضًا كتب عديدة عنيت بتبيان صور الأخطاء التى يمكن أن تحدث عند التأليف ونقل المعلومات عن المصادر، هادفة من هذا إلى إبعاد المؤلفين عما قد يقعون فيه من أخطاء أثناء التأليف، والى جانب هذا وجدت كتب عديدة كان الغرض منها تسهيل الدراسة وتيسيرها على الطلاب والراغبين فى المعرفة بوجه عام، وأكثر ما يتمثل هذا النوع من الكتب فى الشروح والمختصرات التى تتناول الكتب المشهورة فى مجالات التعليم والدرس.

ومن الواضح أن هذه الكتب جميعًا لم توضع لتقديم موضوع جديد أو إثارة موضوعات غفل عنها الدارسون السابقون أو تكملة لبحوث سابقة كما هو الحال فى الكتب التى ألفت بدوافع سبقت الإشارة إليها. فكل ما تقدمه من معلومات وما تثيره من موضوعات كان معروفًا متداولاً، إلا أنه متفرق فى كثير من الكتب، وفضل المؤلف فى هذا المجال هو جمع هذه المعلومات وإجمالها وتيسير سبل الإفادة منها.

ومن مظاهر هذا النوع من الكتب ما وضعه بعض المؤلفين لخدمة طائفة الكتاب التى كانت بحكم وظيفتها تحتاج إلى مجموعة كبيرة من المعلومات فى موضوعات متنوعة، وأشهر المؤلفين الذين اتجهوا هذا الاتجاه ابن قتيبة الدينورى إذ ينص فى مقدمة كتابه (عيون الأخبار) علة أنه ألفه لهذا الغرض فيقول: (وإنى كنت تكلفت لمغفل التأدب من الكتاب كتابًا فى المعرفة وفى تقويم اللسان واليد وتبينت شمول النقص ودروس العلم وشغل السلطان عن إقامة سوق الأدب عفا ودرس، بلغت به فيه همة النفس وثلج الفؤاد...ولما تقلدت له القيام ببعض آلته دعتنى الهمة إلى كفايته..فأكملت له ما ابتدأت وشيدت ما

أسست...وهذه عيون الأخبار نظمتها لمغفل التأدب تبصرة ولأهل العلم تذكرة...)[1].

وعنيت مؤلفات أخرى بجمع ما يحتاجه الأدباء فى مكاتباتهم ومجالسهم من نماذج، وأكثر ما يظهر هذا فى الكتب المؤلفة فى الأمثال ككتاب جمهرة الأمثال للعسكرى الذى يقول فى مقدمته شارحًا السبب فى تأليفه:(ثم إنى ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان، بعد سلامته من اللحن، كحاجته إلى الشاهد والمثل والشذرة والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد فى المنطق تفخيمًا ويكسبه قبولاً ويجعل له قدرًا فى النفوس... ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكر والاستظهار... ولما رأيت الحاجة إليها هذه الحاجة عزمت على تقريب سلبها وتلخيص مشكلها وذكر أصولها وأخبارها..... فعملت كتابى هذا مشتملاً على ما لم يشتمل عليه كتاب أعرفه....)[2]، وشبيه به ما يقول الثعالبى فى كتابه سحر البلاغة:(فمن مرافق هذا الكتاب قرب متناوله على بلغاء العصر إذا طرزوا ديباجة كلامهم بها يقتبسون من نوره....)[3].

ونستطيع أن نعد فى هذا الاتجاه التعليمى من التأليف ما ألف من كتب فى التصحيف والتحريف، والمؤتلف والمختلف من الأسماء والألقاب، زيادة على ما وضع من كتب لتبيان أخطاء العلماء والمؤلفين السابقين، وقد صرح مؤلفو هذه

(١) وشبيه بهذا ما يقوله فى مقدمة كتابه أدب الكاتب، ص (٩)، وما يقوله الصولى فى كتابه أدب الكتاب، ص (٢٠)، وابن درستويه فى كتاب الكتاب، ص (٦)، وكل هذه الكتب هو واضح من موضوعاتها أنها وضعت لخدمة الكتاب على مر العصور حتى كان كتاب صبح الأعشى للقلقشندى آخر هذه الكتب وأوسعها، وقد صرح بالسبب الذى دعاه إلى تأليفه فى مقدمته. ينظر: صبح الأعشى، (١ / ٨ – ١٠).

(٢) جمهرة الأمثال (١/ ٤ –٦).

(٣) سحر البلاغة (٥–٦).

الكتب بهذا الدافع الذى إلى الكتابة فى هذه الموضوعات، ومنهم الآمدى الذى يقول فى كتابه (المؤتلف والمختلف): (هذا كتاب ذكرت فيه المؤتلف والمختلف والمتقارب فى اللفظ والمعنى والمتشابه به الحروف فى الكتاب من أسماء الشعراء وأسماء آبائهم وأمهاتهم وألقابهم مما يفصل بينه الشكل والنقط واختلاف الأبنية، وإنما ذكرت من الأسماء والألقاب ما كانت له نباهة وغرابة وكان قليلاً فى تسميتهم وتلقيبهم، وكانوا إذا ذكروه مفردًا عن اسم الأب والقبيلة لشهرته ولم أتعد هذا الجنس لقلة الاشتراك فيه ولأن الغلط يقع فى مثله.... ويجرى اللبس فيه على من لم يتمهر فى معرفة الشعر والشعراء دائمًا)[1]، ويقول الحريرى فى كتابه درة الغواص: (....فإنى رأيت كثيرًا ممن تسنموا أسمنة الرتب وتوسموا بسمة الأدب قد ظاهروا العامة فى بعض ما يفرط من كلامهم وترعف به مراعف أقلامهم، فألفت هذا الكتاب تبصرة لمن تبصر وتذكرة لمن تذكر...)[2]، وهو فى كلامه هذا يؤكد أن الدافع الذى حمله على تأليف الكتاب هو رغبته فى تصحيح الأخطاء التى تشيع حتى عند العلماء مما يشير إلى أن كتابه هذا وضع بدافع تعليمى إذ أن الغرض منه التنبيه على الأخطاء لتحاشيها فى المستقبل.

ويتصل بهذا الدافع ما وضع من شروح ومختصرات كثيرة للكتب الأدبية أو النصوص ذات الطابع اللغوى مما كان يدرس فى تلك العصور. وواضح أن الشروح التى وضعت فى هذا المجال كان يضعها الشيوخ والعلماء الذين يقومون بتدريس هذه النصوص والكتب، وكانت طبيعة عملهم تفرض عليهم هذا، إذ كانوا ملزمين فى أحيان كثيرة بالتعليق على الكتب التى يقومون بتدريسها وشرح ما يرونه مستبهما غامضًا فيها. وكثيرًا ما كانوا يملون هذه الشروح حتى يتكون

(١) المؤتلف والمختلف (٣).
(٢) درة الغواص، (٢-٣).

من مجموع هذه الأمالى كتاب موسع يفيد منه الطلاب. ومن نماذج هذا النوع من الكتب شرح المفصل لابن يعيش الحلبى الذى يقول فى مقدمته: (وبعد، فلما كان الكتاب الموسوم بالمفصل من تأليف الإمام العلامة أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى رحمه الله جليلاً قدره نابها ذكره، قد جمعت أصول هذا العلم فصوله وأوجز لفظه فتيسر على الطالب تحصيله، إلا أنه مشتمل على ضروب منها: لفظ أغربت عبارته فأشكل، ولفظ تتجاذبه معًا فهو مجمل ومنها ما هو باد للأفهام إلا أنه خال من الدليل مهمل، استخرت الله تعالى فى إملاء كتاب أشرح فيه مشكله وأوضح مجمله واتبع كل حكم منه حججه وعلله...)(١)، وواضح من قوله هذا أنه أنشأ هذا الشرح لغرض تعليمى، إذ وضح ما كان من كتاب المفصل غامضًا مستبهما، وأملى شروحه هذه إملاء مما يدل على أن الحاجة التعليمية هى التى دفعته إلى هذا العمل. وشروح الكتب القديمة كثيرة فى مختلف مجالات التأليف وهى فى مجموعها لا تخرج عن هذه الفكرة التى نرى ابن يعيش يعرب فى قوله السابق.

وسببه بعملية الشرح هذه من الوجهة التعليمية عملية الاختصار إذ وجدت كثير من الكتب التى تناولت كتبًا سابقة بالاختصار والتهذيب، والغرض من هذه المختصرات هو تقريب الكتب الموسعة لأذهان الطلاب والقراء عمومًا، وتسهيل حفظها والإلمام بها، ومن أمثلة هذه المختصرات ما وضعه الزبيدى من مختصر العين، فهو يصرح بالغرض التعليمى منه إذ يقول فى مقدمة الكتاب:(هذا كتاب، أمر بجمعه أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله أطال الله بقاءه، عناية منه بالعلم واهتمامًا به ورغبة فى نشره والانتفاع بفائدته، وذهب فيه إلى اختصار الكتاب المعروف بكتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد

(١) شرح المفصل، ١/ ٢.

الفراهيدى، بأن تؤخذ عيونه، ويلخص لفظه، ويحذف حسه، وتسقط فصول الكلام المتكررة فيه، لتقرب بذلك فائدته وليسهل حفظه، ويخف على الطالب جمعه...)[1].

هذه هى أهم الأسباب التى حملت المؤلفين القدامى على اختيار موضوعات كتبهم منذ بداية عصر التأليف، وقد ظلت هذه الدوافع رائد المؤلفين حتى استقرت عند المتأخرين منهم قاعدة من القواعد وأصبحت فى جملة الأسس التى تكون المنهج العام للبحث والتأليف عند المؤلفين القدامى، إذ قلما يخلو كتاب تطرق إلى قضايا التأليف من ذكر هذه الدوافع مجملة أو مفصلة، من مثل قول الكاعى فى الفصل الذى خصصه للتأليف: (والتواليف تنقسم على أقسام، منها ما أقل فضيلته حسن الاختيار الذى عليه المدار... ومنها ما فضيلته جمع ما افترق... ومنها اختصار الطويل فى اللفظ القليل، ومنها رد القصير فى معرض الطويل الكثير، ومنها ما يعتمد فيها المؤلف على فكره يغترفه من بحره...)[2]. وفى كتاب المعيد للعلموى نلاحظ هذه الدوافع بصورة أوضح وأكثر تفصيلاً، إذ ينقل عن أحد المؤلفين السابقين قوله عن مراتب التأليف بأنها سبع وهى: (استخراج ما لم يسبق إلى استخراجه، وناقص فى الوضع يتمم نقصه، وخطأ يصحح الحكم فيه، ومستغلق بإجحاف الاختصار يشرح أو يتمم بها يوضح استغلاقه، وطويل يبدد الذهن طوله يختصر من غير إغلاق ولا حذف لما يخل حذفه المصنف الأول، ومتفرق يجمع شتات تبدده على أسلوب صحيح قريب ومنثور غير مرتب يرتب ترتيبًا يشهد صحيح النظر أنه أولى فى تقريب العلم للمتعلمين من الذى تقدم فى حسن

(١) مختصر العين، ١ / ٧ – ٨.

(٢) أحكام صنعة الكلام، ٢٣٠ – ٢٣١.

وضعه وترتيبه وتبويبه..)[1]. ويلاحظ أن كل ما ورد ذكره فى هذا النص سبق أن رأيناه فيما استعرضناه من دوافع لتأليف استقرأناها من كتب المؤلفين القدامى.

وإذا كان فى هذا الذى قدمناه ما يدل على تفكير منهجى سديد وتفكير علمى بضرورة التأليف وقيمته، فإن هذا لا يعنى أن المؤلفين القدامى كانوا جميعًا فى مثل هذا المستوى العلمى والتفكير المنهجى السليم فى اختيارهم موضوعات كتبهم. فقد وجد بعض المؤلفين الذين يكررون ما كتبوه سابقًا دونما تجديد وإضافة، ولعل أبا منصور الثعالبى كان خير مثال لهذا النوع من المؤلفين إذ أننا نكاد نجد فى مؤلفاته العديدة التى وصلت إلينا غير تكرار فى المعلومات والاختيارات، وبشكل يجيز لنا القول بأن الثعالبى لم يؤلف فى ميدان الأدب غير كتب ثلاثة هى: ثمار القلوب والتمثيل والمحاضرة، وما سواها من الكتب نقل وإعادة لما فى هذه الكتب من المعلومات بترتيب يختلف فى كتاب عنه فى كتاب آخر. وقد انتبه القدامى أنفسهم إلى أن كتب الثعالبى لا فائدة فى معظمها فوصفوها بقلة الجدوى، وقلة الفائدة العلمية منها، وفى هذا يقول ياقوت الحموى فى ترجمة الأسعد بن المهذب بن مماتى:(ولو تصانيف كثيرة يقصد بها قصد التأدب، وفى معرض وقائع تجرى، ويعرضها على الأكابر، لم تكن مفيدة إفادة علمية إنما كانت شبيهة بتصانيف الثعالبى وأضرابه...)[2]، كما وجد فيهم مؤلفون لا يضيفون شيئًا جديدًا إلى ما يؤلفون بل يكررون أقوال سابقيهم بزيادة أو بنقصان، ومن نماذج هذا النوع ما نراه فى قول القفطى متحدثًا عن عبدالطيف ابن يونس البغدادى: (وكان يدعى تصنيف كتب ما فيها مبتكر، وإنما يقف على

(١) المعيد، (٨٠).

(٢) معجم الأدباء، (٢/ ٢٥١).

التصانيف غيره فإما أن يختصر أو يزيد ما لا حاجة إليه، وهى فى غاية البرودة والركاكة...)[1].

وعليه يرتبط اختيار الموضوع بتحديده، ويكاد الأمران يكونان متلازمين لا فاصل بينهما، ومرحلة واحدة لا تحتمل التجزئة والفصل، إذ من الواضح أن التفكير فى اختيار موضوع معين يصحبه التفكير فى تحديد ذلك الموضوع حدودًا معينة ليتمكن المؤلف من جمع مادته فيما بعد على أساس هذا التحديد.

وتحديد الموضوع عند المؤلفين القدامى يجمع إلى جانب عموميته واتساعه معالم واضحة الدلالة على تفكير علمى دقيق فى تحديد الموضوعات، فكثير من المؤلفات الأدبية القديمة لم تعرف التحديد الدقيق وأكثر ما يظهر هذا فى كتب الأدب الجامعة. ولئن دل على فقدان المنهجية عند مؤلفى هذه الكتب، إلا أنه يمكن أن يفسر من جانب بقصد هؤلاء إلى تقديم أكثر ما يمكن تقديمه من مخزون ثقافتهم وما تناثر فى الكتب السابقة من معلومات. ويؤيد هذا أن هذه الكتب الجامعة وضعت لخدمة الأدباء بصورة عامة والكتّاب بصورة خاصة، وهؤلاء – كما سبقت الإشارة إلى هذا – يحتاجون إلى كثير من المعلومات فى مختلف الموضوعات مما يفرض على مؤلفى هذه الكتب اتجاههم العام فى الجمع والتأليف.

وعلى خلاف هذه الظاهرة التى تبدو فى كتب الأدب الجامعة، وتظهر فى كثير من الكتب الأدبية الأخرى معالم واضحة وأسس متميزة التحديد متمثلة

---

(١) إنباهُ الرواة، (٢/ ١٩٤ – ١٩٥)، ولا بد لنا هنا من الإشارة إلى أن هذه الدواعى التى ذكرناها سابقًا يمكن أن يلتقى اثنان منها أو أكثر فى كتاب واحد، كما يمكن أن يكون واحد منها فقط هو الداعى إلى اختيار الموضوع.

أولاً بملاحظات عامة لبعض المؤلفين تدل على قصدهم إلى تقريب مواد كتبهم بتحديدها وعدم السماح باتساعها وتشعبها. من مثل قول صاحب الزهرة: (ومثل هذا الكتاب إنما يطلبه أهل الآداب ليخف على الألفاظ وتسهل للحفاظ، فإن بعد آخره نسى أوله، ولسنا وإن اجتهدنا فى إطالته راجين التناهى إلى غايته ومن لم يرج الكمال بالإكثار كان حقيقًا أن يقنع بالاختصار...)[1]، وهو نص فى إرادة التحديد، وكبح جماح الإطالة والاتساع التى تظهر فى بعض الكتب القديمة، ولئن بدا هذا واضحًا ممكنًا فى موضوع يسهل تحديده كموضوع كتاب الزهرة، إلا أننا لا نعدمه فى كتب أخرى جمعت كثيرًا من المواد والموضوعات ومنها كتب التراجم، فابن قتيبة مثلاً وإن احتوى كتابه الشعر والشعراء على عدد كبير من التراجم فى مدة زمنية كبيرة، إلا أننا نلمس منه تفكيرًا فى التحديد اتبعه عندما كتب كتابه فحدد تراجمه بقوله: (ولم أعرض فى كتابى لمن كان غلب عليه غير الشعر، فقد رأينا بعض من ألف فى هذا الفن كتابًا يذكر فى الشعراء من لا يعرف بالشعر ولم يقل منه إلا الشذر اليسير كابن شبرمة القاضى... ولو قصدنا لذكر هؤلاء فى الشعراء لذكرنا أكثر الناس...)[2].

ولدى استقراء الكتب الأدبية يمكن القول إن أسس تحديد الموضوعات عند المؤلفين القدامى كانت كما يلى:

١- الزمان والمكان

عمد بعض المؤلفين القدامى إلى تحديد موضوعاتهم على أساس زمنى فجمعوا فى هذه الكتب من المواد والأخبار ما يرجع إلى عصر معين دون غيره،

---

(١) الزهرة، (٤).

(٢) الشعر والشعراء، (١ / ٩ – ١٠).

وغير خفى أن حصر مواد الكتاب بعصر معين يمثل تفكيرًا بتحديد خاص للكتاب يقوم على أساس واحد يمكن أن يشمل موضوعات معينة دون غيرها.

والكتب القديمة التى سارت على هذا الأساس فى التحديد كثيرة ترجع فى معظمها إلى ما ألف فى تراجم الأدباء، ويمكن عد كتاب (الروضة) للمبرد أول هذه الكتب التى تلتزم بالترجمة للشعراء المحدثين فقط، إذ بدأ بأبى نواس ثم تلاه بغيره من شعراء العصر العباسي[1]، ويتلوه فى هذا كتاب (البارع) لهارون بن علي ابن يحيى المعروف بابن المنجم(٢٨٨هـ)[2]، وكتاب طبقات الشعراء لابن المعتز (٢٩٦هـ)، وكتاب الورقة لابن الجراح (٢٩٦هـ)، وكتبًا عديدة أخرى تدل بمجموعها على أن تحديد التراجم بالأدباء المحدثين فقط أصبح منهجًا متبعًا لدى المؤلفين، ويكفى أن نذكر منها كتاب يتيمة الدهر للثعالبى وما وضع من تتمات وذيول عليه سبق لنا ذكرها.

ولم يكن تحديد هذه الكتب حسب الزمان متمثلاً فى موضوعاتها وما احتوته من تراجم فقط، بل امتد حتى شمل عنواناتها فكانت هذه العنوانات دليلاً على هذا التحديد الزمنى فالثعالبى يسمى كتابه(يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر) ليدل بعبارته الأخيرة على اقتصار كتابه على تراجم العصرين فقط، وكذلك فعل المؤلفون الذين اتبعوه وأكملوا يتيمته.

ووجدت كتب أخرى اقتصرت على الترجمة للأدباء المنتمين إلى إقليم معين، مما يمثل أساسًا آخر للتحديد يمكن أن نسميه التحديد المكانى، ومن هذه الكتب كتاب أخبار شعراء مصر للصولي[3]، وشعراء أصبهان لحمزة

(١) العقد الفريد، (٦/ ٧٧)، المثل السائر، (٢/ ١٢).
(٢) ذكر هذا الكتاب فى الفهرست، (١٦٠).
(٣) ذكر فى معجم الأدباء، (٢/ ٤١٥).

الأصفهاني[1]، (والذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة) لابن بسام الشنترينى الذى احتوى على تراجم للأدباء الأندلسيين فقط، (والدرة الخطيرة فى شعراء الجزيرة) لابن القطاع الصقلي[2] الذى احتوى على تراجم أدباء صقلية فقط، وكتب عديدة أخرى سارت على هذا التحديد نفسه، وأفاضت كتب التراجم والأدب فى ذكرها.

وهذه الكتب وما سبق ذكره من كتب وضعت فى تراجم المحدثين موزعة حسب البيئات الإقليمية، يمكن أن تشبه من حيث الفكرة ما يوضع من دراسات حديثة حول مجموعة من الأدباء المنتمين إلى إقليم وعصر معينين.

٢- الصفات المشتركة

سارت كثير من كتب التراجم القديمة على أساس معين من التحديد يتمثل فى وجود صفة مشتركة تجمع بين المترجم لهم فى الكتاب، فقد بدأ اتجاه فى التأليف منذ القرن الثالث الهجرى يظهر فيه اعتماد رابط اللقب أوالكنية أو الاسم حدًا لموضوع الكتاب، من مثل ما ينسب إلى محمد بن حبيب (٢٤٥هـ) من كتب صغيرة فى التراجم والأخبار محددة حسب الكنى والألقاب، منها كتاب (من نسب إلى أمة من الشعراء) وكتاب (كنى الشعراء ومن غالبت على اسمه)[3] وكتاب السكري(٢٧٦هـ) عنوانه (من قال بيتا فلقب به)[4]، وكتاب لابن الجراح (٢٩٦ هـ) عنوانه (من سمى عمرًا من الشعراء)، واستمر وضع

---

(١) ذكر فى معجم الأدباء، (٦ / ٢٨٩).

(٢) ذكر فى معجم الأدباء، (٥ / ١٠٧).

(٣) طبع الكتابان ضمن سلسلة نوادر المخطوطات، وهما يمثلان مرحلة أولى فى التراجم إذ أن ما فيهما لا يعدو احصائيات بأسماء الشعراء مع بعض الأخبار المقتضبة عنهم.

(٤) ذكر الكتاب فى الأغانى، (١٩ / ١٨٨).

الكتب بمثل هذا التحديد طيلة العصور التالية حتى كان منها القرن السابع كتاب (المحمدون من الشعراء) للقفطى.

وضمت بعض كتب التراجم أيضًا طائفة من الأدباء المعروفين بعاهة معينة، ويبدو أن أبا عثمان الجاحظ هو الواضع الأول لهذه الفكرة فى التحديد إذ ألف كتابًا بعنوان (البرصان والعرجان والعميان والحولان) وقد ضم طائفة من التراجم والأخبار مختلطة ببعضها تدور حول هذه الصفات التى سمى كتابه بها. ويمكننا أن نعد ضمن هذه المجموعة كتاب عقلاء المجانين لمحمد بن الحسن النيسابورى (٤٠٦هـ) وكتبًا عديدة أخرى يصادفنا منها فى القرن الثامن كتاب (نكت الهيمان) للصفدى.

ووضعت كتب أخرى للحديث عن طائفة اجتماعية معروفة بسلوك معين مما يمكن أن نعده أساسًا لتحديد موضوع الكتاب يشبه ما سبقه ويدخل ضمن مفهوم الصفات المشتركة. ويبدو أن الجاحظ هو أول من اتجه هذا الاتجاه فى كتابه (البخلاء) وأعقبه الوشاء فى كتابه (الموشي) الذى خصصه للظرف والظرفاء، والخطيب البغدادى فى كتابيه (التطفيل) و(البخلاء) وابن الجوزى فى كتابيه (الأذكياء) و(الظرف والمتماجنين).

٣- الأغراض الشعرية

اتجه كثير من المؤلفين إلى تخصيص كتبهم بالحديث عن غرض شعرى معين دون غيره. إذ يعمدون إلى اختيار النماذج الأدبية وما يتعلق بها من أخبار لا تتعدى الغرض الشعري الذى حددوا كتبهم به، وفى هذا ما يدل على أن الغرض الشعرى كان أساسًا من أسس التحديد عند القدامى إذ التزم به كثيرون وقدموا إلينا عديدًا من الكتب التى سارت على هذا النوع من التحديد القائم على أساس الغرض الشعرى الواحد. ونستطيع القول بأن كتب الاختيارات الأدبية

وأشهرها كتب الحماسة هى التى وضعت الأساس لهذا التحديد إذ أن توزيعها لاختيارات حسب الأغراض الشعرية يمثل بداية التفكير فى اعتماد لهذا الأساس الذى تطور عند المؤلفين اللاحقين فقصروا بعض كتبهم على الحديث عن غرض شعرى معين من مثل ما وضع من كتب عديدة تناولت موضوع الحب والغزل فقط ككتاب (المقتفي) للوشاء[1]، و(طوق الحمامة) لابن حزم، (وذم الهوى) لابن الجوزى، (وروضة المحبين) لابن القيم الجوزية.

وهناك كتب عديدة أخرى خصصت لموضوع الخمريات والشراب ومنها كتاب (الأشربة) لابن قتيبة وكتاب (فصول التماثيل) لابن المعتز وكتاب (قطب السرور) للرقيق القيروانى وكتاب (حلبة الكميت) للنواحى. كما نستطيع أن نعد ضمن هذا الأساس فى التحديد ما ألف من كتب فى الوصف، ومنها كتاب (العقد) للوشاء الذى خصصه لذكر الورد وفضائله، وكتاب (التفاحة) للوشاء أيضًا، الذى خصصه لفضائل التفاح[2]، وكتاب (البديع فى وصف الربيع) لأبي الوليد الحميرى، وكتب عديدة أخرى حفلت كتب التراجم بذكر أسمائها.

وهذه الكتب جميعًا، يمكن أن يقال: عنها أنها تشبه من حيث الفكرة ما يوضع من دراسات أدبية حديثة تتناول فنًا شعريًا واحدًا دون غيره.

٤- الشخصية الواحدة

عرف المؤلفون القدامى أساسًا آخر لتحديد الموضوعات يتمثل فى تخصيص كتب للحديث عن شخصية أدبية واحدة، إذ يجمع المؤلف فى كتابه بين ترجمة للشاعر وأخبار عديدة له، إضافة إلى كثير من الآراء المتعلقة بفنه الشعرى.

(١) ذكر الكتاب فى الموشى، ٦٩.
(٢) ذكر الكتابان فى الموشى، ١٨٠.

والكتب المؤلفة حسب هذا التحديد عديدة نذكر منها على سبيل المثال: (أخبار الأحوص) لعلى بن محمد بن بسام[1]، وكتاب (بشار واختيار شعره)، وكتاب (أخبار ابن مناذر)، وكتاب (أخبار ابن هرمة) ومختار شعره، وهى جميعًا لأحمد بن أبى طاهر[2]، وكتاب (أخبار السيد الحميرى) لأحمد بن إبراهيم العمي[3]، وكتاب (أخبار ابن الرومى) لعلي بن عبد الله بن المسيب الكاتب[4].

واتجه مؤلفون آخرون إلى تحديد كتبهم بالحديث عن جانب واحد من جوانب الشخصية الأدبية الواحدة، فوضعت حسب هذا التحديد كتب عديدة نذكر منها كتاب (سرقات أبى نواس) لمهلهل بن يموت بن المزرع، وكتابى الصاحب بن عباد: (الكشف عن مساوئ شعر المتنبي)، و(الأمثال السائرة من شعر المتنبي)، وكتاب (المآخذ الكندى من المعانى الطائية) لابن الدهان النحوي[5].

وهذه الكتب باقتصارها على شاعر واحد فقط أو جانب واحد من جوانب الشخصية الأدبية تمثل مرحلة مهمة من مراحل التحديد المنهجى للموضوعات إذ تشبه من حيث الفكرة ما يوشح من دراسات حديثة عن شخصية أدبية واحدة أو جانب من جوانب شخصية أدبية معينة.

الترجمة (العنوان)

وهناك مسألة أخيرة فى الحديث عن تحديد الموضوع عند القدامى تتعلق بالعنوان المختار للكتاب وأساس اختياره عندهم.

---

(١) ذكر فى معجم الأدباء، (٥، ٣١٩).

(٢) معجم الأدباء، (١ / ١٥٥).

(٣) نفسه، (١/ ١٧٦).

(٤) نفسه، (١ / ٢٢٤).

(٥) لم يصل إلينا هذا الكتاب، وإنما وصل إلينا رد عليه لابن الأثير سماه (الاستدراك على رسالة ابن الدهان...).

والمصطلح الغالب عند العرب فى حديثهم عن عنوان الكتاب هو مصطلح الترجمة، ونستطيع أن نلاحظ هذا فى قول الوشاء: (وفضائل الورد أكثر من أن يحصى عددها، وقد أفردت لذلك كتابًا وبوبته وترجمته بكتاب العقد...)[1].

ومن المعروف حاليًا أن عنوان الموضوع أو العنوان العام للكتاب يجب أن يكون موحيًا بمضمونه ودالاً عليه، وبتأمل الكتب الأدبية القديمة يتضح لنا أن كثيرًا من المؤلفين القدامى وضعوا فكرة مطابقة عنوان الكتاب لموضوعه نصب أعينهم، ومن النصوص الدالة على هذا المحسن التنوخى فى نقد كتاب (الفرج بعد الشدة) لابن أبى الدينا: (ووقع إليّ كتاب لأبى بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا قد سماه (الفرج بعد الشدة) فى نحو عشرين ورقة، والغالب فى أحاديث عن النبى (ﷺ) وعلى آله وصحبه وسلم، وأخبار عن الصحابة والتابعين رحمهم الله تعالى يدخل بعضها فى معنى طلبته ولا يخرج عن قصده وبغيته، وباقيها أحاديث وأخبار فى الدعاء والصبر والرزق والتوكل... وهو عندى خال من ذكر فرج بعد شدة غير مستحق أن يدخل فى كتاب مقصور على هذا الفن...)[2]، وقول الثعالبى متحدثًا عن كتابه سحر البلاغة: (ثم إن هذا الكتاب المشتمل على الكتب الأربعة عشر مترجم بسحر البلاغة وسر البراعة، وأرجو أن يكون اسمًا يوافق مسماه ولفظًا يطابق معناه...)[3]، وقول الشريشى متحدثًا عن قدامة

---

(١) الموشى، ١٨٠، واستعمل مصطلح الترجمة للدلالة على العنوان كثير من المؤلفين. ينظر على سبيل المثال: الزهرة، (٢٨٤). مراتب النحويين، (٢)، يتيمة الدهر، (٢ / ٢١٩)، سحر البلاغة، (٨)، الكناية والتعريض، (٢)، الذخيرة، (١/ ١/ ٤٤)، شرح المقامات، (١/ ٢٠)، المعجب، (١٧٥)، الحلة السيراء، (١/ ٩٤)، نهاية الأرب، (٥/ ١٠٢، ١١٦).

(٢) الفرج بعد الشدة، (١ / ٦).

(٣) سحر البلاغة، (٨).

ابن جعفر: (كان بليغًا مجيدًا عالمًا بأسرار صنعة الكتابة ولوازمها، وله كتاب يعرف بسر البلاغة فى الكتابة، وترجمته تدل على متضمنة)[1].

هذه أفكار تشير إلى ضرورة مطابقة عنوان الكتاب لمضمونه، ومتى يكون مفيدا عندما تنقصنا الأدلة الأخرى، وخصوصا عندما لا يكون هناك دليل مخالف ولكن يجب أن نشير إلى أن الاعتماد على أهل الثقة لا يكون بذاته وسيلة البحث العلمى.

يجب أن تكون حيثيات النتائج التى نصل إليها فى الطريقة العلمية منطقية دائما وبمعنى آخر فالنتائج يجب أن تكون متمشية مع الدليل ومع الحقائق المعروفة ومع التجربة داخل مجال الدراسة.

(١) شرح المقامات، ١/ ٢٠.

المبحث الثالث

الخطوات التى ينبغى اتباعها فى البحث

يمكن أن نقارن–الى حد كبير– عملية البحث والتقصى بعمل الشرطة والمحاكم وطرائقهما فى التحرى عن الجريمة... فكما يقوم المخبر والمحامى بمواجهة مشاكل وضع مفاتيح ألغاز الجريمة مع بعضها فى إطار منطقى، وتقديم الدليل السليم أمام المحكمة، بطريقة منطقية منظمة، كوسيلة لتحديد الجريمة وتقديم مرتكبها للعدالة، عن طريق اكتشاف الحقيقة – فإن الباحث يواجه مشكلة وقواعد إجرائية ذات طبيعة مشابهة، وذلك لمواجهة مشاكل البحث والدراسة.

فالنتائج يجب أن تكون مبنية على الدليل الواضح (البيانات)، كما أن الدليل يجب أن يكون متعلقًا بالجريمة، ويجب أن يكون مادّيا، مستمدًا من المصادر الموثوق بها والصحيحة..

وفيما يلى بعض الخطوات التى ينبغى أتباعها فى البحث:

١– تحديد المشكلة: لابد أن تكون هناك مشكلة محددة.. حتى يقوم الباحث بالبحث عن حل لها... وإذا كان الباحث العلمى والمحقق الجنائى يشتركان معا فى البحث عن الحقيقة.. وإذا كنا نقارن عملية البحث بعملية التحرى الجنائى..

فإن عمل الباحث يشبه عمل المحقق الجنائى فى فحص الظروف الخاصة(بموت أحد الأشخاص) مثلاً، وذلك لاكتشاف أسباب الوفاة.. أى أن الباحث لديه شيء محدد فى ذهنه ويريد أن يتعلم عنه شيئًا، هذا الشيء هو حل مشكلة معينة محددة.

٢- تجميع البيانات: والخطوة التالية بعد تحديد المشكلة... هى البدء بتجميع البيانات والمعلومات وفحصها فحصًا دقيقًا.. على أن تكون هذه المعلومات والبيانات متعلقة بالحقائق الخاصة بالمشكلة... وكثيرًا ما يتغاضى الباحث عن بعض المعلومات ذات العلاقة بالمشكلة... وغالبًا ما يفشل البحث فى هذه الحالة كذلك... فبالمقارنة بعمل التحرى الجنائى قد تغفل الشرطة بعض الظروف التى أدت إلى ارتكاب الجريمة.. كأن تغفل مثلاً أن (كيس نقود) القتيل مفقود. أو قد تقوم الشرطة نفسها بقفل مفتاح تشغيل السيارة دون أن تفطن لأسباب استمرار اشتغال السيارة حتى بعد انقلابها.. إن هذه الحقائق وأمثالها ضرورية كدليل للتعرف على الجريمة وأسبابها.

٣- وضع الفرض: بعد الفحص المبدئى للبيانات والمعلومات، فإن هناك حلاً ممكنًا للمشكلة يطرح نفسه على الباحث.. هذا الحل المبدئي (أو التخمين الذكي) يمكن ببساطة أن يكون حلاً خاطئًا... فقد تفترض الشرطة مثلاً فى أول الأمر أن حادث الوفاة قضاء وقدر.. وأن لا أسباب جنائية وراء الحادث.. ولكن بعد فحص الأدلة المتوفرة... فقد تدخل فكرة الجريمة والقتل فى الموضوع.. ومع ذلك فقد تبدأ الشرطة فى البحث عن الجانى فى الطريق الخاطئ... ذلك لأن الشرطة مثلاً تعتقد أن السرقة هى الدافع وراء الجريمة.

ومن الطبيعى والمفيد فى ذات الوقت، أن يضع الباحث تخمينات معقولة للحل الممكن للمشكلة حتى فى بداية البحث... إن هذا التخمين Guess هو ما

نسميه بالفرض Hypothesis وهذا الفرض قد تثبت صحته، حيث يتفق مع جميع الحقائق المتوفرة.. وقد يكون خاطئًا ومن ثم ينبغى إهماله والبحث عن فرض جديد.

٤- اختيار الفرض Test the Hypothesis: أن صياغة تخمين معقول - أو فرض- بالنسبة لحل المشكلة، يساعد فى تحديد الاتجاهات التى يمكن البحث فيها عن الدليل.. وعلى ذلك، فحتى إذا ثبت أن الفرض خاطئ فإنه يساعدنا فى الدراسة... وبعد أن نستقر على فرض معين بناء على البيانات والمعلومات الأولية المتوفرة، فإننا نبدأ العمل على تجميع الدليل من جميع المصادر الممكنة.. وذلك لفحص الفرض. وعن طريق اكتشاف الحقائق الجديدة... وتطبيق المبادئ المتفق عليها فى المعرفة والمنطق.. سيتقرر صحة الغرض واتفاقه مع الحقائق المتوفرة من عدمه. إن هذا البحث الدقيق عن المعلومات والبيانات... موجها بالفرض المبدئى Tentative Hypothesis يكون الجهد الأساسى لأى بحث علمي.. تمامًا كما هو الحال فى التحرى الجنائي.

٥- النتيجة: وبعد اختيار الفرض بتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات ووضعها فى الإطار المنطقى الصحيح... فإن الباحث إما أن يرفض ويهمل الفرض الذى وضعه وذلك بعد أن ثبت عدم صحته، وإما أن يكون هذا الفرض صحيحًا... وبالتالى فإنه يشكل بالنسبة للباحث النتيجة الأساسية فى دراسته.

وبمعنى آخر - فإن الدراسة ينبغى أن تستمر حتى يقتنع الباحث بصحة وصدق الفرض الذى وضعه.. وحتى يستطيع بالتالى أن يقنع الآخرين بوزن وصحة الدليل الذى توصل إليه.

أى أنه إذا ما أيدت الملاحظات العلمية والتجارب صحة فرض من الفروض دون أن يتعارض مع هذا الفرض أو ينقضه أى دليل آخر، فإننا نكون قد أضفنا

إلى حصيلة المعرفة حقيقة جديدة... وليست قيمة هذه الإضافة فقط لأنها تفسر الحالات الفردية التى بدأ بها الفرض، وإنما القيمة الحقيقية تكمن فى أنها تفسر كل الحالات المشابهة والتى لم تدخل فى مجال البحث الذى تم القيام به.. هذه العملية هى ما يسمى بالتعميم Generalization.

وأخيرًا فكما يعد المحامى قضيته لتقديمها للمحكمة، يجب على الباحث أن يعد النتائج التى توصل إليها بتقبلها ويفهمها المختصون فى مجاله العلمى.

ثالثًا : بعض المخاطر التى تكتنف البحث الجاد[1]

هناك مخاطر عديدة، يمكن أن تكتنف البحث الجاد فى علاقته بحل المشاكل العلمية. وهذه المخاطر تتضمن ما يلى:

- تكوين نتائج مبتسرة غير ناضجة Premature Conclusions.
- تجاهل الأدلة المضادة أو غير المتفقة مع النتائج التى وصل إليها الباحث.
- عادة التفكير داخل حدود ثابتة Fixed Limits أى الافتقار إلى الأصالة.
- عدم القدرة على الحصول على جميع الحقائق المتعلقة بالمشكلة.
- عدم الدقة فى الملاحظة.
- الخطأ فى مطابقة أو توفيق علاقات السبب والأثر Vause and Effect Relationship.
- التأثر بالأحكام الشخصية والتحيزات الذاتية المسبقة Subjectivity or Prejudice) أى الافتقار إلى الموضوعية.

وكل واحدة من هذه المخاطر، يمكن أن يقضي على القيمة الحقيقية للبحث، وسنناقش ذلك فيما يلى بشيء من التفصيل:

(1) Hillway, Op.Cit, PP.79 – 82 passim.

١- تكوين نتائج غير ناضجة: كثيرًا ما يدفع الحماس بعض الباحثين إلى سرعة التعلق بنظرية مثيرة على الرغم من أن هؤلاء الباحثين يدركون أنه ليس هناك دليل كاف لتأييدها. ولو تذرعوا بالصبر والعمل فترة أطول فى تقصى الحقائق... لابتعدوا عن الوقوع فى الخطأ. إن الباحث الدقيق لا يعلن عما فى ذهنه إلا بعد اختبار جميع الفروض والوصول إلى الدليل الحاسم.

٢- تجاهل الأدلة المضادة: قد يتحمس الباحث مرة أخرى للفرض الذى يضعه... مما يجعله يتجاهل الأدلة المضادة الهامة... ويمكن أن يكون لهذا التجاهل ما يبرره فى المناقشات السياسية... حيث يكون الهدف هو كسب جولة المناقشة والحوار بأى ثمن... ولكن الدراسات العلمية لا تهدف إلى كسب المناظرة والحوار، وإنما تهدف إلى اكتشاف الحقيقة... على ذلك فإن الدليل المضاد يجب أن يعطى نفس وزن الدليل المؤيد... حتى ولو كان معنى ذلك تغيير الفرض المبدئى..

٣- عادة التفكير داخل حدود ثابتة: لا شيء يؤدى بالبحث المثمر إلى الموت أكثر من العادات التى نكونها خلال السنوات تفكيرنا داخل حدود ثابتة. ويبدو أنه كلما تقدم بنا العمر، ازداد تعلقنا بنفس أساليب الخبرة والتفكير التى تعودنا عليها.. وعلى ذلك ففى كل مرة نفكر فيها فى مشكلة معينة، فإننا نميل إلى اتباع نفس السبيل... ويذهب بعض علماء النفس إلى القول بأنه حتى فى الأشياء البسيطة كجمع عمود من الأرقام، فإننا نميل إلى تكرار نفس الخطأ الذى وقعنا فيه من قبل.. وعلى الباحث إذًا أن يبذل كل جهده حتى يتجنب نماذج التفكير الجامدة وأن يشجع فى ذاته تكوين عادات الأصالة Originality فى التفكير... وبالتالى فإن المواقف الجديدة والنتائج غير المتوقعة والتى تنتج من دراسة معينة ستجدها مستعدة للملائمة معها والاعتراف بغير المنظور أو المتوقع.

٤- عدم استطاعة الباحث الحصول على جميع الحقائق المتعلقة بالمشكلة: هناك بعض الصعوبات التى قد يواجهها الباحث فى الحصول على الحقائق اللازمة لتكوين الدليل الكافى، والذى يؤدى بدوره إلى النتائج السليمة... وكثيرًا ما يرتكب الباحثون أخطاء جسيمة عندما يبنون نتائجهم على الدليل المبتور الناقص...

٥- عدم الدقة فى الملاحظة: كثيرًا ما يضطر الباحث إلى إعادة التجارب التى قام بها للتأكد من أن جميع العناصر قد لاحظها ملاحظة صحيحة... وكثيرًا ما يهمل الباحث بعض العوامل... ويرى من هذه العوامل فقط ما يحب هو أن يراه..

٦- الخطأ فى مطابقة أو توفيق علاقات السبب والأثر: وهذا خطر موجود دائمًا.. وعلى الباحث أن يكون حذرًا فى صياغته لهذه العلاقة، ومن الأمثلة التى يتندر بها فى هذا المجال... أن أحد الرواة أعلن أنه خلال السنوات التى كان النادى العربى (فى الكويت) يكسب فيها بطولة كرة القدم، كان هناك رخاء ورخص فى الأسعار بالكويت، وعلى ذلك فحتى تصل الكويت إلى الرخاء وتقضى على الغلاء، فينبغى أن تتخذ جميع السبل حتى يكسب النادى العربى مباريات كرة القدم بصفة مستمرة... ولسوء الحظ، فإن هناك بالفعل نتائج خطيرة فى البحث ترتَّبتْ على مواقف ليست بعيدة عن هذا المثال الذى نذكره للمزاح..

٧- الافتقار إلى الموضوعية: يجب أن تكون الحقيقة والحكمة ضالة الباحث العلمى... والدراسات التى يقوم بها بعض الباحثين لتأييد معتقدات وأيديولوجيات معينة يكون الباحث ملتزمًا بها من قبل، هذه الدراسات تخدم أغراضًا مشكوكًا فيها من غير شك... لقد كان علماء البيولوجيا فى الاتحاد

السوفيتى مثلاً (خصوصًا علماء الوراثة) يؤكدون على نظرية إليسنكو Lysenko المتعلقة بتوارث الصفات المكتسبة وذلك لإرضاء النظام الحاكم، وطبقًا لهذه النظرية فإن طبيعة أى كائن حى يمكن أن تتغير بوسائل صناعية، وأن هذا التغيير يمكن أن ينتقل إلى الأبناء والأجيال المستقبلية... وهذا الاعتقاد يتفق مع العقيدة الماركسية التى تنادى بأن الطبيعة الإنسانية تتقرر وتتحدد عن طريق المحيط الاجتماعى Social Environment وعلى الرغم من أن هناك علماء فى الوراثة لا يؤمنون بهذه النظرية - سواء فى الاتحاد السوفيتى أو فى البلاد الأخرى... فإن الالتزام بنظرية اليسنكو سيعوق البحث الحر من غير شك.

على الباحث إذن مشكلته بمنتهى الموضوعية وبلا تحيز حتى تكوِّن نتائج صحيحة على قدر المستطاع.

وأخيرًا هل الطريقة العلمية أو المنهج العلمى هو سبيلنا الوحيد للوصول إلى الحقيقة؟

لا أحد يستطيع أن يزعم بأن الطريقة العلمية هى وحدها السبيل إلى الوصول إلى الحقيقة. فهى أداة ملائمة فقط للكشف عن الحقيقة الموضوعية، وعلى ذلك فإن البحث العلمى يمكن أن يدلنا على ما يعتقد الناس - أو كيفية هذا الاعتقاد - بالنسبة لقضايا اجتماعية معينة.. ولكنه لا يدلنا على ما يجب أن نؤمن به ونعتقده ولا يدلنا على الكيفية التى يجب أن يكون عليها سلوكنا. وكل ما يمكن أن نأمل فيه عندما نمد الطريقة العلمية إلى المجالات غير العلمية.........Non-Scintific Fields فإنما نقوم بتثبيت وترسيخ الحقيقة كلما أمكن عرضها بموضوعية وبالتالى يمكننا توسيع الاتفاق العقلانى بين الدارسين وجعل قيمنا أكثر أصالة. فضلاً عن إرساء دعائمها بشكل أكبر فى المجالات التى نستطيع تحقيقها وتثبيتها.

إن الحقيقة التى يتم اكتشافها بالبحث لا تكون بالضرورة الحقيقة كلها أو الحقيقة النهائية عن الحياة وعن الكون.. وكلما اكتشفنا حقائق جديدة وقمنا بصياغة نتائج جديدة.. فإن معارفنا تزيد وتراجع بصفة دائمة.

وأخيرًا، ينبغى أن نؤكد على أن البحث أصبح مفضلاً عن غيره من الطرق التى تزيد من معارفنا ذلك لأنه قد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن البحث يؤدى بنا إلى نتائج أفضل والى نتائج أكثر دقة من غيره من الطرق... ولكننا لا نستطيع أن نقول بأن البحث سيحل جميع المشاكل الإنسانية.

تاريخ التفكير والبحث العلمى

لقد تطورت أسس التفكير العلمى ببطء شديد، واستغرق هذا التطور عدة قرون فى التاريخ الإنسانى، ولعلنا نستطيع أن نرد هذا التفكير والبحث العلمى – بشكله العملى والتجريدى – إلى مصر القديمة وإلى الإغريق، ثم خطا العرب بالبحث العلمى خطوة واسعة إلى الأمام حيث استخدموا المنهج التجريبى فى البحث، واتخذوا الملاحظة والتجربة أساسًا للتقدم العلمى، وعن العرب نقلت أوروبا – فى بداية عصر النهضة – التراث العربى العلمى والفكرى، ولكن التفكير بالبحث العلمى قد تأكدت دعائمه فيما يسمى بالعصر الحديث ابتداء من القرن السابع عشر حتى وقتنا هذا، وكان ذلك على يد (فرنسيس بيكون، وجون ستيورات ميل، وكلود برنارد) وغيرهم.

من العسير إذًا أن نتتبع بالتفصيل تاريخ البحث العلمى فى هذه الصفحات القليلة وغاية ما نستطيعه هو أن نذكر بعض معالم التطور فى مجال البحث العلمى ونشاطاته، كما ينبغى أن نشير إلى أنه ليس لدينا – على وجه اليقين – فكرة واضحة تمامًا عن النقطة التى يمكن أن نقول بأنها بداية البحث العلمى فى التاريخ الإنسانى، فبينما يُعتبر كثير مما تعلمه الإنسان من الثقافات البدائية نتيجة

للمصادفة ملحوظة، فقد قام هيرودوت المؤرخ الشهير بتسجيل الأبحاث التى كانت يجريها ملوك مصر عن السكان والثروة وحاجة الأقاليم من الغلال وغير ذلك.

أما بالنسبة لليونان القدماء، فقد أحرزوا تقدمًا عظيمًا فى مبادئ البحث واعتمدوا اعتمادًا كبيرًا على التأمل والنظر العقلى المجرد، ولعل هذا الاتجاه فى عدم الاعتماد على التجربة وتقدير العمل اليدوى، هو الذى دعا برتراند راسل إلى القول (بأن فلسفة اليونان كانت تعبر عن روح العصر وطبيعة المجتمع الذى يعيشون فيه)[1]. فالمجتمع اليونانى فى مرحلة انهياره كان مجتمعًا عبوديًا طبقيًا ينظر إلى كل عمل يدوى على أنه عمل غير دمث. لذلك فكل دراسة تحتاج إلى التجربة كانت فى نظرهم سوقية حوشية إلى حد ما. ولعل تمييز أفلاطون بين الفلاسفة والعمال ووضعه الفلاسفة - فى جمهوريته - فى مكان قيادى يعكس هذا التفكير.

أما من ناحية مناهج البحث وأسلوب التفكير فقد وضع (أرسطو) قواعد المنهج القياسى أو الاستدلال... ولكن (أرسطو) فطن أيضًا للاستقراء ودعا إلى الاستعانة بالملاحظة، ولكنه لم يفصل خطوات المنهج الاستقرائى وكان الطابع التأملى غالبًا على تفكيره[2].

لقد اعتمد اليونان القدماء فى بنائهم العلمى جزئيًا على الاكتشافات السابقة التى سجلها المصريون والبابليون، ومن ثم نقب اليونان عن المعلومات التى توصل إليها هؤلاء فى الفلك والطب والفيزياء والجغرافيا والهندسة، كما اهتم بعضهم بدراسة الآداب والأخلاق.

---

(١) (برتراندراسل)، النظرة العلمية، ترجمة (عثمان نوية)، القاهرة، (١٩٥٦)، ص(٦).
(2)Le Blond J. Logique et Methode Aristotle, Paris, 1939, 120 – 146.

ويمكن أن نشير إلى بعض الأمثلة التى تدل على نطاق وأهمية إسهامهم الأساسى فى المعرفة الإنسانية، فمن بين الأسماء القديمة التى نعرفها (فيثاغورس(*) Pythagoras) فى الجغرافية الطبيعية بالإضافة إلى الرياضيات(**) والفلسفة (وكان ذلك فى حوالى ٦٠٠ق.م). أما ديمقريطيس Democritys (فى حوالى ٤٠٠ ق.م)، فقد اقترح نظرية (التنافر الذرى Atomestic theory) لشرح تركيب المادة، رغم أنه لم يكن لديه أدوات تساعده فى بحث هذه المشكلة تجريبيًا.

أما (هيبوقراط) فغالبًا ما يسمى (أبو الطب) وكان تلميذًا (للديمقراطيس) الذى طور المعرفة والممارسة الطبية، وبإصراره على التشخيص الدقيق ودراسة الجسم ووظائفه.

أما (أرسطو) (فى القرن الرابع قبل الميلاد) فعلى الرغم من صيته وشهرته كفيلسوف ورجل منطق، فإنه قد أضاف كثيرًا إلى معارفنا فى مجالات عديدة، بما فى ذلك تشريح الحيوان... أما (ثيوفراستوس) Thiophrastus وهو أحد أتباع أرسطو، فقد أسس طريقة منهجية لدراسة النبات...

ينظر:

(*) لما كان رجال البحث الأوائل يعتبرون اكتشافاتهم أسرارًا لا يطلع عليها أحد فيقال بأن أتباع فيثاغورس قد قتلوا واحدًا من زملائهم، لأنه أفشى بعض أسرار مبادئ الهندسة إلى الجمهور العام فى خطبة ألقاها عن الهندسة، وهذا الاتجاه بعيد كل البعد عن اتجاهات الباحثين المعاصرين الذين يعتبرون أن اكتشافاتهم إسهام فى المعرفة الإنسانية، وليست ملكية خاصة.
المصدر: Hillway, T. Op.Cit, PP.14 – 15.

(**) الصورة العليا للرياضيات اليونانية نراها فى كتاب (أصول الهندسة) لإقليدس فهو كتاب تضمن عرضًا منظمًا للقضايا الرئيسية فى الهندسة العددية الأولية، ولم تتطور الهندسة اليونانية بعد هذا الكتاب تطورًا يستحق الذكر حتى العصر الحديث حين جاء (ديكارت) بهندسته التحليلية ولهذا يجب أن نعبر هذه الفترة الطويلة بين (أقليدس) (٢٧٥ ق.م) فى القرن الثالث قبل الميلاد حتى (ديكارت) فى القرن السابع عشر بعد الميلاد لنصل إلى جديد فى علم الهندسة.
المصدر: عبد الرحمن بدوى، المصدر السابق، ص (٢٩ – ٣٠).

واشتغل (أرشميدس Archimdes) (فى القرن الثالث ق.م) بالفيزياء والكيمياء... وكتابه الإستاتيكا ذائع الصيت، ولكنه يبدأ من المسلمات التى يفترض أنها لا تحتاج إلى برهان، وأنها ليست نتيجة التجربة، وكذلك كتابه عن الأجسام الطافية يسير فيه على المنهج القياسى أيضًا[١].

كما طور (سترابو Strabo) (الذى عاش فى روما حوالى عام ٢٠ ق.م) الجغرافيا كعلم... أما (بطليموس) Ptolomy (القرن الثانى بعد الميلاد) فقد كان مصريًا واستخدم الرياضيات اليونانية والمصرية، ليضع أول نظرية ملائمة عن حركة الكواكب... لقد شرح (بطليموس) ذلك على أساس رياضى.. ورفض أن يعزو حركات الأجسام الثقيلة لأسباب تتصل بالقوى الخارقة للطبيعة Supernatural وقد كانت هذه هى الفكرة السائدة فى عصره، وكانت خطوته بذلك خطوة هامة فى طريق البحث العلمي[٢].

أما بالنسبة للتفكير العلمى عند الرومان... فقد كانوا ورثة المعرفة اليونانية وكان إسهامهم يتركز فى الممارسة العملية، أكثر من متابعتهم للمعرفة ذاتها... لقد كان الرومان صناع قوانين ومهندسين أكثر منهم مفكرين متأملين.

وافتقدت أوروبا الغربية - لفترة من الزمن - المعارف وطرق البحث بعد انهيار الإمبراطورية الرومانية، وافول Decline الحضارة اليونانية الرومانية ولكن العرب كانوا هم حملة مشعل العلم والبحث العلمى إلى أوروبا بعد ذلك.

---

(١) عبد الباسط محمد حسن، المصدر السابق، ص (٦٠).
(2)Hillway, T. Op.Cit, PP. 14 – 15.

ثانيًا: تاريخ البحث فى العصور الوسيطة

ونحن نقصد بالعصور الوسيطة الفترة التى ازدهرت فيها الحضارة العربية الإسلامية وفترة عصر النهضة فى أوروبا، وذلك كله منذ حوالى القرن الثامن حتى القرن السادس عشر الميلادى.

لقد كان أمرًا طبيعيًا أن يفيد العرب من الحضارات والمناهج والمعارف السابقة لهم... والحضارة الإنسانية ليست إلا عقدًا متصل الحلقات... ومما لا شك فيه أن الحضارة العربية هى حلقة الاتصال بين حضارة ما قبلهم من اليونان والهنود وحضارة أوروبا فى عصر النهضة... ولم يكن العرب ناقلين لحضارة اليونان فحسب ولكنهم أضافوا إليها علومًا وفنونًا كثيرة تميزت بالأصالة العلمية.

وما يهمنا نحن بالدرجة الأولى هو طريقة أو منهج البحث، فقد تجاوز الفكر العربى الحدود الصورية لمنطق (أرسطو...) أى أن العرب عارضوا المنهج القياسى وخرجوا على حدوده إلى اعتبار الملاحظة والتجربة مصدرًا للبحث والتقدم العلمى... فالأقيسة المنطقية – كما يقول ابن خلدون – أحكام ذهنية، والموجودات الخارجة متشخصة فالتطابق بينهما غير يقينى، لأن المادة قد تحول دونه، اللهم إلا ما يشهد له الحس من ذلك فدليله شهوده لا تلك البراهين المنطقية[١].

لقد اتبع العرب فى إنتاجهم العلمى أساليب مبتكرة فى البحث، فاعتمدوا على الاستقراء والملاحظة والتدريب العلمى والاستعانة وأدوات القياس للوصول إلى النتائج العلمية... ونبغ من هؤلاء كثيرون منهم (الحسن بن الهيثم،

(١) عبد الباسط محمد حسن، المصدر السابق، ص٦٦ – ٦٧.

وجابر بن حيان، ومحمد بن موسى الخوارزمى، والبيرونى، وأبو بكر الرازى، وابن سينا) وغيرهم...

وقد قال الدكتور سارتون Sarton أحد مشاهير الأمريكيين فى تاريخ العلوم(لقد كان العرب أعظم معلمين فى العالم فى القرون الثلاثة: الثامن والحادى عشر والثانى عشر الميلادى... ولو لم تنقل إلينا كنوز الحكمة اليونانية لتوقف سير المدنية بضعة قرون... فوجود ابن الهيثم وجابر بن حيان..... وأمثالهما كان لازمًا وممهدًا لظهور (غاليليو ونيوتن)..... ولو لم يظهر ابن الهيثم لاضطر (نيوتن) أن يبدأ من حيث بدأ (ابن الهيثم ولو لم يظهر جابر بن حيان لبدأ غاليليو من حيث بدأ (جابر)......أى أنه لولا جهود العرب لبدأت النهضة الأوربية (فى القرن الرابع عشر) من النقطة التى بدأ منها العرب نهضتهم العلمية فى القرن الثامن للميلاد))(*).

ويمكن أن نشير إشارة عابرة إلى الرياضيات عند العرب....فلعل محمد بن موسى الخوارزمى هو أهم شخصية جديرة بالذكر....إذ كتب كتابًا بعنوان(الجبر والمقابلة)اعتمد فيه على جبر برهما جوبتاBrahma Gupta الهندى كما اعتمد فى بعض البراهين على اليونانيين فى طريقتهم الخاصة بالتمثيل بالأعداد

(*) هناك عوامل عديدة تضافرت على دفع النهضة العلمية العربية للإمام أهمها:
١ – حرية الرأى والبحث العلمى، إذ تمتع العرب بحرية رأى ليس لها نظير. فلم يكونوا يخشون السلطان أو الحكام. تكلموا وكتبوا فى التطور والجاذبية والفلك والتشريح ولم يسمع أحد باضطهاد علمائهم أو قتلهم أو سجنهم، وهى حرية لم تمارسها أوروبا إلا بعد ذلك بقرون.
٢ – تقدير الحكام والولاة للعلم والعلماء فقد كانوا يفاخرون بمن يحضر مجلسهم.
٣ – استعلاء العلماء العرب عن الترف والمال والسلطان وقوله الحسن بن الهيثم الشهيرة(يكفينى قوت يوم).
٤ – الاستعداد الذهنى والصبر والحث على العمل والمناخ العلمى المناسب....فقد أنتج (ابن سينا) مائتين وستة وسبعين كتابًا، و(لابن الهيثم) نحو مائتى كتاب. فكيف يمكن أن يحدث ذلك إذا لم يتوفر لهم المناخ العلمى الملائم ؟

بواسطة الخطوط. وعلى أساس هذا الكتاب قامت دراسات الجبر فى العصور الوسطى الإسلامية والمسيحية، وبواسطته دخل النظام العشرى بلاد أوروبا، ومن هنا يعد هذا الكتاب ذا أهمية عظمى[1].

كما بدأت دراسة الكيمياء عند العرب، وعن العرب انتقلت المعارف الكيميائية إلى أوروبا فى العصور الوسطى باسم الكيمياء[*] Alchemy ولعل من بين الاهتمامات العديدة فى هذا المجال ما يشتهر عنهم باهتمامهم بتحقيق غرض عسير التحقيق، وهو تحويل المعادن إلى ذهب.

وخلاصة هذا كله أن العرب أسهموا بإنتاجهم العلمى الأصلى وأسهموا باصطناع منهج الاستقراء واتخذوا الملاحظة والتجربة أساس البحث العلمى وأنهم أفادوا من حضارة من سبقهم كاليونانيين والهنود..... وأنهم نقلوا هذه الحضارة جميعًا إلى أوروبا فى بداية عصر النهضة.

ومعنى ذلك أن اطلاع الأوروبيين فى بداية عصر النهضة على التراث العربى هو نقطة الانطلاق فى الحضارة الأوربية التى ازدهرت بعد ذلك...وفى مقدمة من أرسى قواعد التفكير والبحث العلمى فى أوروبا روجر بيكون (١٢١٤

(١) عبد الرحمن بدوى، المرجع السابق، ص (٤٠-٤١). حيث يذكر أن الحساب قد تطور تطورًا عظيمًا لدى الهنود خصوصًا فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر بعد الميلاد على يد Arya Bhata أريا بهاتا، وبرهما جوبتا Brahma Gupta وبهسكارا Bhaskara وعن الهنود أخذ العرب فقد ذكر صاعد الأندلسى فى طبقات الأمم، عند كلامه عما وصل إلى العرب من علوم الهند ومما وصل إلينا من علومهم فى العدد حساب (الغبار) الذى بسطه (أبوجعفر محمد بن موسى الخوارزمى). وهو أوجز حساب وأهمه، وأقربه تناولاً وأسهله مأخذًا.. وأبدعه تركيبًا، يشهد للسند بذكاء الخواطر وحسن التوليد وبراعة الاختراع) (طبع مصر ص٢١) ويظهر أن العرب قد عرفوا أعمال (أريابهاتا)، وبرهما (جويتا)، كما يظهر خصوصًا من مؤلفات الخوارزمى).

(*) يرد بعض الباحثين كلمة (الكيمياء) إلى أصل صينى.

-١٢٩٤م)وليونارد دى فينشي(١٤٥٢-١٥١٥م)وغيرهما ممن طالبوا باستخدام الملاحظة والتجريب وأدوات القياس للوصول إلى الحقائق وعارضوا منهج أرسطو فى القياس المنطقى.

ولا بد لنا من أن نشير إلى أنه رغم مطالبة هؤلاء المفكرين بتبنى الطريقة العلمية إلا أنهم لم يستخدموا فعلا هذه الطريقة إلا فى حدود ضيقة. كما ينبغى أيضًا أن نشير إلى أنه رغم التحرر التدريجى من سلطان الكنيسة ورجال الدين إلا أن هذه السلطة كانت ما تزال لها فعاليتها. فالعالم (كوبر نيكوس Copernicus) فى أواخر القرن السادس عشر – قد عانى من الاضطهاد والتعذيب على يد السلطات الدينية، واضطر إلى إنكار نظرياته علنًا بعد أن استبدل شرحه لحركة النجوم على أساس مركزية الشمس Helioentric بشرح آخر هو حركة النجوم وارتباطها بمركزية الأرض Geocentric.

ثالثًا: تاريخ البحث فى العصر الحديث

ونحن نقصد بالعصر الحديث الفترة التى تبدأ من القرن السابع عشر وحتى وقتنا المعاصر... وفى هذه الفترة اكتملت دعائم التفكير العلمى فى أوروبا – أو كادت – وبدأت هذه الخطوات على يد الكثيرين وأهمهم (فرنسيس بيكون) وجون ستيوارت ميل، وكلود برنارد) وغيرهم..

ولعل مسيرة البحث العلمى الكبرى – خصوصًا فى العلوم الطبيعية – يمكن أن تعود إلى التجارب التى أجراها (جاليليو) فى الفيزياء Galileo's Experimental وذلك فى أوائل القرن السابع عشر. لقد كان هذا القرن قرنًا رائعًا... وتوج هذا العصر باختراع اللوغاريتم Logarithms على يد العالم (نابير) (عام ١٦١٤) وبحوث هارفى Harvey على الدورة الدموية (وإن كان ابن النفيس العربى قد سبقه إلى ذلك).. وكذلك استخدام الرموز العشرية على يد

(بريجز Briggs) (عام ١٦١٧) ثم نشر نظريات فرانسيس بيكون فى مؤلفه (الإدارة الجديدة للعلوم) Novum Organum Scintiarum (عام ١٦٢٠) ليفصل فيه قواعد المنهج التجريبى وخطواته، ثم ظهور (بويل Boyle) كأب الكيمياء الحديثة وأفكار (نيوتن Newton) الرياضية عن القوانين الجاذبية (عام ١٦٧٩) وغيرهم.

وإذا كنا سنعود إلى ذكر (جون ستيورات ميل) فى دراستنا للمنهج التجريبى فى البحث حيث وضع الرجل شروط التجربة والقواعد التى يستهدى بها الباحث للتحقق من خطأ الفرض العلمى أو صوابه... فمن الملائم أن نتناول بعض فكر فرانسيس بيكون بالنسبة لملاحظاته وإرشاداته عن المنهج التجريبى وخطواته.

فقد كان فرانسيس بيكون يهدف إلى اختراع طريقة لا لتحل مشاكل علمية معينة فحسب، ولكن بيكون كان يهدف أيضًا إلى ملائمة النتائج العملية الاجتماعية... فجوهر العمل الذى قام به بيكون لم يكن علمًا بقدر ما كان فى مجال العلاقات الاجتماعية للعلم[١].. وقد أشار بيكون بضرورة تخليص العلم من شوائبه الدينية، وضرورة إخضاعه بكلياته وجزئياته للملاحظة العلمية، وبمعنى آخر يجب أن يقوم العلم على أساس وضعى بعيدٍ كل البعد عن كل تأثير دينى أو ميتافيزيقي[٢].

كما قام بيكون بتصنيف الأخطاء الشائعة التى تعوق البحث العلمى فيما يلى:

١- أخطاء تعود إلى ضعف العقل الإنسانى، الذى يتوهم وجود أشياء ليس لها فى الواقع وجود.... ولكن الإنسان يتوهم وجودها لهوى فى نفسه، أو لأنه يصدر فى تفكيره عن القوالب المصبوبة، التى ينشئه المجتمع عليها.

---

(1) - Good, Garten V.a.d, Scates. Douglas E., Op.Cit, P.54

(٢) محمد طلعت عيسى، البحث الاجتماعى مبادئه ومناهجه، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٣، ص٢٧-٢٨.

٢- أخطاء تعود إلى اللغة التى يتعامل بها الفرد مع أقرانه، وعجزها عن التعبير الدقيق عن المعنى المقصود.

٣- أخطاء تعود إلى اعتماد الفرد على أهل الثقة، انطلاقًا من الوهم الشائع بأن المعارف الأساسية قد تم اكتشافها من قبل، وما على الإنسان إلا أن يرجع إلى مصادر الثقة القدماء ليتعلم منهم ما لم يكن يعلم...

أما بالنسبة لخطوات المنهج التجريبي[1]، فقد أوضح بيكون أن على الباحث أن يجمع الحقائق التى تعتبر أساس الاستقرائى ومادته... كما بين بيكون أن هناك مرحلتين للبحث أولاهما مرحلة التجريب والثانية مرحلة اللوحات أو تسجيل التجربة.

وتشمل مرحلة التجريب بعض الجوانب وأهمها:

أ - تنويع التجربة: أى أن ينوع الباحث فى المواد التى تنتج عنها ظاهرة معينة، أو أن ينوع الظروف التى تمر بها التجربة لاكتشاف خواص لطبائع الأشياء.

ب- إطالة التجربة: وذلك أن يستمر الباحث فى جعل المؤثر ينتج أثره فى الشيء المتأثر، وذلك حتى يعلم، هل يغير فى طبيعة المتأثر أو أن ذلك ينتج ظواهر جديدة.

ج - نقل التجربة: أى أن يحاول الباحث نقل ما طبقه من إرشادات فى تجربة معينة، على تجربة أخرى أو فرع آخر من العلوم.

---

(٣) المرجعين التاليين:
- عبد الرحمن بدوى، مناهج البحث العلمى، ص (١٥٧ - ١٦١).
- عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعى، ص (٧١ - ٧٢).

أما بالنسبة لمرحلة اللوحات أو تسجيل التجربة: فقد قصد (بيكون) باللوحات لوحات الحضور والغياب وتفاوت الدرجات... ففى لوحات الحضور يسجل الباحث كل الظروف التى تبدو فيها الظاهرة.... وقد درس (بيكون) ظاهرة الحرارة وسجل فى لوحة الحضور (٢٧) مصدرًا لها (كأشعة الشمس والصواعق والاحتكاك... إلخ) أما اللوحة الثانية فيسجل فيها الباحث كل الظروف التى تختلف فيها الظاهرة لتخلف ظرف أو سبب من الأسباب، وقد وضع (بيكون) أمام كل واحدة من السبع والعشرين حالة المثبتة لوجود الحرارة أحوالاً لا حرارة فيها (كالقمر والأجرام السماوية... إلخ).

أما اللوحة الثالثة، فيسجل عليها تنوع الظاهرة والأحوال التى تحدث فيها على درجات مختلفة (وقد بين بيكون فى لوحته تلك ٤١ مثالاً لتغيير الحرارة تبعًا لتغير الظروف).

والخطوة التالية التى يراها بيكون للبحث، هى مقارنة ما تم تسجيله فى اللوحات الثلاث لاستخلاص الخصائص الذاتية للظاهرة موضع الدراسة.. وكل صفة لا يظهر أثرها فى اللوحات، ليست من الخصائص الذاتية. والاستقراء على هذه الصورة هو عملية عزل الصفات غير الذاتية، حتى تبقى الصفات الذاتية.

ثم يقوم (بيكون) من التحقق من النتائج لإثبات مدى صحتها أو خطئها، فالنتائج الأولى هى مجرد فروض علمية، لابد من اختبارها حتى يتأكد الباحث من صحتها لتصبح قاعدة أو قانونًا.

وباختصار فقد وضع بيكون مجرد مبادئ، وملاحظات اهتدى بها من جاء بعده من الباحثين مثل (جون ستيوارت ميل، وكلود برنارد) اللذين نضج على أيديهما المنهج التجريبى وتثبتت دعائمه.

وفى متابعتنا لمسيرة البحث العلمى منذ القرن السابع عشر، يمكن أن نقول بأن العلوم الجيولوجية والبيولوجية قد ازدهرت كميادين جديدة للدراسة والبحث، والعمل الذى قام به رجال مثل (ليل Lyll وداروين Darwin) فى هذه المجالات قد غير من الصورة التى لدينا عن العالم الطبيعي. ولقد بدأت دراسة علم الآثار (مبتدئة باكتشاف الحفريات على يد شليمان Schliemann علم النفس (كعلم نام عن علم الفراسة Phsiognomy) وعلم دراسة شكل الجمجمة – كدليل على الشخصية والملكات العقلية Phrenology فى خلال القرن التاسع عشر. وكانت التطورات الخاصة باستخدام الكيمياء الحيوية والبكتريولوجيا فى دراسة المشاكل الطبية واستخدام أفكار جديدة فى الفيزياء للوصول إلى تحطيم الذرة... هذه كلها قد تمت إلى حد كبير خلال القرن العشرين.

وفى نفس الوقت كان قد بدأ البحث فى مجالات جديدة نسبيًا كالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والتعليم وغيرها، وذلك باستخدام الطريقة العلمية الاستخدام الأمثل كأداة للبحث فى مختلف المجالات. إن النمو الملحوظ فى التكنولوجيا وفى جميع عناصر الحضارة المعاصرة يمكن أن يُعزى إلى حد كبير إلى استخدامنا للبحث العلمى.. وحتى نتائج البحث العلمى فيكفى أن نمعن النظر فيما حولنا.

المبحث الرابع

المصادر (الأصول)

جمع المعلومات ونقلها من هذه المصادر والمراجع

الأصل لغةً أساس الشيء[1]، وهو اصطلاحًا يعنى الكتاب الذى يرجع إليه المؤلف والمصدر الذى يعتمده كثيرًا فى تأليفه، من مثل ما يظهر فى قول الصولى: (قد صرت من كتاب الخلفاء وهو كتاب أوراق إلى ذكر الشعراء الذين أول أسمائهم ألف، فذكرت منهم جماعة، ثم رأيت بعض الأجلاء يحب أن أقدم له ذكر أحمد بن يوسف الكاتب، فآثرت مراده واتبعت محبته، وأنا أذكر من ذلك ما سهل على طلبه وقرب منى وجوده وتارك فى أخبار كل واحد وأشعاره بياضا لما خرجه السماع ومنتجعه من الأصول أن شاء الله)[2] ويشبهه فى استعمال مصطلح الأصول بهذا المعنى أبو الفرج الأصفهانى فى قوله متحدثًا عن عمرو ابن بانة: (.... وكتابه فى الأغانى أصل من الأصول)[3].

---

(١) مقاييس اللغة (أصل).

(٢) أخبار الشعراء، (١٤٣).

(٣) الأغانى، (١٥/ ٢٦٩)، واستعمل مصطلح الأصول دالاً على المصادر كثير من المؤلفين مما يدل على أنه كان المصطلح الشائع عندهم، ينظر على سبيل المثال: طبقات النحويين واللغويين ٢. نشوان المحاضرة (٣/ ٢٨٩)، الفهرست لابن النديم (٤٨)، البصائر والذخائر (٢/ ١٣)، أخبار أصبهان (١ / ٨٥).

والحديث عن الأصول أو مصادر البحث عند القدامى يتضمن فيما نرى اعتماد المقابلات الشخصية مع الأدباء أنفسهم أو مع من له علاقة بهم وبأدبهم، ويكثر هذا عند المؤلفين الذين خصصوا كتبهم لدراسة أدب معاصريهم، فكثيرًا ما نرى عند الثعالبى تدوينه لأشعار وأخبار سمعها من الأدباء أنفسهم من مثل قوله:(وأنشدنى أبو الفتح البستى لنفسه.....)[(١)]. وفى هذا ما يشير إلى أن المؤلف كان قد توجه إلى هذا الأديب وأخذ عنه ما يريد تدوينه فى كتابه، ويؤيد هذا قوله فى ترجمة (القاضى أبى القاسم علي بن علي الشيرازى): (وكنت اقتبست من نوره واستمليت منه أبياتًا فى نهاية الحسن وأعددتها لهذا الكتاب....) [(٢)]، ويذكر الباخرزى أن بعض الأدباء لم يسمح له بشيء من أشعاره فاضطر إلى تلقطها من أفواه الرواة [(٣)]. مما يدل على أنه كان يتوجه إلى الأدباء للنقل عنهم، ويشبهه فى هذا كثير من المؤلفين الذين اتبعوا هذه الطريقة معتمدين فى هذا نوعًا مهمًا من أنواع المصادر الشفهية [(٤)].

والـذى نلاحظه فى هذا النوع من المصادر الشفهية أن بعض المؤلفين كان ينص عـلى زمـان المقابلة ومكانها، وكأنه يقدم بهذا توكيدًا ودليلاً على حدوث هذه المقابلة، مما يشـير إلى أن القـراء كـانوا يفهمـون المدلول العلمى لهذه الطريقة وما تستوجبه من شروط وتـحديدات. فالعـماد الأصفهانى مثلاً يقول فى ترجمته لأحد الأدباء: (لقيته ببغداد فى سوق الكتـب عـصرًا ينشد لنفسه شعرًا من قصيدة فى مدح (علي بن طراد الزيني)....فاستنشدته فأنشدني.....) [(٥)]،

(١) من غاب عنه المطرب (٢٥٣).

(٢) تتمة اليتيمة (٢ / ٧٦).

(٣) دمية القصر، (١ / ٣٥٩ – ٣٦٠).

(٤) جذوة المقتبس (٣٢) وشاح الدمية (٥٩ ب)، ولا يخلو كتاب ألف فى أدب المعاصرين من الإشارة إلى اعتماده هذه الطريقة.

(٥) خريدة القصر (عراق) الجزء الرابع ١ / ٢٤.

ويقـول فى ترجمة أديـب آخـر: (اتفـق اجتـماعى معـه فى التوكيل بالديوان العزيز ومما أنشـدته لنفسـه فى عشرة محرم سنة أحدى وستين وخمسمائة فى القمرى.....)[1].

ولم تقتصر المقابلة الشخصية عند المؤلفين على مقابلة الأدباء أنفسهم فكثيرًا ما تكون عوامل هذه المقابلة غير مواتية لبعد الشقة المكانية بين المؤلف والأديب، ومن ثم يعتمد المؤلف على العلماء والأدباء المعروفين برواية الأشعار وتتبعها يسائلهم وينقل عنهم ما يريد ليكون ما ينقله فيما بعد مصدرًا من مصادر كتابة الذى يقوم بتأليفه، والمؤلفون القدامى فى اعتمادهم هذه المساءلات والمقابلات يبلغون درجة كبيرة من الدقة العلمية فى تتبع المصادر، فقد يتوجه المؤلف إلى الراوية أو الأديب بعد عودته من سفر ليسأله عما استفاده من أشعار وأخبار فى ذلك البلد الذى زاره، كما نرى هذا عند الثعالبى فى ترجمته لأبى القاسم الزاهى إذ يقول:(أنشدنى أبو نصر سهل بن المرزبان فيما أنشده من النتف التى استفادها ببغداد وأتحفنى من اللطائف التى استصحبها، منها للزاهي..)[2]، وشبيه بهذا ما نراه عند العماد الأصفهانى فى قوله أثناء ترجمته لأحد الأدباء:(كنت أسمع من أهل مصر وغيرهم من أهل الشام يصفونه ويطرونه... فإذا استنشدهم أحد شعره قالوا:ما نحفظه... حتى أنشدنى الشريف أحمد بن حيدرة الزيدى الحسينى شعره...)[3].

وقد يقوم المؤلف نفسه بالاستفسار عن أخبار الأدباء ونتاجهم الأدبى فى البلدان التى يسافر إليها ليدون ما يفيده فى كتاب يزمع تأليفه، ونرى مظاهر هذا

(١) خريدة القصر (عراق) (١ / ١٥١).

(٢) يتيمة الدهر، (١/ ٢٤٩).

(٣) خريدة القصر (مصر)، (١/ ٢٣٨).

الصنيع عند كثير من المؤلفين، ومنهم البيهقى إذ يقول فى ترجمته لأحد الأدباء:(وكنت أسأل لما جئت إلى بغداد عنه، فما يعرفه أحد حتى أنشدنى بعض النصارى العطارين ببغداد، وكنت جالسًا على باب دكانه وذكر أنه كان شيخًا إسكافًا ببغداد وواسط...) [١]، وشبيه به ما نراه عند العماد الأصفهانى من قوله: (سألت بدمشق سنة إحدى وسبعين وخمسمائة عند شروعى فى إتمام هذا الكتاب عمن بها من الشعراء وذوى الآداب فذكر لى فتيان منهم (فتيان)... وهو ذو نظم كالعقود...) [٢].

ولم تقتصر المصادر الشفهية عند القدامى على المقابلات الشخصية للأدباء والعلماء، بل كانت المجالس العلمية والأدبية أيضًا مجالاً لهم يستقون منه ما يريدون إثباته فى مؤلفاتهم. ففى كتب الجاحظ مثلاً كثير من المنقولات عن هذه المجالس من مثل قوله:(وأنشد ابن داحة فى مجلس أبى عبيدة قول السيد الحميري...) [٣]، وواضح أنه ينقل هذا النص سماعًا عن مجلس علمى لأبى عبيدة، مما يدل على أنه اعتمد ما دار فى هذا المجلس مصدرًا لبعض ما دونه فى كتابه، ويشبه فى هذا كثير من المؤلفين الذين يعتمدون ما يدور فى المجالس العلمية ليكون مادة من مواد كتبهم التى يقومون بتأليفها [٤]، مما يدل على أن هذه المجالس كانت من المصادر المهمة فى البحث الأدبى عند القدامى، وهى وما سبقها من مصادر شفهية مباشرة أخرى كالمقابلات الشخصية والمساءلات العامة تكون النوع الأول من أنواع المصادر عند القدامى، وهو المصادر الشفهية.

(١) وشاح الدمية، (١٩) ب.
(٢) خريدة القصر (شام)، (١/ ٢٤٧ – ٢٤٨).
(٣) الحيوان، (٣ / ٤٠٢ – ٤٠٣).
(٤) على سبيل المثال: أخبار الشعراء، ٨٤، مجالس العلماء، (٤٨، ١٠٠)، الأغانى، (٦ / ١٦٨)، تاريخ بغداد، (٨/ ٣٠٨ – ٣٠٩).

والنوع الثانى من أنواع المصادر عندهم، هو المصادر المدونة، وقد كانت هذه المصادر على عدة أنواع أيضًا.

كانت الكتب المؤلفة أهم أنواع المصادر المدونة، وهذه الكتب التى اعتمدها المؤلفون القدامى قد تكون كتبًا جامعة ينقل منها المؤلف ما يفيده فى تأليفه، وهذا النوع هو أكثر ما يواجهنا النص عليه فى الكتب القديمة، إذ كثيرًا ما يذكر اسم صاحبه وقد يهمل ذكر أحدهما.

وقد تكون هذه الكتب مجاميع أدبية لا مؤلفات أدبية، ومن هذه المجاميع ما كان يجمع للمتنفذين وأصحاب السلطان من القصائد التى يمدحون بها، وقد كان يقوم بجمعها بعض أفراد حاشيتهم، إذ يذكر (العماد الأصفهانى) فى ترجمة الوزير (عون الدين يحيى بن هبيرة) أن صاحب الخبر قال له يومًا:(قد جمعت من القصائد التى مدحت بها ما يزيد على مائتى ألف بيت وكان كل سنة يحمل منها مجلدًا) [1]، وتلاقينا فى الكتب الأدبية كثير من المنقولات عن هذه المجاميع الخاصة بالرؤساء وأصحاب السلطان، ومنها ما جاء فى كتاب (وشاح الدمية) فى ترجمة الرئيس (أبى المعالى محمد بن علي) إذ يقول: (هذا لم يذكره السمعانى، وإنما وجدت له فى مجموع مدائح (ابن جهير) عميد الدولة الوزير من قصيدة...) [2]، وما جاء فى كتاب الخريدة من قوله فى ترجمة أحد الأدباء:(ونقلت من مجموع قصائد فى مدح جمال الدولة فى الأيام المسترشدية) [3]. واعتماد هذه المجاميع الخاصة بأصحاب السلطان يشير إلى أن المؤلفين القدامى لم يدخروا وسعًا فى البحث عما يفيدهم من مصادر لدراستهم، إذ أنهم لم يقتصروا على ما يجدونه فى

(١) خريدة القصر (عراق) ١ / ٩٨.
(٢) وشاح الدمية ٢٦ ب.
(٣) خريدة القصر (عراق) ٢ / ٢٠٥.

الكتب التى يستطيعون الإطلاع عليها، بل تعدوا ذلك إلى مراجعة ما تضمنه قصور أصحاب السلطان من نصوص، وكأنهم فى هذا يشبهون عمل الدارسين المحدثين حينما يتوجهون إلى دور الوثائق الرسمية للإطلاع على ما يهم بحوثهم فيها.

وهناك نوع آخر من المجاميع الأدبية المجهولة تكثر الإشارة إليه فى الكتب الأدبية دون تسمية له أو لجامعه، من مثل قول السراج الوراق:(وجدت بخط فى مجموع عتيق: حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد...) [١]، وقول العماد الأصفهانى فى ترجمة الوزير أبى عمر الباجى:(قرأت له فى مجموع هذين البيتين) [٢]، وقول الصلاح الصفدى: (رأيت فى بعض المجاميع الأدبية أن السلطان صلاح الدين قال يومًا للقاضى الفاضل....) [٣].

وتمثل دواوين الشعراء نوعًا آخر من المصادر المدونة التى اعتمدها المؤلفون القدامى. ومعروف أن الدواوين من المصادر المهمة فى البحث الأدبى، ولهذا اعتمدها المؤلفون القدامى كثيرًا وحرصوا على تحصيل النسخ الموثقة منها، إذْ أنهم كثيرًا ما كانوا يهتمون بالحصول على الدواوين بخط أصحابها إن كانوا من المعاصرين، والدليل على هذا ما نراه عند الثعالبى فى قوله متحدثًا عن الشيخ أبى المحاسن سعد بن منصور: (وكتب إليَّ جزءًا من شعره بخطه هو حتى الآن عندي...)[٤]. وقوله فى ترجمة الشاعر المأمونى:(رأيت المامونى ببخارى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة...وسمعت منه قطعة ونقلت أكثره من خطه) [٥]، وقول الباخرزى فى ترجمة أبى الجوائز الواسطى: (وكان قد تجشم لي تحرير جزء بخط

(١) مصارع العشاق (٢ / ٩٦).
(٢) خريدة القصر (مغرب) (٢ / ٣٣٧).
(٣) الغيث المنسجم (١ / ٩٤).
(٤) تتمة اليتيمة (١ / ١٤٤).
(٥) يتيمة الدهر، (٤ / ١٧١ –١٧٢).

يده...)[1]. أما إذا كان الشعراء من غير المعاصرين للمؤلف، وكانت نسخ دواوينهم متعددة، فكثيرًا ما كان المؤلف يطلع على أكثر النسخ المتوفرة للديوان ويعتمد القديمة منها ويرجع إليها، ومن أدلة هذا ما نراه عند الآمدى إذ أنه بعد أن يذكر بيتًا لأبى تمام ويبين ما فيه من خطأ ويوضح صوابه يقول: (وكنت أظن أبا تمام على هذا نظم الشعر وأن غلطًا وقع فى نقل البيت حتى رجعت إلى النسخة العتيقة التى لم تقع فى يد الصولى وأضرا به، فوجدت البيت فى غير نسخة مثبتًا على هذا الخطأ) [2] فى ديوانه، ثم يختار من هذا المجموع الذى صنعه ما يصلح لكتابه، كما نرى هذا عند الثعالبى، إذ يقول فى ترجمة الشاعر اللحام: (ولم أر للحام ديوان شعر مجموعًا فعنيت بجمع تفاريقه وضم منتشره ثم اخترت منه ما يصلح لكتابى هذا...)[3]، وعمل الثعالبى هذا شبيه بعمل الدارسين المحدثين عندما يعمدون إلى جمع بعض الدواوين من الكتب القديمة ليكون فيما يجمعونه بعض العوض عن الدواوين المفقودة.

واعتمد المؤلفون القدامى نوعًا آخر من المصادر المكتوبة يتمثل فى القصائد الشعرية المنفردة الخاصة بالشعراء، والإشارات إلى هذا النوع الجديد من المصادر كثيرة فى الكتب القديمة، منها ما نراه فى قول (العماد الاصفهانى): (ونقلت من درج بخط الصالح بن رزيك قصيدة له أعارنيه ابن أخته، مما نظمه سنة خمس وخمسين، أولها...) [4]، وقوله فى موضع آخر: (وأعطانى سديد الدولة ابن الأنبارى درجًا فيه هذه القصيدة فى مدحه بخط الغزى.....)[5].

(١) دمية القصر (١ / ١٤٠ –١٤١).

(٢) الموازنة (١ / ٢٠٥).

(٣) يتيمة الدهر، (٤ / ١٠٢).

(٤) خريدة القصر (مصر) (١/ ١٧٨)، والدرج: هو الورق المستطيل المركب من عدة أوصال (صبح الأعشى، (١/ ١٣٨).

(٥) خريدة القصر (شام)، (١/ ٢٣).

ويتصل بهذا النوع من المصادر ما نصادفه فى الكتب القديمة من إشارات تدل على اعتماد المؤلفين لمسودات الشعراء وكراريسهم التى كانوا يكتبون فيها أشعارهم، ويكاد هذا الأمر يقتصر على نتاج الشعراء المعاصرين، أو قربى العصر بالمؤلف، وهو أمر طبيعى إذ أن توفر مثل هذه المسودات للشعراء القدامى أمر صعب المنال، ومن هنا تصادفنا إشارات عديدة إلى استعمال هذا النوع من المصادر فى الكتب التى عنيت بأدب المعاصرين، كما نرى هذا عند العماد الأصفهانى إذ يقول:(وناولنى القاضى أبو اليسر الكاتب كراسة خط جده أبى المجد من مسودات شعره، كتبها وقد أناف على الثمانين...)[1]. ويقول فى موضع آخر: (ثم وقعت بيدى مسودات من شعر الهيتى بخطه عند وصولى إلى مصر مما قاله بها وبالشام فنقلت منها...) [2]. وتتبع هذه المصادر يمثل – دون شك– درجة كبيرة فى استقصاء عند القدامى، فهم لا يكتفون بما يسمعون من الرواة أو يجدونه فى الكتب الجامعة، وإنما يتتبعون مصادر بحثهم بأشكالٍ كافة حتى فى هذه الأوراق المنفصلة التى يحتفظ بها الأدباء، أو المسودات التى يخلفونها.

(١) نفسه: (٢ / ١١).
(٢) نفسه: (١/ ٢٣٢).

المبحث الخامس

وسائل العلم بالأصول (التعرف على المصادر)

باستعراضنا السابق لأنواع المصادر من تحريرية وشفهية رأينا بعض المؤلفين يعمد إلى مسألة العلماء ورواة الأدب، للحصول على ما يريد من نصوص أدبية تدخل فى موضوع كتاب له يؤلفه. وهذه المساءلات إن قدمت إلى المؤلفين النصوص التى تفيدهم فى دراستهم فإنها من جانب آخر يمكن أن تدل على أن اتباعها كان طريقة من طرق معرفة المصادر والاهتداء إليها، إذ أن المؤلف كان يلجأ إليها لمعرفة شيء من مصادر دراسته ونصوصها، ومن هنا كانت هذه المساءلات طريقة من طرق جمع المعلومات ومعرفة المصادر عند القدامى.

وهذه الطريقة لم تكن الطريقة الوحيدة لمعرفة المصادر ولم يكن اتباعها يسيرًا على المؤلفين جميعًا، وخصوصًا بعد أن كثرت المؤلفات الأدبية وأصبح الإلمام بها ومعرفتها أمرًا عسيرًا أن بقي المؤلفون يحاولون معرفتها عن طريق المساءلة، ومن هنا وجدت طريقة علمية مهمة لمعرفة المصادر والإرشاد إليها عند القدامى، وهى طريقة الفهرسة.

ومعروف أن هذه الطريقة توفر على الباحثين كثيرًا من الجهد الذى يبذلونه، إذ أنها بما تحتويه من معلومات عن الكتب وموضوعاتها ترشد الباحثين إلى مصادر دراستهم وتعرفهم بها. ويبدو أن واضعى الفهارس من المؤلفين القدامى

انطلقوا من هذه الفكرة فى وضعهم لكتب الفهرسة،ودليلنا على هذا ما يقوله ابن النديم فى كتابه:(قد قلنا فى أول هذه المقالة إنا لا نستحسن أن نطبق الشعراء لأنه قد تقدمنا من العلماء والأدباء من فعل ذلك، وإنما غرضنا أن نورد أسماء الشعراء ومقدار حجم شعر كل شاعر منهم، سيما المحدثين، والتفاوت الذى يقع فى أشعارهم ليعرف الذى يريد جمع الكتب والأشعار ذلك ويكون على بصيرة منه...)[١]، وقول طاش كبرى زاده: (واعلم أن تحصيل العلوم لما لم يكن إلا بتصورها اسمًا ورسمًا وموضوعًا ونفعًا وأَحْبَبْنا أن نبين فى هذه الرسالة المذكورة فى كل علم أصلاً وفرعًا ونبين أسماء الكتب المؤلفة فيها وأسماء مؤلفيها ليكون عونًا على تحصيل العلوم وترغيبًا فى طلبها وإرشادًا إلى طرق تحصيلها...)[٢].

وواضح من النصين السابقين أن وضع هذين الفهرسين كان يرمى إلى إرشاد المؤلفين إلى المصادر التى تفيدهم فى موضوع دراستهم، ويؤيد هذا أن هذين الفهرسين وما شابههما من كتب احتوت على معلومات عديدة تسهم فى تأدية الغرض العلمى الذى وضعت من أجله، فابن النديم مثلاً لا يكتفى بذكر اسم الكتاب واسم المؤلف والترجمة لبعض المؤلفين ترجمة قصيرة، بل يذهب أيضًا إلى تحديد حجم الكتاب والورقة وما فيها من أسطر، وقد ذكر هذا بقوله:(قلنا إن شعر فلان عشر ورقات فإنا إنما عنينا بالورقة أن تكون سليمانية ومقدار ما فيها عشرون سطرًا أعني فى صفحة الورقة، فليعمل على ذلك فى جميع ما ذكرته)[٣]. ويذهب طاش كبرى زاده إلى ذكر معلومات مفصلة عن المؤلفين زيادة على المعلومات التى يقدمها عن الكتب، والسبب فى هذا كما

(١) الفهرست ١٨١.
(٢) مفتاح السعادة، ١ / ٧٣.
(٣) الفهرست، ١٨١.

يقول:(أما ذكر المصنفات فللتنبيه على مراتبها وجلالة قدرها والتفاوت بين تلك الكتب، وفى ذلك إرشاد للطالب إلى تحصيلها وتعريف له بها يعتمده مؤلفات مؤلف واحد فقط، وقد وجد هذا النوع منذ القرن الثالث للهجرة إذ عد القدامى ما ذكره الجاحظ فى بداية كتابه الحيوان من أسماء كتبه ضربًا من ضروب الفهرسة[1]. و(لأبى علي القالى) فهرس لكتبه التى ألفها ذكره ابن خير الأشبيلي[2]، كما ذكر ياقوت فهرسًا لكتب الشريف المرتضى[3]، وفهرسًا لكتب أبى العلاء المعري[4]، هذا إلى جانب فهارس من هذا النوع كانت خاصة بالمؤلفين الأجانب، ومنها ما يذكره أبن النديم من وضع حنين بن إسحاق فهرسًا لكتب جالينوس[5]. ومن الواضح أن هذه الفهارس كانت خاصة بالمؤلفين المكثرين، وكانت كثرة كتبهم هى السبب فى وضع فهارس لها حسب موضوعاتها[6]. ولهذه رأينا أن هذا النوع من الفهارس أقرب إلى فهارس الكتب منه إلى فهارس المؤلفين.

والقسم الثانى من أقسام الفهرسة العامة هو فهارس المؤلفين، وهذا القسم يشبه القسم السابق فى الغاية التى وجد من أجلها، وهى إرشاد الباحثين إلى مصادر دراستهم، كما أنه فى الوقت نفسه يفيد دارسى الشخصيات إذ يُذْكَرُ

(١) معجم الأدباء، (٦ / ٧٣).
(٢) فهرسة ابن خير، (٤٣٤).
(٣) معجم الأدباء، (٥ / ١٧٣).
(٤) نفسه (١ / ١٧٩). وهذا فيما يختص بالفهارس الموضوعة فى كتب المؤلفين فى الأدب وهناك فهارس أخرى من هذا النوع خصصت لكتب العلماء الآخرين، منها فهرس كتب الشيخ المفيد (ذكر فى الفهرست للطوسى، ١٨٦) وفهرس كتب علي بن محمد العدوى الشمشاطى (ذكر فى الرجال للنجاشى، ٢٠٢) وفهرس كتب الرازى (الفهرست لابن النديم، ٣٥٧) وفهرس كتب البيرونى (معجم الأدباء، ٦ / ٣١١).
(٥) الفهرست لابن النديم، ٣٤٨.
(٦) نقل ياقوت فى معجم الأدباء الفهرس الكامل لكتب أبى العلاء المعرى، ويتضح منه أن الكتب فيه مرتبة حسب موضوعاتها (ينظر: معجم الأدباء، ١ / ١٧٩ – ١٨٩).

المؤلفون فى هذه الفهارس حسب التسلسل الهجائى لأسمائهم ثم يذكر فى ترجمة كل مؤلف ما له من الكتب.

ويبدو أن الاتجاه إلى وضع هذه الفهارس كان منذ القرن الثالث للهجرة إذ أن أول فهرس من هذا النوع هو كتاب المؤلفين لأحمد بن أبى طاهر الملقب بطيفور[1]، ولعَلِي بن يوسف القفطى فهرس من هذا النوع اسمه أخبار المصنفين وما صنفوه[2].

ولعلنا بعد هذا ندرك أى مدى من المنهجية وصل إليه المؤلفون القدامى بوضعهم لهذه الكتب العديدة فى الفهرسة إذا تذكرنا أن الدارسين المحدثين نصوا على أهمية هذه العملية وربطوا بينها وبين التقدم العلمى فى البحث وغير هذا يقول الأنجلوا: (فلنقل إذن أن تقدم البحث فى التاريخ يتوقف شيء كبير منه على تقدم العمل فى ثبت عام بالوثائق التاريخية وهو عمل لا يزال حتى اليوم موزعًا ناقصًا...)[3].

جمع الأصول (المصادر)

بعد أن يحدد المؤلف مصادر دراسته يقوم بالتفكير فى كيفية جمعها وتهيئتها ليتمكن من مثل ما يفيده من معلومات منها، وقد عرف المؤلفون القدامى هذه الفكرة وكانت – كما يبدو – قاعدة من قواعد البحث والتأليف عندهم. والنصوص التى تدل على هذا كثيرة منها ما ينقل عن المرزبانى من أنه لما صنف

(١) ينظر: الفهرست لابن النديم، (١٦٣).

(٢) معجم الأدباء (٥ / ٤٨٣)، والعلماء الآخرين من غير الأدباء فهارس من هذا النوع منها كتاب الرجال للنجاشى وقد خصصه لذكر علماء الشيعة وما لهم من كتب ويشبهه فى هذا كتاب الفهرست للطوسى،ومعالم العلماء لابن شهر أشوب، وكتاب الرجال لابن داود الحلى،وقد وصلت إلينا هذه الكتب جميعًا.

(٣) النقد التاريخى، (٤٢).

كتابه معجم الشعراء جمع دواوين من ألف شاعر[1]، وما ينقل عن الصاحب بن عباد من أنه لما صنف كتابه فى الوقف والابتداء (كان ذلك فى عنفوان شبابه فأرسل إليه أبو بكر الأنبارى وقال: إنما صنفت كتاب الوقف والابتداء بعد أن نظرت فى سبعين كتابًا يتعلق بهذا العلم، فكيف صنفت هذا الكتاب مع حداثة سنك؟ فقال الصاحب للرسول: قل للشيخ: نظرت فى النيف والسبعين التى نظرت فيها فى كتابك أيضًا...) [2]. ولهذا أصبح عدم توفر المصادر الأساسية للبحث وسيلة لاعتذار المؤلف عما يظهر فى كتابه من زلل ونقص كما نرى هذا عند (عبد الواحد المراكشى) فى قوله: (هذا مع أنى أعتذر إلى مولانا فسح الله فى مدته من تقصير إن وقع بثلاثة أوجه من الأعذار، فأولها: ضعف عبارة المملوك....والوجه الثانى أنه لم يصحبنى من كتب هذا الشأن شيء اعتمد عليه وأجعله مستندًا كما جرت عادة المصنفين....) [3]، وفى قوله هذا إشارة صريحة إلى أن جمع المصادر قبل التأليف كان منهجًا يتبعه المؤلفون.

ولجمع المصادر طرق عديدة استقرت أصولها عند المتأخرين ممن كتبوا فى صنعة التأليف مما يشير إلى أن هذه الأصول مرت بمراحل عديدة من التجارب لدى المؤلفين حتى استقرت بالشكل الذى نراها به فى الكتب المتأخرة.

ويقول ابن جماعة: (ينبغى لطالب العلم أن يعتنى بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه شراء وإلا فإجارة أو عارية لأنها آلة التحصيل.....وإذا أمكن تحصيلها شراء لم يشتغل بنسخها، ولا ينبغى أن يشتغل بدوام النسخ إلا فيما

(١) الإبانة، ٢٣.
(٢) نزهة الألبّاء، ٢٤٠.
(٣) المعجب، ٣.

يتعذر عليه تحصيله لعدم ثمنه أو أجرة استنساخه.....ولا يستعير كتابًا مع إمكان شرائه أو إجارته.....)[1].

وواضح من هذا النص أن جمع المصادر يتم بطرق أربع: الشراء والإجارة والاستعارة والاستنساخ، وتتفاضل هذه الطرق فيما بينها، ففى المرتبة الأولى منها الشراء ثم الإجارة ثم الاستعارة ثم الاستنساخ.

وفى أخبار المؤلفين وما احتفظت به المصادر القديمة مما يتعلق بهذا الموضوع إشارات ونصوص عديدة تؤكد كلها لجوء المؤلفين القدامى إلى هذه الطرق فى جمع المصادر ما عدا طريقة واحدة هى الإجارة، إذ أننا لم نجد النص عليها واضحًا عند المؤلفين[2].

قول ابن بشكوال فى ترجمة سلمة بن سعيد الأنصارى:(ساق سلمة بن سعيد شيخنا من المشرق ثمانية عشر حملاً مشدودة من كتب. وسافر من أستجة إلى المشـرق واتخـذ مـصر مـوئلاً واضطرب فى المشرق سنين كثيرة... فكلما اجتمع من ذلك مقدار صالح نهض به إلى مصر ثم انزعج بالجميع إلى الأندلس... وكانت فى كل فن من العلم ولم يتم له ذلك إلا بمال كثير حمله إلى المشرق)[3].

ويبدو أن المؤلفين القدامى فى شرائهم للكتب والمصادر الأساسية كانوا يحرصون على اقتناء الجيد منها، إذ يقول (ابن النديم) متحدثًا عن أبى الفرج الأصفهانى:(وأكثر تعويله كان فى تصنيعه على الكتب المنسوبة الخطوط وغيرها من الأصول الجياد...)[4]، ولهذا وجد فيهم المتخصصون فى معرفة الكتب ومن

(١) تذكرة السامع والتكلم، (١٦٤ – ١٦٧)، وينظر: المعيد، (١٣٠).
(٢) الإجارة من الوجهة اللغوية هى الأجرة. وهى ما أعطى من أجر فى عمل (اللسان – أجر).
(٣) الصلة، (١ / ٣٢٠).
(٤) الفهرست، (١٢٨).

يحتكم إليه فى المعرفة جيدها، كما نرى هذا فى قول ابن الأبار:(محمد بن يحيى الواثقى من أهل قرطبة، كان أديبًا كاتبًا جماعًا لدفاتر العلم من لدن صباه مُقْتنيًا لكرائمها بصيرًا بخيارها عارفًا بخطوطها، يحتكم إليه فى ذلك...)[1].

ومن الأسس التى وضعوها لشراء الكتب ضرورة فحص الكتاب وتفتيشه قبل شرائه ويتضح هذا فى قول (ابن جماعة) فيما يذكره من وصايا العلم:(وإذا اشترى كتابًا تعهد أوله وآخره ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه... واعتبر صحته وما يغلب على الظن صحته إذا ضاق الزمان عن تفتيشه...)[2]. وواضح أن القدامى فى اهتمامهم بهذه الطريقة من طرق جمع المصادر وعدهم إياها أفضل الطرق فى هذا المجال، يسبقون الدارسين المحدثين لمنهج البحث فى هذه المسألة[3].

---

(١) التكملة لكتاب الصلة، (١ / ٣٨٧).

(٢) تذكرة السامع والمتكلم، (١٧٢ – ١٧٣).

(٣) يقول الدكتور على جواد الطاهر: (إذا كان بإمكانك أن تقتنى المصادر المهمة لمكتبتك المهمة الخاصة فذلك خير كبير لحاجتك اللازمة إليها. وإذا استطعت أن تملك إلى ذلك مرجعًا عامًا أعانك ذلك كثيرًا(منهج البحث الأدبى، ٨٥).

الخاتمة

والآن وقد انتهينا من بحثنا هذا الذى أسميناه (دراسات فى منهج البحث التاريخى والأدبي).. نحمد الله حمدا كثيرا إلى حيث أردنا. حيث إن هذا التراث الغنى هو حلقة الوصل بين سالف المجد والسؤدد وحاضر.. تكون إفادته واستيعابه من هذا الإرث الكبير بما يفترض من توسل ذوى الكفاية من هذه الأمة بكل ما يلزم من القدرات والطاقات والأدوات لربط القناطر والجسور كى يعبر تراثها بعلومه وآدابه.. وفنونه.. وقوة تأثيره الروحية..الى حاضرها العتيد الغث، فبدون هذه النقلة أو هذا التواصل سيظل حاضرنا فقيرا منكفئا لا يقوى على الثبات بين تيارات الحضارات الراهنة... من خلال هذا التصور تبلورت الفكرة لدى الباحث ومؤلف هذا الكتاب المتواضع للإدلاء بدلو فى معين هذا التراث واستلقاط ما تيسر من كنوز هذا البحر الثر.. وإنه لشرف جليل أن نكون أحد السالكين لشعاب المعرفة والعناية بتأريخ أمتنا العربية الإسلامية التى انتظمت لبناته بنسق قلّ نظيره بتوفيق من الله تعالى اولا ثم بتضحية من أبنائها وشهداءها الذين رفرفت راياتهم خفاقة تصدع بالحق قبل أقصى الشرق حيث جبال الصين وجنوب المغرب.. حيث كانت فرنسا على مرمى حجر عن سنابك خيل (عبد الرحمن الغافقى) فى بلاط الشهداء.. عليه ينبغى ان أُلخص ما قدمناه وما توصلنا اليه من نتائج قد تضيف إلى صرح المعرفة الشامخ لبنة متواضعة وينبيء عما أثرناه.. مع استعراض لشروط وصفات الباحث.. وكذلك

الخطوات التى يتبعها الباحث فى كتابة بحثه وشروط البحث نفسه..وكذلك أعطيت نماذج لبحوث تاريخية وأدبية حيّة يعتمد عليها الباحث فى بحثه وابتعدت عن خلافات الباحثين أو الكتاب فى هذا المضمار واتبعت طريقة واحدة لكى لا يقع الباحث فى لبس ووهم وفوضى.. لا يدرى من أين يبدأ وكيف ينتهى.. وعليه فهو يبدأ بالمقدمة وينتهى بالخاتمة.. وأقول كما قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾[1].

(١) سورة البقرة من الآية رقم (٢٨٦).

المصادر والمراجع
لمنهج البحث الأدبي

١- القرآن الكريم.
٢- محمد بن أحمد العميدى (٤٣٣هـ) الإبانة عن سرقات المتنبى، تحقيق: إبراهيم الدسوقى، القاهرة، دار المعارف ١٩٦١.
٣- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب(٧٧٦هـ)، الإحاطة فى أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٥.
٤- أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعى (ق٦)، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦.
٥- أبو بكر محمد بن يحيى الصولى (٣٣٥هـ)، أخبار أبى تمام، تحقيق خليل عساكر، محمد عبده عزام، نظير الإسلام الهندى، بيروت، المكتب التجارى، (مصورة عن مطبعة القاهرة ١٣٩٧هـ).
٦- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى (٤٣٠هـ)، أخبار أصبهان، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٣١ - ١٩٣٤.
٧- أبو بكر الصولى، أخبار البحترى، تحقيق: الدكتور صالح الأشتر، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق، ١٩٥٨.
٨- عبد الرحمن بن الجوزى (٥٩٧هـ)، أخبار الحمقى والمغفلين، تحقيق: علي الخاقانى، بغداد، مطبعة دار البصرى، ١٩٦٦.

٩- أبو بكر الصولى، أخبار الشعراء (من كتاب الأوراق)، تحقيق: هيورث دن، القاهرة، مطبعة الصاوى، ١٩٣٤.
١٠- ابن الجوزى، أخبار الظراف والمتماجنين، تقديم وتعليق: محمد بحر العلوم، النجف، مطبعة الغرى، ١٩٦٧.
١١- أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى (٣٦٨هـ) تحقيق: طه الزينى، محمد عبد المنعم خفاجى، القاهرة مطبعة الحلبى.
١٢- أبو حيان علي بن محمد التوحيدى (٤١٤هـ)، أخلاق الوزيرين، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجى، مطبوعات المجمع العلمى العربى، دمشق، ١٩٦٥.
١٣- أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن الطوسى (٦٧٢هـ)، آداب المتعلمين، نشر ضمن كتاب: آداب المتعلمين ورسائل أخرى، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٢، بيروت ١٩٦٧.
١٤- عبد الكريم بن محمد السمعانى (٥٦٢هـ)، تحقيق: مكس ويسمويلر، ليدن ١٩٥٢.
١٥- أبو الحسن علي بن حبيب الماوردى (٤٥٠هـ)، أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، مطبعة الحلبى، ط٣، ١٩٥٥.
١٦- محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ)، أدب الكاتب، ليدن، ١٩٠٠م.
١٧- أبو بكر الصولى، تصحيح وتعليق: محمد بهجة الأثرى، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٤١هـ.
١٨- ضياء الدين نصر الله ابن أبى الكرم المعروف بـ: ابن الأثير (٦٣٧هـ)، الاستدراك فى الرد على رسالة ابن الدهان...، تحقيق: حفنى محمد شرف، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨.
١٩- عبد القاهر الجرجانى (٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، تحقيق: هـ. ريتر، استانبول، مطبعة وزارة المعارف، ١٩٥٤.

٢٠- أبو بكر محمد بن هاشم (٣٨٠هـ)، وأبو سعيد عثمان بن هاشم (٣٩٠هـ)، الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين – الخالديان، تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٨، ١٩٦٥.

٢١- عبد الملك بن قريب الأصمعي(٢١٥هـ)، الاشتقاق، تحقيق: الدكتور سليم النعيمى، بغداد، مطبعة أسعد ١٩٦٨.

٢٢- أبو بكر الصولى، أشعار أولاد الخلفاء، تحقيق: هيورث دن، القاهرة، مطبعة الصاوى، ١٩٣٦.

٢٣- هشام بن محمد السائب الكلبى (٣٠٤ هـ)، الأصنام، تحقيق: أحمد زكى، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩١٤.

٢٤- برجستراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٦٩.

٢٥- أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى المعروف بابن الأبار (٦٥٨هـ)، أعتاب الكتاب، تحقيق الدكتور صالح الأشتر، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق، ١٩٦١.

٢٦- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلانى (٤٠٣هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٤.

٢٧- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى (٩٠٢هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ، تحقيق: فرانز روزنثال، ترجم التعليقات والمقدمة: الدكتور صالح أحمد العلي، بغداد، مطبعة العانى، ١٩٦٣.

٢٨- أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهانى (٢٥٦هـ)، الأغانى، القاهرة، دار الكتب المصرية.

٢٩- القاضى عياض بن موسى اليحصبى (٥٤٤هـ)، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ط١، ١٩٧٠.

٣٠- أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (٣٥٦هـ)، الأمالي (مع الذيل والنوادر)، تحقيق: إسماعيل يوسف دياب القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٦.

٣١- الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوى العلوى (٤٣٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة الحلبى، ١٩٥٤.

٣٢- أبو حيان التوحيدى، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين، أحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت.

٣٣- أبو فيد مؤرخ ابن عمرو السدوسى (١٩٨هـ)، الأمثال، تحقيق: حمد محمد الضبيب، الرياض، مطابع الجزيرة، ط١، ١٩٧٠.

٣٤- علي بن يوسف القفطى (٦٤٦هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٥٠-١٩٥٥، ١٩٧٣.

٣٥- أبو المنصور عبد الملك بن محمد الثعالبى (٤٢٩هـ) الإيجاز والإعجاز، طبع ضمن مجموعة خمس وسائل، القسطنطينية، مطبعة الجوائب، ١٣٠١هـ.

٣٦- أبو حامد محمد بن محمد الغزالى (٥٠٥هـ)، ترجمه إلى الفرنسية: توفيق الصباغ، بيروت، المطبعة الكاثولوليكية، ط٢، ١٩٥٩.

٣٧- الدكتور شوقى ضيف، البحث الأدبى، دار المعارف القاهرة، ١٩٧٢.

٣٨- أبو عثمان بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، البخلاء، تحقيق: طه الحاجزى، القاهرة، دار المعارف ١٩٥٨.

٣٩- علي بن ظافر الأزدى (٦١٣هـ)، بدائع البدائه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠.

٤٠- عبد الله بن المعتز (٢٩٦هـ) البديع، تحقيق: أغناطيوس كراتشكوفسكى، لندن ١٩٣٥، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد ١٩٦٧).

٤١- أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر الحميرى (٤٤٠هـ)، البديع فى وصف الربيع، تحقيق: هنرى يريس، الرباط، المطبعة الاقتصادية، ١٩٤٠.

٤٢- زكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبى الإصبع المصرى (٦٥٤هـ)، بديع القرآن، تحقيق: حفنى محمد شرف، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ط١، ١٩٥٧.

٤٣- أبو عثمان الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق: محمد مرسى الخولى، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٢.

٤٤- عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكانى (٦٥١هـ)، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن،تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب، الدكتورة خديجة الحديثى، بغداد، مطبعة العانى، ط١، ١٩٧٤.

٤٥- إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب (ق٤)، البرهان فى وجوه البيان، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب، الدكتورة خديجة الحديثى، بغداد، مطبعة العانى، ط١، ١٩٦٧.

٤٦- أبو حيان التوحيدى، البصائر والذخائر، تحقيق: إبراهيم الكيلانى، دمشق، مطبعة الإنشاء، ١٩٦٤.

٤٧- أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبى (٥٩٩هـ)، بغية الملتمس فى تاريخ الرجال الأندلس، مجريط، مطبعة روخس، ١٨٨٤م.

٤٨- عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (٩١١هـ)، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة الحلبى، ط١، ١٩٦٥.

٤٩- أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر المعروف بطيفور (٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفى، القاهرة، ١٩٠٨.

٥٠- محمد بن يعقوب الفيروزأبادى (٨١٧هـ)، البلغة فى تاريخ أئمة اللغة، تحقيق: محمد المصرى، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٢.

٥١- ابن عذارى المراكشى (ق٧)، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، ليفى بروفنسال، تصوير دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧.

٥٢- أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٦٠.
٥٣- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادى (٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٣١.
٥٤- أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى المعروف بابن الفرضى (٤٠٣هـ)، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.
٥٥- الدكتور محمد زغلول سلام، تاريخ النقد العربى إلى القرن الرابع الهجرى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤.
٥٦- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة(٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث، صححه وضبطه: محمد زهدى النجار، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٦٦.
٥٧- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، مطبعة الحلبى، ١٩٥٤.
٥٨- أبو منصور الثعالبى، تتمة اليتيمة، تحقيق: عباس إقبال، طهران، مطبعة فردين، ١٣٥٣ هـ.
٥٩- ابن أبى الأصبع المصرى، تحرير التحبير، تحقيق: الدكتور حفنى محمد شرف، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٣هـ.
٦٠- الشيخ علي أكبر بن محمود النجفى، التحفة النظامية فى الفروق الاصطلاحية، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد ١٣١٢هـ.
٦١- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، القاهرة، مطبعة الحلبى، ط ٢، ١٩٦٥.
٦٢- بدر الدين محمد بن إبراهيم... ابن جماعة (٧٣٣هـ)، تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم، حيدر آباد الدكن ١٣٥٤هـ.

٦٣- إبراهيم بن أحمد... بين أبى عون (٣٢٣هـ)، التشبيهات، تحقيق محمد عبد المعيد خان، لندن، مطبعة جامعة كمبردج، ١٩٥٠.

٦٤- السيوطى، التعريف بآداب التأليف، نشر وتعليق إبراهيم السامرائى، مستل من مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد الثالث، بغداد، مطبعة العانى، ١٩٧٠.

٦٥- الشريف علي بن محمد الجرجانى (٨١٤هـ)، التعريفات، بيروت مكتبة لبنان، ١٩٦٩.

٦٦- أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكرى (٣٨٢هـ) التفضيل بين بلاغتى العرب والعجم، طبع ضمن مجموعة التحفة البهية والطرفة الشهية، مطبعة الجوائب، ١٣٠٢.

٦٧- الخطيب البغدادى، تقييد العلم، تحقيق: يوسف العش، دمشق، المعهد الفرنسى بدمشق ١٩٤٩.

٦٨- زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى (٨٠٦هـ)، التقييد والإيضاح، شرح مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، القاهرة، مطبعة العاصمة، ط١، ١٩٦٩.

٦٩- ابن الأبار القضاعى، التكملة لكتاب الصلة، نشر وتصحيح: عزة العطار الحسينى، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٢٥.

٧٠- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى (٣٩٥هـ)، تحقيق: الدكتورة عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩.

٧١- أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى (٤٨٧هـ)، تحقيق: إسماعيل يوسف دياب، القاهرة، مطبعة السعادة، ط٣، ١٩٥٤.

٧٢- علي بن الحسين المسعودي(٣٤٦هـ)، التنبيه والإشراف، بيروت، مكتبة خياط، ١٩٦٥. (مصورة عن طبعة ليدن)

٧٣- علي بن حمزة البصرى (٣٧٥هـ)، التنبيهات على أغاليط الرواة، تحقيق: عبد العزيز الميمنى، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٧.

٧٤- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، القاهرة، دار المعارف.
٧٥- أبو منصور الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٥.
٧٦- أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣هـ)، جامع بيان العمل وفضائله، صححه وراجعه: عبد الرحمن محمد عثمان، القاهرة مطبعة العاصمة، ط٢، ١٩٦٨.
٧٧- ضياء الدين بن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من كلام المنثور، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، الدكتور جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٦.
٧٨- أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي (٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦.
٧٩- أبو الفرج المعافى بن زكريا (٣٩٠هـ)، الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (خ)، مصورة في المكتبة المركزية بجامعة بغداد برقم (م خ ١١١).
٨٠- ابن ناقيا البغدادي (٤٨٥)، الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب، الدكتورة خديجة الحديثي، بغداد، دار الجمهورية، ١٩٦٨.
٨١- أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري (٤٥٦هـ)، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق: علي البجاوي، القاهرة، مطبعة الحلبي، ط١، ١٩٥٣.
٨٢- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٦٤.
٨٣- الدكتور أمجد الطرابلسي، حركة التأليف عند العرب، دمشق مكتبة دار الفتح، ط٥، ١٩٧٢.

٨٤- شمس الدين محمد بن الحسن النواجى (٨٥٩هـ)، حلبة الكميت، القاهرة، المكتبة العلميَّة، ١٩٣٨.

٨٥- ابن الأبار القضاعى، الحلة السيراء، تحقيق: الدكتور حسين مؤنس، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٩٦٣.

٨٦- علي بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسى (ق٨)، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق: محمد عبد الغنى حسن، القاهرة، دار المعارف، ١٩٤٩.

٨٧- صدر الدين بن أبى الفرج بن الحسين البصرى (٦٥٩هـ)، الحماسة البصرية، تحقيق: الدكتور مختار الدين أحمد، حيدر أباد الدكن، ط١، ١٩٦٤ .

٨٨- أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، ١٩٦٩، (تصوير دار الكتاب العربى بيروت).

٨٩- أبو منصور الثعالى، خاص الخاص، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٦.

٩٠- عماد الدين محمد بن محمد بن محمد الكاتب الأصفهانى (٥٩٧هـ)، خريدة القصر وجريدة العصر، (قسم شعراء العراق) ج١، تحقيق: محمد بهجة الأثرى، الدكتور جميل سعيد، بغداد، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٥٥، ج٢، تحقيق: محمد بهجة الأثرى، بغداد، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٦٤، ج٤، تحقيق: محمد بهجة الأثرى، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٣.

٩١- (قسم شعراء الشام) تحقيق: الدكتور شكرى فيصل، دمشق المطبعة الهاشمية ١٩٥٥-١٩٦٤.

٩٢- (قسم شعراء مصر) تحقيق: أحمد أمين، شوقى ضيف، إحسان عباس، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١.

٩٣- (قسم شعراء المغرب والأندلس) تحقيق: عمر الدسوقى، علي عبد العظيم، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٤.

٩٤- تقى الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله ابن حجة الحموى (٨٣٧هـ)، خزانة الأدب وغاية الأرب، القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٣٠٤ هـ.

٩٥- أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريرى (٥١٦هـ)، درة الغواص فى أوهام الخواص، تحقيق: توربكة، ليبزك ١٨٧١ (تصوير مكتبة المثنى بغداد).

٩٦- القاضى عبد النبى بن عبد الرسول الأحمد نكرى، حيدر آباد الدكن، دستور العلماء، ١٣٢٩ – ١٣٣٢هـ.

٩٧- الدكتور عبد الكريم الأشتر،دعبل بن علي الخزاعى، شاعر آل البيت، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٦٤.

٩٨- عبد القاهر الجرجانى، دلائل الإعجاز، وقف على طبعه وعلق عليه: محمد رشيد رضا، الناشر: مكتبة القاهرة، ١٩٦١م.

٩٩- أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزى (٤٦٧هـ)، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٨.

١٠٠- أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزى (٥٠٢هـ)، ديوان أبى تمام، شرح الخطيب التبريزى، تحقيق: محمد عبده عزام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٤ -١٩٦٥.

١٠١- رواية أبى بكر الصولى (خ)، ديوان أبى نواس، مخطوطة فى المكتبة الظاهرية بدمشق برقم ٤٦٤٠.

١٠٢- رواية حمزة بن الحسن الأصفهانى (٣٦٠هـ)، ديوان أبى نواس، تحقيق: إيفالد فاغنر، ج١، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨، ج٢، فسبادين ١٩٧٢.

١٠٣- أبو هلال العسكرى (٣٩٥هـ)، ديوان المعانى، تحقيق: كرنكو، القاهرة، مكتبة القدسى ١٣٥٢هـ.

١٠٤- أبو الحسن علي بن بسام الشنترينى (٥٤٣هـ)، الذخيرة فى محاسن أهل

الجزيرة، القسم الأول فى مجلدين، والقسم الرابع القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩ – ١٩٤٥.

١٠٥-عبد الرحمن بن الجوزى، ذم الهوى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، ط١، ١٩٦٢.

١٠٦-أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشى (٤٥٠هـ)، الرجال، طهران، مركز نشر كتاب جانجانة، مصطفوى.

١٠٧-تقى الدين بن الحسن بن علي بن داود الحلى (بعد سنة ٧٠٧ هـ)، الرجال، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٧٢.

١٠٨-إبراهيم بن المدبر (٢٨٦هـ)، الرسالة العذراء، تحقيق: الدكتور زكى مبارك، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٣١.

١٠٩-رسائل أبى حيان التوحيدى، تحقيق: إبراهيم الكيلانى، منشورات مجلة الثقافة بدمشق.

١١٠-رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٦٤.

١١١-الدكتور عبد الحميد الشلقانى، رواية اللغة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١

١١٢-محمد بن أبى بكر بن القيم الجوزية (٧٥١هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تصحيح وتعليق: أحمد عبيد، دمشق، مطبعة الترقى، ١٣٤٨هـ.

١١٣-أبو إسحاق الحصرى، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: علي البجاوى، القاهرة، مطبعة الحلبى، ط٢، ١٩٦٩.

١١٤-محمد بن داود الأصفهانى (٢٩٧هـ)، الزهرة (النصف الأول)، تحقيق: لويس نيكل البوهيمى، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٣٢.

١١٥-أبو منصور الثعالبى، سحر البلاغة، وقف على طبعه: أحمد عبيد، دمشق، مطبعة الترقى.

١١٦-أبو محمد عبد الله بن محمد... بن سنان الخفاجى (٣٦٦هـ)، سر الفصاحة،

صححه وعلق عليه: عبد المتعال الصعيدى، القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٦٩.
١١٧- أبو عبيد البكرى، سمط اللآلى فى شرح الأمالى، تحقيق: عبد العزيز الميمنى، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦.
١١٨- أبو محمد عبد الملك بن هشام (٢١٨هـ)، سيرة النبى، تحقيق: محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة حجازى، ١٩٣٧.
١١٩- أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى (٤٢١هـ)، شرح الحماسة، تحقيق: أحمد أمين، عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٩٥١ – ١٩٥٣.
١٢٠- أبو أحمد العسكرى، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق: عبد العزيز أحمد، القاهرة، مطبعة الحلبى، ط١، ١٩٦٣.
١٢١- أحمد بن عبد المؤمن الشريشى (٦١٩هـ)، شرح مقامات الحريرى، نشر وتصحيح: محمد عبد المنعم خفاجى، القاهرة المطبعة المنيرية بالأزهر،ط١، ١٩٥٢ – ١٩٥٣.
١٢٢- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٤.
١٢٣- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي(٨٢١هـ)، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، القاهرة، دار الكتب المصرية.
١٢٤- أبو حيان التوحيدى، الصداقة والصديق، تحقيق: إبراهيم الكيلانى، دمشق، دار الفكر، ١٩٦٤.
١٢٥- أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال (٥٧٨هـ)، الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس، نشره وصححه: عزة العطار الحسينى، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٥٥.
١٢٦- أبو هلال العسكرى، الصناعتين، تحقيق: علي البجاوى، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مطبعة الحلبى، ط١، ١٩٥٢.

١٢٧- عبد الله بن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ط١، ١٩٥٦.
١٢٨- محمد بن سلام الجمحي(٢٣١هـ)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق:محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدنى، ١٩٧٤.
١٢٩- أبو بكر بن أحمد المعروف بابن قاضى شهبة (٨٥١هـ)، طبقات النحاة واللغويين، المطبوع منه تحقيق: الدكتور محسن غياض، النجف، مطبعة النعمان، ١٩٧٤. المخطوط: مصورة فى المكتبة المركزية بغداد برقم (و خ ١٢٤).
١٣٠- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى (٣٧٩هـ)، طبقات النحويين واللغوين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة الخانجى، ط١، ١٩٥٤.
١٣١- يعرب فهمى سعيد، طرق البحث، بغداد، مطبعة الحكومة، ١٩٧٣.
١٣٢- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦هـ)، طوق الحمامة فى الألفة والأُلاّف، تحقيق: حسن كامل الصيرفى، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٧.
١٣٣- أبو عثمان الجاحظ، العثمانية، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة دار الكتاب العربى، ١٩٥٥.
١٣٤- أحمد بن محمد بن عبد ربه (٣٢٧هـ)، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، إبراهيم الأبيارى، عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (تصوير مكتبة المثنى ببغداد، ١٩٦٧).
١٣٥- محمد بن طلحة القرشى (٦٥٢هـ)، العقد لفريد للملك السعيد، القاهرة، مطبعة الوطن، ١٣٠٦هـ.
١٣٦- الحسن بن محمد بن حبيب النيسابورى (٤٠٦هـ)، عقلاء المجانين، قدمه وعلق عليه: محمد بحر العلوم، النجف، المطبعة الحيدرية، ط٢، ١٩٦٨.
١٣٧- ألدومييلى، العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى، نقله إلى

العربية: الدكتور عبد الحليم النجار، الدكتور محمد يوسف موسى، القاهرة، دار القلم، ط١، ١٩٦٢.

١٣٨- الحسن بن رشيق القيروانى (٤٥٦هـ)، العمدة فى محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، ط٢، ١٩٥٥.

١٣٩- أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبرينى (٧٠٤هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء ببجاية، تحقيق: عادل نويهض - بيروت، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٩.

١٤٠- محمد بن أحمد بن طباطبا العلوى (٣٢٢هـ)، عيار الشعر، تحقيق: طه الحاجرى، محمد زغلول سلام، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٦.

١٤١- ابـن هذيل الأندلسى، عين الأدب والسياسة، القاهرة، مطبعة الحلبى، ط ٢، ١٩٣٨.

١٤٢- ابن قتيبة، عيون الأخبار، القاهرة، دار الكتب المصرية.

١٤٣- شمس الدين محمد بن محمد... بن الجزرى (٨٣هـ)، غاية النهاية فى طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٣٢، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد).

١٤٤- جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى الوطواط (٧١٨هـ)، غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، القاهرة، المطبعة الأدبية، ١٣١٨هـ.

١٤٥- علي بن موسى بن سعيد المغربى (٦٨٥هـ)، الغصون اليانعة فى شعراء المائة السابعة، تحقيق: إبراهيم الأبيارى، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٧.

١٤٦- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى (٧٦٤هـ)، الغيث المسجم فى شرح لامية العجم، القاهرة، المطبعة الأزهرية، ط١، ١٣٠٥هـ.

١٤٧- المفضل بن سلمة (٣٩١هـ)، الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوى، القاهرة، مطبعة الحلبى، ط١، ١٩٦٠.

١٤٨- محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ)، الفاضل، تحقيق: عبد العزيز الميمنى، القاهرة، دار الكتب المصرية ١٩٥٦.

١٤٩- محمد بن أحمد الوشاء (٣٢٥هـ)، الفاضل فى صفة الأدب الكامل، تحقيق: يوسف يعقوب مسكونى، بغداد مطبعة شفيق، ١٩٧١.

١٥٠- عبد الملك بن قريب الأصمعى (٢١٥هـ)، فحولة الشعراء، تحقيق: ش. تورى، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١، ١٩٧١.

١٥١- المحسن بن علي التنوخى (٣٨٤هـ)، الفرج بعد الشدة، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٩٥٥.

١٥٢- عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المعروف بابن أبى الحديد(٦٥٦هـ)، الفلك الدائر على المثل السائر، تحقيق: الدكتور أحمد الحوفى، الدكتور بدوى طبانة، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦١ - ١٩٦٢ (نشر مع كتاب المثل السائر).

١٥٣- محمد بن إسحاق بن النديم (٣٨٥هـ)، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، طهران، مطبعة دانشكاه، طهران، ١٩٧١.

١٥٤- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى (٤٦٠هـ)، الفهرست، صححه وعلق عليه: محمد صادق آل بحر العلوم، النجف، المطبعة الحيدرية، ط٢، ١٩٦١.

١٥٥- محمد بن خير الأشبيلى (٥٧٥هـ)، فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين...، تحقيق: فرنشسكة قدارة زيدين، ط٢، ١٩٦٣ (تصوير المكتب التجارى ببيروت).

١٥٦- محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى (٧٦٤هـ)، قوات الوفيات، تحقيق:عبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٠.

١٥٧- أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى (٣٤٠هـ)، مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام هارون، الكويت، ١٩٦٢.

١٥٨- حسين بن محمد الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦١.
١٥٩- علي بن يوسف القفطي (٦٤٦هـ)، المحمدون من الشعراء، تحقيق: حسن معمرى، بيروت، دار اليمامة، ١٩٧٠.
١٦٠- عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، حيدر آباد الدكن، ١٣٣٧ - ١٣٣٩هـ.
١٦١- أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوى (٣٥١هـ)، مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٥.
١٦٢- مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير (٦٠٦هـ)، المرصع فى الأدباء والأمهات والبنين والبنات...، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائى، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧١.
١٦٣- علي بن الحسين المسعودى (٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، دار الأندلس، ١٩٧٣.
١٦٤- اختيار أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسينى المعروف بابن الدمياطى، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (خ)، مصورة فى المكتبة المركزية بجامعة بغداد برقم (م خ ٢٥).
١٦٥- الدكتور عمر الدقاق، مصادر التراث العربى، بيروت، مكتبة دار الشرق، ط٣، ١٩٧٢.
١٦٦- الدكتور ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية، القاهرة، دار المعارف، ط٤، ١٩٦٩.
١٦٧- أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج (٥٠٠هـ)، مصارع العشاق، بيروت، دار صادر، ١٩٥٨.
١٦٨- الدكتور أسد رستم، مصطلح التاريخ، بيروت، المطبعة العصرية، ط٣، ١٩٥٥.
١٦٩- ذو النسبين عمر بن حسن المعروف بابن دحية الكلبى (٦٣٤هـ)، المطرب

من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبيارى،الدكتور حامد عبد المجيد، الدكتور أحمد أحمد بدوى، القاهرة،المطبعة الأميرية، ١٩٥٤.

١٧٠- الفتح بن خاقان (٥٣٥هـ)، مطمح الأنفس، القسطنطينية، مطبعة الجوائب، ط١، ١٣٠٢هـ.

١٧١- محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني(٥٨٨هـ)، معالم العلماء، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٦١.

١٧٢- ابن قتيبة، المعانى الكبير، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٩٤٩.

١٧٣- عبد الواحد بن علي التميمى المراكشى (٦٤٧هـ)، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: دوزى، ليدن، ط٢، ١٩٦٨.

١٧٤- ياقوت الحموى (٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، تحقيق: مرجيليوث، القاهرة،مطبعة أمين هندية (تصوير مكتبة المثنى ببغداد).

١٧٥- محمد بن عمران المرزبانى (٣٨٤هـ)، معجم الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، مطبعة الحلبى، ١٩٦٠.

١٧٦- عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموى (٩٨١هـ)، المعيد فى أدب المفيد والمستفيد، دمشق،المكتبة العربية، ١٣٤٩هـ.

١٧٧- علي بن موسى بن سعيد المغربى (٦٨٥هـ):(قسم الأندلس)، المغرب فى حلى المغرب، تحقيق: الدكتور شوقى شيف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣ – ١٩٥٥ (قسم مصر – الجزء الأول)، تحقيق: زكى محمد حسن، الدكتور شوقى ضيف، الدكتورة سيدة محمد كاشف، القاهرة، جامعة فؤاد الأول ١٩٥٣. (قسم القاهرة المسمى بالنجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة) تحقيق: الدكتور حسين نصار، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٧٠.

١٧٨- محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى (٣٨٧هـ)، مفاتيح العلوم، القاهرة، مطبعة الشرق، ط١، ١٣٤٢هـ.

١٧٩- نورى شاكر الألوسي-البحث الأدبى ومنهجه، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤.

١٨٠- يوسف بن أبى بكر محمد بن علي السكاكى (٦٢٦هـ)، القاهرة، مفتاح العلوم، القاهرة، مطبعة الحلبى، ط١، ١٩٣٧.
١٨١- أبو حيان التوحيدى، المقابسات، تحقيق: الدكتور محمد توفيق حسين، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧٠.
١٨٢- مقدمة ابن الصلاح - ينظر: التقييد والإيضاح.
١٨٣- الدكتور عزة حسن، المكتبة العربية، دمشق ١٩٧٠.
١٨٤- أبو منصور الثعالبى، من غاب عنه المطرب، طبع ضمن مجموعة التحفة البهية والطرفة الشهية، مطبعة الجوائب، ١٣٠٢هـ.
١٨٥- الدكتور عبد الرحمن بدوى، منهاج البحث العلمى، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨.
١٨٦- الدكتور علي سامى النشار، مناهج البحث عند مفكرى الإسلام، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ١٩٦٦.
١٨٧- الدكتور مصطفى الشكعة، منهاج التأليف عند العرب، بيروت دار الثقافة.
١٨٨- فرانز روزنثال، مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى، ترجمة الدكتور أنيس فريحة، دار الثقافة، ١٩٦١.
١٨٩- أبو منصور الثعالبى، المنتحل، صححه وشرحه: أحمد أبو علي، الإسكندرية، المطبعة التجارية، ١٩٠١.
١٩٠- أبو العباس أحمد بن محمد الجرجانى الثقفى، المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٠٨.
١٩١- حازم القرطاجنى (٦٨٤هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، تونس، ١٩٦٦.
١٩٢- الدكتور علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبى، بغداد، مطبعة أسعد، ط ٢، ١٩٧٢.

١٩٣- الدكتور حسن عثمان، منهج البحث التاريخى، القاهرة، دار المعارف، ط٣، ١٩٧٠.
١٩٤- ثريا ملحس، منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين، بيروت منشورات دار الكتاب اللبنانى، ١٩٦٠.
١٩٥- الدكتور عثمان موافى، منهج النقد التاريخى عند المسلمين والمنهج الأوربى، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية.
١٩٦- أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدى (٣٧٠هـ)، الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥.
١٩٧- الحسن بن بشر الآمدى، المؤلف والمختلف، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، مطبعة الحلبى، ١٩٦١.
١٩٨- كمال مصطفى، الموشى – الوشاء، القاهرة، مطبعة الاعتماد، ط٢، ١٩٥٣.
١٩٩- محمد بن عمران المرزبانى، الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: علي البجاوى، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٥.
٢٠٠- ابن قتيبة، الميسر والقداح، صححه وعلق عليه: محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٨٥هـ.
٢٠١- أبو البركات كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن الأنبارى (٥٧٧هـ)، نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائى، نشر مكتبة الأندلس ببغداد، ط٢، ١٩٧٠.
٢٠٢- المحسن التنوخى، نسوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجى، بيروت، دار صادر، ١٩٧١ – ١٩٧٣.
٢٠٣- أبو عبيدة معمر بن المثنى، النقائض (نقائض جرير والفرزدق)، تحقيق: بيفان، ليدن ١٩٠٥، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد).
٢٠٤- ترجمة عبد الرحمن بدوى -النقد التاريخى، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٢.

٢٠٥- قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ)، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، مطبعة السعادة، ط٢، ١٩٦٢.
٢٠٦- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى (٧٦٤هـ)، نكت الهميان فى نكت العميان، تحقيق: أحمد زكى، القاهرة، المطبعة الجمالية ١٩١١.
٢٠٧- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (٧٣٣هـ)، نهاية الأرب فى فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب المصرية.
٢٠٨- أبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى (٢١٤هـ)- النوادر فى اللغة،، صححه وعلق عليه:
٢٠٩- ابن قتيبة - الميسر والقداح، صححه وعلق عليه: محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٨٥هـ.
٢١٠- أبو البركات كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري(٥٧٧هـ)- نزهة الألباب فى طبقات الأدباء، تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائى، نشر مكتبة الأندلس ببغداد، ط٢، ١٩٧٠.
٢١١- المحسن التنوخى - نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، تحقيق: عبود الشالجى، بيروت، دار صادر ١٩٧١ - ١٩٧٣.
٢١٢- أبو عبيدة معمر بن المثنى - النقائض(نقائض جرير والفرزدق)، تحقيق: بيفان، ليدن ١٩٠٥، (تصوير مكتبة المثنى ببغداد).
٢١٣- ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى - النقد التاريخى،القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٢.
٢١٤- قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ)- نقد الشعر ، تحقيق: كمال مصطفى، القاهرة، مطبعة السعادة، ط٢، ١٩٦٢.
٢١٥- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي(٧٦٤هـ)- نكت الهميان فى نكت العميان، تحقيق: أحمد زكى، القاهرة، المطبعة الجمالية ١٩١١.
٢١٦- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري(٧٣٣هـ)- نهاية الأرب فى فنون الأدب، القاهرة، دار الكتب المصرية.

٢١٧- أبو سعيد بن أوس الانصاري(٢١٤هـ)-النوادر فى اللغة. صححه وعلق عليه: سعيد الخورى، بيروت، دار الكتاب العربى، ط٢.
٢١٨- مجموعة من الكتب القديمة بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون-نوادر المخطوطات، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٤-١٩٥٥.
٢١٩- اختصار الحافظ اليغموري(٦٧٣هـ)-نور القبس المختصر من القبس فى أخبار النحاة والأدباء...، تحقيق: رودولف زلهايم، فيسبادن ١٩٦٤.
٢٢٠- أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني (ق٥)-الواضح فى مشكلات شعر المتنبى، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر ١٩٦٨.
٢٢١- صلاح الدين الصفدى -الوافى بالوفيات ، ج ١،٢ تحقيق: ريتر، فيسبادن ١٩٦١، ج٣،٤ تحقيق: ديدرينغ، فيسبادن ١٩٧٢، ج٧ تحقيق: الدكتور إحسان عباس، فيسبادن ١٩٦٩،ج٨ تحقيق: محمد يوسف نجم، فيسبادن ١٩٧١. الأجزاء المخطوطة:مصورة فى المكتبة المركزية بجامعة بغداد.
٢٢٢- محمد بن داود بن الجراح(٢٩٦هـ)-الورقة، تحقيق:عبد الوهاب عزام، عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ط٢.
٢٢٣- القاضى علي بن عبد العزيز الجرجانى (٣٩٢هـ)-الوساطة بين المتنبى وخصومه تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي البجاوى، القاهرة، مطبعة الحلبى، ط٤، ١٩٦٦.
٢٢٤- على بن زيد البيهقي(٥٦٥هـ)-وشاح الدمية (خ)، مصورة فى المكتبة المركزية بجامعة بغداد برقم(م خ ١٢٥)عن مخطوطة بمكتبة حسين جلبى فى تركيا.
٢٢٥- شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٨١هـ)-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان –، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٨ -١٩٧١.

٢٢٦-نصر بن مزاحم (٢١٢هـ)-وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة الجلبى، ط١، ١٣٦٥هـ.
٢٢٧-أبو منصور الثعالبى -يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر ، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، ط٢، ١٩٥٦.
٢٢٨-إبراهيم أبو لغد ولويس كامل ملكية، (البحث الاجتماعي)، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٩.
٢٢٩-أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زادة (٩٦٨هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، تحقيق: كامل بكرى، عبد الوهاب أبو النور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨.
٢٣٠-أبو الفضل جمال محمد بن مكرم منظور(٧١١هـ)لسان العرب، بيروت دار الصادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٦.
٢٣١-أحمد بدر، (دور الرأى العام فى السياسة العامة)، مجلة صوت الشعب الكويت وكالة المطبوعات، ١٩٧٢. خصوصًا الفصل السابع عن استطلاع الرأى العام).
٢٣٢-أحمد شلبى، (كيف تكتب بحثًا أو رسالة)، القاهرة، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٢م.
٢٣٣-أحمد عبادة سرحان ود، ثابت محمود أحمد، (مقدمة فى العينات)، ١٩٧١، دار الكتب الجامعية.
٢٣٤-أسد رستم، (مصطلح التاريخ)، ط٣، بيروت المكتبة العصرية، ١٩٦٠، ص٢٣٨.
٢٣٥-إنتصار عبد العال يونس، (السلوك الإنسانى)، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٢.
٢٣٦-حسن عثمان، (منهج البحث التاريخى)، ط٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠.

٢٣٧- روزنتال، فرانز، (مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى)، ترجمة دكتور أنيس فريحة، دار الثقافة، ١٩٦١.
٢٣٨- عبد الباسط عد الصمد، (أصول البحث الاجتماعي)، مطبعة لجنة البيان العربى، القاهرة، ١٩٦٣.
٢٣٩- عبد الرحمن بدوى،(مناهج البحث العلمي)، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨.
٢٤٠- علي سامى النشار، (منهاج البحث عند مفكرى الإسلام)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧.
٢٤١- محمد طلعت عيسى، (البحث الاجتماعى. مبادئه ومنهاجه)، ط٣، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٣، ص٢٧١.
٢٤٢- يعرب فهمى سعيد، (مقدمة فى البحث)، مطبعة المعارف – بغداد، ١٩٧١.

قائمة المحتويات